البداية والنهاية

للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
٧٠١-٧٧٤هـ

ضبط نصوصه وخرج أحاديثه
حلمي بن إسماعيل الرشيدي

روجعت تخريج أحاديث الكتاب على كتب العلامة
محمد ناصر الدين الألباني

الجزء الثالث

راجعه
محمد عنتر   محمود يس

دار العقيدة



باب كيف بدأ الوحي
إلى رسول الله ﷺ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة. وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة. (1)

قال البخارى: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح؛ ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجئه الحق، وهو فى غار حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ. فقال: «**ما أنا بقارئ**». قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى. فقال: اقرأ. فقلت: **ما أنا بقارئ**. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى. فقال: اقرأ. فقلت: **ما أنا بقارئ**. فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد. ثم أرسلنى فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:1-5). فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: «**زملونى زملونى**»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسى**». فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتقرى الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة. وكان امرءاً تنصَّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى. فقالت له خديجة: يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذى كان نزّل على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً، ليتنى أكون حياً، إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ:

---

(1) لا يصح بمرة، أخرجه ابن جرير فى «تاريخه» (292) من طريق ابن حميد وهو متروك.
وأخرجه من طريق أخرى عن ابن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد قال سمعت سعيداً.. فذكره.
وأخرجه ابن سعد (1/ 173) من طريقين عن يحيى بن سعيد، به. وإسناده صحيح.
وأخرجه ابن سعد (1/ 173) بسند صحيح عن ابن عباس وعائشة.
وأخرجه (1/ 173) عن أنس بن مالك.

«**أو مخرجى هم؟**» فقال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تبدَّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع. فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك. فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فقال له: مثل ذلك. هكذا وقع مطَولاً فى باب التعبير من «البخارى».

قال ابن شهاب: وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه: «**بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت، فقلت: زملونى، زملونى. فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** (المدثر: 1-5) **فحمى الوحى وتتابع**»[1]. ثم قال البخارى: تابعه عبد الله بن يوسف، وأبو صالح، يعنى عن الليث، وتابعه هلال بن رداد عن الزهرى. وقال يونس ومعمر: بوادره. وهذا الحديث قد رواه الإمام البخارى -رحمه الله- فى كتابه فى مواضع منه، وتكلمنا عليه مطولاً فى أول شرح البخارى فى كتاب بدء الوحى إسنادا ومتناً ولله الحمد والمنة.

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الليث به، ومن طريق يونس ومعمر، عن الزهرى كما علقه البخارى عنهما. وقد رمزنا فى الحواشى على زيادات مسلم ورواياته ولله الحمد، وانتهى سياقه إلى قول ورقة: «أنصرك نصراً مؤزراً».

فقول أم المؤمنين عائشة: «أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»، يقوى ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار، عن عبيد بن عمير الليثى، أن النبى ﷺ قال: «**فجاءنى جبريل، وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب فقال: اقرأ. فقلت: ما أقرأ؟ فغتنى، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى**»[2]. وذكر نحو حديث عائشة سواء، فكان هذا كالتوطئة لما يأتى بعده من اليقظة، وقد جاء مصرحاً بهذا فى مغازى موسى بن عقبة، عن الزهرى،

---

(1) أخرجه البخارى (3) (3392) (4953) (4955) (4957) (6982)، ومسلم (160)، (254)، وأحمد (6/ 223)، وابن منده (685)، والبيهقى (9/ 6)، والبغوى (3735) من طرق عن ليث بن سعد، به.
وأخرجه عبد الرزاق (9719)، وعنه أحمد (6/ 232-233)، والبخارى (4956) (6982)، ومسلم (160) (253) وغيرهم من طريق معمر، به. وأخرجه البخارى (4953)، وأحمد (25202) من طريق معمر ويونس معًا عن الزهرى، به. وأخرجه مسلم (160) (252)، والطبرى (30/ 252) وابن منده فى «الإيمان» (681)، والبيهقى (9/ 5-6) عن يونس، به.

(2) **مرسل إسناده حسن**: رواه الطبرى فى «تاريخه» (1/ 532) من طريق ابن إسحاق الذى رواه فى السيرة (1/ 163) وعبيد بن عمير الراجح أنه تابعى ثقة، وحديثه مرسل. وصرح بذلك الحافظ فى «الفتح» (٤/ 585). وله شاهد من حديث جابر وهو فى «الصحيحين» وله شاهد من حديث عائشة المتفق عليه سابقًا.

أنه رأى ذلك فى المنام، ثم جاءه الملك فى اليقظة.[1] وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى كتابه «دلائل النبوة»: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة، حدثنا منجاب بن الحارث، حدثنا عبد الله بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن إبراهيم، عن علقمة ابن قيس قال: «إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام، حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحى بعد»[2]. وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه. وهو كلام حسن يؤيده ما قبله، ويؤيده ما بعده.

ذكـر عمـره ﷺ وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبى عدى، عن داود بن أبى هند، عن عامر الشعبى أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشىء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة. فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة»[3]. فهذا إسناد صحيح إلى الشعبى، وهو يقتضى أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل.

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال: وحديث عائشة لا ينافى هذا، فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا. ثم وكل به إسرافيل فى تلك المدة التى كان يخلو فيها بحراء، فكان يلقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً وتمريناً إلى أن جاءه جبريل، فعلّمه بعدما غطه ثلاث مرات، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل.[4]

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس: «أنزل على النبى ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشراً، وبالمدينة عشراً. ومات وهو ابن ثلاث وستين»[5]، وهكذا روى يحيى بن سعيد، وسعيد بن المسيب. ثم روى أحمد، عن غندر، ويزيد بن هارون، كلاهما عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «بُعث رسول الله ﷺ وأُنزل

---

(1) **مرسل**: رواه فى «المعرفة والتاريخ» (3/ 260) والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 142) عن الزهرى عن سعيد مرسلاً.

(2) إسناده حسن موقوف.

(3) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد فى «تاريخه» كما قال السيوطى وأخرجه ابن سعد (1/ 191) وفيه قال ابن سعد: فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبى ﷺ وأن علماءهم وأهل السير منهم يقولون: لم يُقرن به غير جبريل من حين نزل عليه الوحى إلى أن قبض. وقال الصالحى فى «سبل الهدى» (2/ 230) وروى أحمد فى «تاريخه» بسند صحيح - فذكره.

(4) «سبل الهدى» (2/ 230).

(5) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (2017) بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبى شيبة (13/ 53) (14/ 291)، والبخارى (3851)، والترمذى (3621) من طرق عن هشام بن حسان، به.
ولفظه: «أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وأقام بالمدينة عشر سنين، فتوفى وهو ابن ثلاث وستين» قال الحافظ فى «الفتح» (8/ 151): وهو الموافق لقول الجمهور.

عليه القرآن، وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة». [1]

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا عمار بن أبى عمار، عن ابن عباس، قال: «أقام النبى ﷺ بمكة خمس عشرة سنة: سبع سنين يرى الضوء، ويسمع الصوت، وثمانى سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشر سنين»[2].

قال أبو شامة: وقد كان رسول الله ﷺ يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك: ما فى صحيح مسلم: عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلِّم علىَّ قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن**»[3]. انتهى كلامه.

وإنما كان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه، لما يراهم عليه من الضلال المبين، من عبادة الأوثان، والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه صلوات الله وسلامه عليه. وقد ذكر محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان ابن العلاء بن جارية قال: وكان واعية عن بعض أهل العلم قال: «**وكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء فى كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه. وكان من نسك قريش فى الجاهلية، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة**»[4]. وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك[5]، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين فى قريش، أنهم يجاورون فى حراء للعبادة، ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته المشهورة[6]:

---

(1) أخرجه أحمد (2242) وإسناده على شرطهما.
وأخرجه أحمد (2696)، وابن أبى شيبة (14/ 290)، وعبد بن حميد (1521)، والبخارى (4464) (4978)، والنسائى «كبرى» (7977)، والطبرانى (10726) من طريق شيبان عن يحيى عن أبى سلمة عن عائشة وابن عباس، معًا.
وأخرجه الطيالسى (2751)، وابن سعد (2/ 309)، وأحمد (3429)، ومسلم (2351) (118)، والطحاوى «مشكل» (2/ 385)، والطبرانى (18944)، والبيهقى (6/ 208)، و«دلائل» (7/ 239)، من طريق حماد بن سلمة عن أبى جمرة عن ابن عباس.
وأخرجه أحمد (3503) من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس وأخرجه أحمد (3516)، والبخارى (3903)، ومسلم (2351)، والترمذى (3652)، والطبرانى (11205)، والبغوى (3480)، عن عمرو بن دينار عن ابن عباس بإسقاط عكرمة.

(2) أخرجه أحمد (2523) ورجاله رجال الصحيح.

(3) أخرجه مسلم (2277)، وأحمد (5/ 89) والدارمى (20)، وابن حبان (6482).

(4) **إسناده ضعيف** : لجهالة شيوخ عبد الملك أخرجه ابن إسحاق (ص 167-168) وعنه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 146).

(5) **مرسل إسناده حسن** : أخرجه ابن إسحاق (1/ 163)، وابن جرير (1/ 532). وقال الحافظ (8/ 585) مرسل.

(6) «الروض الأنف» (3/ 90).

وَثَوْرٍ ومَنْ أرْسَى ثَبِيراً مَكانَهُ * وراقٍ لبِرٍّ في حِراءٍ ونَازِلِ

هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلى[1]، وأبو شامة، وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى رحمهم الله، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه: وراق ليرقى فى حراء ونازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم.

وحراء: يقصر ويمدّ ويصرف ويمنع، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاث أميال منها عن يسار المارّ إلى منى، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية، والغار فى تلك الحنية، وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج:

فَلاَ ورَبِّ الآمنِاتِ القُطّي * ورَبِّ رُكْنٍ مِن حِراءٍ فنْحَنِي

وقوله فى الحديث: «والتحنث التعبد»، تفسير بالمعنى، وإلا فحقيقة التحنث من حيث البنْيَة فيما قاله السهيلى[2] الدخول فى الحنث، ولكن سُمعت ألفاظ قليلة فى اللغة معناها الخروج مَن ذلك الشيء. فتحنث: أى خرج من الحنث، وتحوب، وتحرج، وتأثم، وتهجد وهو ترك الهجود وهو: النوم للصلاة، وتنجس وتقذر، أوردها أبو شامة. وقد سئل ابن الأعرابى عن قوله يتحنث أى يتعبد. فقال: لا أعرف هذا إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام. قال ابن هشام: والعرب تقول التحنث والتحنف يبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جدث وجدف.[3] كما قال رؤبة:

لو كان أَحْجارى مع الأجداف

يريد الأجداث. قال: وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول: فُمَّ[4] فى موضع ثمَّ. قلت: ومن ذلك قول بعض المفسرين فى قوله تعالى: ﴿وفُومِهَا﴾ أن المراد ثومها.

وقد اختلف العلماء فى تعبده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا؟ وما ذلك الشرع؟ فقيل: شرع نوح، وقيل: شرع إبراهيم، وهو الأشبه الأقوى. وقيل: موسى، وقيل: عيسى، وقيل: كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه، وعمل به. ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر فى أصول الفقه. والله أعلم.

وقوله: حتى فجئه الحق وهو بغار حراء: أى جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الآية (القصص:86).

وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:1-5). وهى أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك فى التفسير، وكما سيأتى أيضاً فى يوم الاثنين كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ : سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه، ويوم أنزل علىّ فيه**».[5]

---

(1) «الروض الأنف» (3/ 90).

(2) «الروض» (2/ 390).

(3، 4) «السيرة» (1/ 235).

(5) رواه مسلم (1162).

وقال ابن عباس: «ولد نبيكم محمد ﷺ يوم الاثنين، ونبئ يوم الاثنين»[1]. وهكذا قال عبيد ابن عمير، وأبو جعفر الباقر، وغير واحد من العلماء: أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين، وهذا ما لا خلاف فيه بينهم.

ثم قيل: كان ذلك فى شهر ربيع الأول، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام، فى الثانى عشر من ربيع الأول يوم الاثنين، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان، كما نصَّ على ذلك عبيد بن عمير، ومحمد بن إسحاق[2]، وغيرهما.

قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك بما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (البقرة: 185). فقيل فى ثانى عشره. وروى الواقدى بسنده عن أبى جعفر الباقر أنه قال: «كان ابتداء الوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان»[3]، وقيل فى الرابع والعشرين منه.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم، حدثنا عمران أبو العوام، عن قتادة، عن أبى المليح، عن واثلة بن الأسقع، أن رسول الله ﷺ قال: «**أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»[4]. وروى ابن مردويه فى تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه[5]، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين.

وأما قول جبريل: «اقرأ». فقال: «**ما أنا بقارئ**» فالصحيح أن قوله: «**ما أنا بقارئ**» نفى: أى لست ممن يحسن القراءة. وممن رجحه النووى، وقبله الشيخ أبو شامة، ومن قال: إنها استفهامية فقوله بعيد؛ لأن الباء لا تزاد فى الإثبات. ويؤيد الأول رواية أبى نعيم من حديث المعتمر بن سليمان، عن أبيه: فقال رسول الله ﷺ وهو خائف يرعد: «ما قرأت كتاباً قط، ولا أحسنه، وما أكتب، وما أقرأ» فأخذه جبريل فغتَّه غتاً شديداً. ثم تركه. فقال له: اقرأ. فقال محمد ﷺ: «**ما أرى شيئاً أقرؤه، وما أقرأ، وما أكتب**»[6]. يروى «فغطنى» كما فى (الصحيحين)[7]، و«غتنى»، ويروى «قد غتنى»[8]: أى خنقنى حتى بلغ منى الجهد، يروى بضم الجيم، وفتحها، وبالنصب، وبالرفع، وفعل به ذلك ثلاثاً.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) ابن هشام (1/ 239).

(3) أخرجه ابن سعد (1/ 194) بسند فيه الواقدى.

(4) **حسن**: أخرجه أحمد (16984)، والطبرانى (2814)، والطبرانى (22/ 185)، وفى «الأوسط» (3752)، والبيهقى فى «السنن» (9/ 188)، وفى «الشعب» (2248)، وحسنه الألبانى فى «الصحيحة» (1575).

(5) **جاء مرفوعاً وموقوفاً**: رواه أبو يعلى (2190)، والبيهقى فى «الأسماء» (ص 233-234) ولا يصح.

(6) **مرسل أو معضل**: أخرجه ابن عساكر (17/ 762-763) عن المعتمر، به.

(7) انظر «البخارى» (3) (4953) (6982)، ومسلم (160).

(8) انظر: «تاريخ الطبرى» (2/ 298).

قال أبو سليمان الخطابى: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره، ويحسن تأديبه، فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم، وتأخذه الرُّحضاء: أى البهر والعرق. وقال غيره: إنما فعل ذلك لأمور: منها: أن يستيقظ لعظمة ما يلقى إليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل:5). ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحى يحمرُّ وجهه، ويغطّ كما يغطّ البكر من الإبل، ويتفصد جبينه عرقاً فى اليوم الشديد البرد.

وقوله: «فرجع بها رسول الله ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده». وفى رواية: «بوادره»[1]، جمع بادرة. قال أبو عبيد: وهى لحمة بين المنكب والعنق. وقال غيره: هى عروق تضطرب عند الفزع[2]، وفى بعض الروايات «ترجف بآدله» واحدتها بادلة. وقيل: بادل، وهو ما بين العنق والترقوة، وقيل: أصل الثدى، وقيل: لحم الثديين، وقيل: غير ذلك.

فقال: «**زملونى، زملونى**» فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة: «مالى؟ أى شيء عرض لى؟» وأخبرها ما كان من الأمر. ثم قال: «**لقد خشيت على نفسى**». وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك. ولا كان فى خلده. ولهذا قالت خديجة: أبشر، كلا والله لا يخزيك الله أبداً. قيل: من الخزى، وقيل: من الحزن، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد فى خلقه أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يخزى فى الدنيا، ولا فى الآخرة، ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة. فقالت: «إنك لتصل الرحم، وتصدُق الحديث» وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق، «وتحمل الكَلّ». أى عن غيرك تعطى صاحب العيلة ما يريحه من ثقل مؤنة عياله. «وتكسب المعدوم» أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك، ويسمى الفقير معدوماً؛ لأن حياته ناقصة. فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم:

ليسَ مَن ماتَ فاستراحَ بِمَيْتٍ * إنَّما المَيْتُ مَيّتُ الأحياءِ

وقال أبو الحسن التهامى، فيما نقله عنه القاضى عياض فى شرح مسلم:

عُدَّ ذا الفقر مَيِّتًا وكِساه * كَفَنًا باليًا ومأواه قَبْرًا

وقال الخطابى: الصواب وتكسب المعدم، أى: تبذل إليه، أو يكون وتكسب المعدوم: تعطيه مالاً يعيش به. واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى أن المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى: أى يعطى المال لمن هو عادمه. ومن قال إن المراد أنك تكسب باتجارك المال المعدوم، أو النفيس القليل النظير، فقد أبعد النجعة، وأغرق فى النزع، وتكلف ما ليس له به علم، فإن مثل هذا لا يمدح به غالباً، وقد ضعَّف هذا القول عياض، والنووى وغيرهما[3]، والله أعلم. و«تقرى الضيف»: أى تكرمه فى تقديم قراه، وإحسان مأواه. و«تعين على نوائب الحق»، ويروى «الخير»: أى إذا وقعت نائبة لأحد فى خير أعنت فيها، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش.

---

(1) انظر: «صحيح البخارى» (4953).

(2) هذا ما رجحه الحافظ فى «الفتح» (1/ 124).

(3) انظر فى هذا كله الفتح (1/ 124)، وشرح مسلم (2/ 201)، وسبل الهدى (2/ 250).

وقوله: «ثم أخذتْه فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخاً كبيراً قد عمى». وقد قدَّمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله. وأنه كان ممن تنصر فى الجاهلية، ففارقهم وارتحل إلى الشام، هو وزيد بن عمرو، وعثمان بن الحويرث، وعبيد الله بن جحش، فتنصروا كلهم؛ لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق، إلا زيد بن عمرو بن نفيل؛ فإنه رأى فيه دخلاً، وتخبيطاً، وتبديلاً، وتحريفاً، وتأويلاً، فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً. وبشروه الأحبار والرهبان بوجود نبى، قد أزف زمانه، واقترب أوانه، فرجع يتطلب ذلك، واستمر على فطرته، وتوحيده. لكن اخترمته المنية قبلَ البعثة المحمدية. وأدركها ورقة بن نوفل، وكان يتوسمها فى رسول الله ﷺ ، كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له، وما هو منطو عليه من الصفات الطاهرة الجميلة، وما ظهر عليه من الدلائل، والآيات. ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله ﷺ وجاءت به إليه فوقفت به عليه، وقالت: «ابن عم اسمع من ابن أخيك». فلما قص عليه رسول الله ﷺ خبر ما رأى قال ورقة: سبُّوح سبُّوح، هذا الناموس الذى أنزل على موسى، ولم يذكر عيسى، وإن كان متأخراً بعد موسى؛ لأنه كانت شريعته متممة، ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام، ونسخت بعضها على الصحيح من قول العلماء. كما قال: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران:50) وقول ورقة هذا كما قالت الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف:30). ثم قال ورقة: «يا ليتنى فيها جذعاً» أى يا ليتنى أكون اليوم شاباً متمكناً من الإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح[1]، «يا ليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك»: يعنى حتى أخرج معك وأنصرك؟ فعندها قال رسول الله ﷺ : «**أو مخرجى هم؟**» قال السهيلى: وإنما قال ذلك؛ لأن فراق الوطن شديد على النفوس، فقال: «نعم! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى. وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً»: أى أنصرك نصراً عزيزاً أبداً. وقوله: «ثم لم ينشب ورقة أن توفى»: أى توفى بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضى عنه، فإن مثل هذا الذى صدر عنه تصديق بما وجد، وإيمان بما حصل من الوحى، ونية صالحة للمستقبل.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، عن ابن لهيعة، حدثنى أبو الأسود، عن عروة، عن عائشة: أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: «**قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار، لم يكن عليه ثياب بياض**»[2]. وهذا إسناد حسن، لكن رواه الزهرى، وهشام، عن عروة مرسلاً[3] فالله أعلم. وروى الحافظ أبو يعلى، عن سريج بن يونس، عن إسماعيل، عن مجالد، عن الشعبى، عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة ابن نوفل فقال: «**أبصرته فى بطنان الجنة، وعليه السندس**».

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: «**يبعث يوم القيامة أمة وحده**». وسئل عن أبى طالب فقال: «**أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها**». وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل

(1) انظر «سبل الهدى» (2/ 249-250)، و«الروض الأنف» (2/ 421).

(2) **إسناده ضعيف** : فسماع حسن بن موسى من ابن لهيعة بعد ما احترقت كتبه وساء حفظه. أخرجه أحمد (6/ 65).

(3) رواه عبد الرزاق (9709) بلاغًا، وابن عساكر (17/ 767).

الفرائض وأحكام القرآن. فقال: «**أبصرتها على نهر فى الجنة، فى بيت من قصب، لا صخب فيه، ولا نصب**»[1]. إسناد حسن، ولبعضه شواهد فى (الصحيح)[2]، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا ورقة؛ فإنى رأيت له جنة، أو جنتين**». وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبى سعيد الأشج، عن أبى معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة.[3] وهذا إسناد جيد، وروى مرسلاً وهو أشبه.

وروى الحافظان البيهقى، وأبو نعيم، فى كتابيهما (دلائل النبوة) من حديث يونس بن بكير، عن يونس بن عمرو، عن أبيه، عن عمرو بن شرحبيل، أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «**إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر**». قالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك. فوالله إنك لتؤدى الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثَمَّ ذكرت له خديجة فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر. فقال انطلق بنا إلى ورقة. قال: «ومن أخبرك؟» قال: خديجة. فانطلقا إليه فقصا عليه. فقال رسول الله ﷺ: «إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى: يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً فى الأرض». فقال له: لا تفعل. إذا أتاك فاثبت، حتى تسمع ما يقول لك، ثم ائتنى فأخبرنى. فلما خلا ناداه يا محمد قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة:١-٧) قل لا إله إلا الله. فأتى ورقة فذكر له ذلك، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر. فأنا أشهد أنك الذى بشَّر بك ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبى مرسل، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا. ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك. فلما توفى قال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير؛ لأنه آمن بى وصدقنى**»[4]. يعنى: ورقة. هذا لفظ البيهقى. وهو مرسل وفيه غرابة، وهو كون الفاتحة أول ما نزل. وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان، وعقده عليه، وتأكده عنده. وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة، وكيف كانت الغمامة تظلله فى هجير القيظ. فقال ورقة فى ذلك أشعاراً قدمناها قبل هذا، منها قوله:

---

(1) أخرجه أبو يعلى (2043)، وإسناده ضعيف، لضعف مجالد وهو ابن سعيد. قال الهيثمى (9/ 416) فيه مجالد وهذا مما مدح من حديث مجالد، وبقية رجاله رجال الصحيح.
قلت: لبعضه شواهد سبق ذكرها.

(2) انظر صحيح البخارى (1792) (3819).

(3) **صحيح**: أخرجه البزار «كشف» (2750)، والحاكم وابن عساكر (17/ 767)، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (7320)، وفى «الصحيحة» (405).

(4) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 158-159)، وقال عقبه: فهذا منقطع. فإن كان محفوظًا فيحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعدما نزلت عليه، اقرأ باسم ربك، ويا أيها المدثر، والله أعلم، وأخرجه من طريقه ابن عساكر (66/ 5-6) وإسناده فيه من لم أعرفه غير أنه مرسل.

لَجِجْتُ وكُنْتُ فى الذِّكْرَى لَجُوجًا * لأَمْرٍ طالَمَا بعثَ النَّشِيجَا

ووَصْفٍ مِن خديجةَ بَعْدَ وَصْفٍ * فقد طالَ انتظاري يا خَديجَا

ببطنِ المكَتَّيْنِ على رجائى * حديثَك أَنْ أرى منه خُروجَا

بما خَبَّرْتِنا مِن قَوْلِ قَسٍّ * مَن الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أن يَعُوجَا

بأنَّ محمداً سيسودُ قومًا * ويَخْصِمُ مَن يكونُ له حَجِيجَا

ويُظْهِرُ في البلادِ ضياءَ نور * يُقيمُ به البريَّةَ أَنْ تَمُوجَا

فيَلْقَى مَن يُحارِبُهُ خَسَارًا * ويَلْقَى مَن يُسالِمُهُ فُلُوجَا

فيا ليتى إذا ما كان ذاكمْ * شَهِدْتُ وكُنْتُ أوَّلَهُمْ وُلُوجَا

وَلُوجًا فى الذي كرِهتْ قريشٌ * ولَو عجَّتْ بمكَّتِها عَجِيجَا

أُرَجِّى بالذى كرِهوا جَميعًا * إلى ذي العرشِ إذ سَفَلوا عُروجَا

فإنْ يَبْقَوْا وأَبْقَ يكُنْ أُمورٌ * يَضِجُّ الكافرونَ لها ضَجِيجَا

وقال أيضاً فى قصيدته الأخرى:

وأَخبارَ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عن محمدٍ * يُخْبِّرُها عنه إذا غابَ ناصحُ

بأنَّ ابنَ عبدِ اللهِ أحمدَ مُرْسَلٌ * إلى كلٍّ من ضُمَّتْ عليه الأباطحُ

وظنِّي به أنْ سوفَ يُبْعَثُ صادِقًا * كما أُرسِلَ العَبْدان هُودٌ وصالحُ

وموسَى وإبراهيمُ حتَّى يُرى له * بهاءٌ ومَنْشور مِن الذّكرِ واضحُ

ويَتْبَعُه حيًّا لُؤَىٍّ بنِ غالبٍ * شبابُهم والأشْيَبونَ الجَحَاجحُ

فإن أَبْقَ حتَّى يُدْرِكَ الناسَ دَهْرُهُ * فإنِّى به مُسْتَبْشِرُ الوُدِّ فارحُ

وإلا فإنِّى يا خديجةُ فاعْلَمي * عن أَرْضِكِ في الأَرْضِ العريضَةِ سائحُ

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال ورقة:

فإن يَكُ حقًا يا خديجةُ فاعلمي * حديثَكَ إيّانا فأحمدُ مُرْسَلُ

وجبريلُ يأتيه وميكالُ معْهُما * من اللهِ وحْيٌ يشرحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ

يفوزُ به مَنْ فَازَ فيها بتوبةٍ * ويَشْقَى به العَاتى الغَريرُ المضلَّلُ

فريقانِ مِنهمْ فِرقَةٌ في جِنانِهِ * وأُخرى بأحوازِ الجحيمِ تُعلَّلُ

إذا ما دَعَوْا بالوَيْلِ فيها تَتابَعَتْ * مَقامِعُ في هاماتِهِمْ ثَمَّ تُشْعَلُ

فسُبحانَ من تَهوِي الرِّياحُ بأمْرِهِ * ومَنْ هو في الأيامِ ما شاءَ يَفْعَلُ

ومَنْ عَرْشُه فَوقَ السَّماواتِ كلِّها * وأقضاؤُه في خَلْقِهِ لا تُبدَّلُ

وقال ورقة أيضاً:

يا لَلرِّجالِ وصَرْفِ الدَّهْرِ والقدَرِ * وما لشيء قَضاهُ اللهُ من غِيَرِ
حتي خديجةُ تَدْعُونى لأُخْبِرَها * وما لها بِخَفيِّ الغَيْبِ من خَبَرِ
جاءتْ لتسألني عنه لأُخْبِرَها * أمْراً أراه سيأتِي الناسَ من أُخَرِ
فخبَّرَتْنى بأمر قد سَمِعْتُ به * فيما مَضَى من قديم الدَّهْرِ والعُصُرِ
بأنَّ أحمدَ يأتيه فيُخْبِرُه * جبريلُ أنَّكَ مَبعوثٌ إلى البَشَرِ
فقُلْتُ عَلَّ الذي تَرْجِينَ يُنجِزُه * لكِ الإلهُ فَرَجِّى الخيرَ وانتَظِرِى
وأرْسِليه إلينا كي نُسَائِلَه * عَن أمْرِهِ ما يَرَى في النوم والسَّهَرِ
فقالَ حينَ أتانا مَنطِقًا عَجَبًا * يَقِفُ منه أعالى الجِلْدِ والشَّعَرِ
إنِّي رَأَيْت أَمِينَ اللهِ واجَهَنى * في صورةٍ أُكْمِلَتْ من أعظم الصُّوَرِ
ثُم استمرَّ فكاد الخوفُ يُذْعِرنى * ممَّا يُسلِّمُ مِنْ حَولى من الشَّجَرِ
فقُلْتُ ظَنِّى وما أَدْرِى أيَصْدُقُنى * أن سوفَ يُبْعَثُ يَتْلُو مُنَزَّلَ السُّوَرِ
وسوفَ أُبْلِيكَ إنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهم * مِن الجِهادِ بِلا مَنٍّ ولا كَدَرِ

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقى من الدلائل(1)، وعندى فى صحتها عن ورقة نظر والله أعلم.

وقال ابن إسحاق: حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى وكان واعية عن بعض أهل العلم: «أن رسول الله ﷺ -حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة- كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسر عنه البيوت، ويفضى إلى شعاب مكة، وبطون أوديتها، فلا يمر بحجر، ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. قال فيلتفت حوله عن يمينه، وعن شماله، وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة. فمكث كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله، وهو بحراء فى رمضان».(2)

قال ابن إسحاق: وحدثنى وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى: حدثنا يا عبيد، كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، حين جاءه جبريل قال: فقال عبيد -وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس-: «كان رسول الله ﷺ يجاور فى حراء فى كل سنة شهراً قال: وكان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية(3)،

---

(1) انظر «الدلائل» (2/ 150-151).

(2) **حسن** : أخرجه ابن إسحاق (1/ 162) وهو مرسل إسناده حسن. وأخرجه الحاكم (2/ 620)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 146)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص 138) من طريق ابن إسحاق موصولاً عن على ابن أبى طالب، وقال الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص 95) حسن.

(3) رواه ابن إسحاق كما فى «السيرة» (1/ 163) وهو مرسل إسناده حسن - وسبق ذكره.

والتحنث: التبرر. فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به، إذا انصرف من جواره الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التى بعثه فيها. وذلك الشهر رمضان، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد به، جاءه جبريل بأمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ : «**فجاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب. فقال اقرأ، قلت ما أقرأ؟ قال: فغتنى حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى. فقال: اقرأ؛ قال: قلت ما أقرأ؟ قال: فغتنى حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى. فقال اقرأ، قلت ما أقرأ؟ قال: فغتنى حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى. فقال اقرأ، قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى. فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ **قال: فقرأتها، ثم انتهى وانصرف عنى، وهببت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتاباً. قال فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل. قال: فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء، يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل. فوقفت أنظر إليه، فما أتقدم، وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء، فما أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك. فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامى، وما أرجع ورائى، حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى، فبلغوا مكة ورجعوا إليها، وأنا واقف فى مكانى ذلك، ثم انصرف عنى. وانصرفت راجعاً إلى أهلى، حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها**. فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة، ورجعوا إلىّ. **ثم حدثتها بالذى رأيت.** فقالت: أبشر يا ابن عم، واثبت، فوالذى نفس خديجة بيده، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة. ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة ابن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ . فقال ورقة: قدوس، قدوس، والذى نفس ورقة بيده؛ لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، وإنه لنبى هذه الأمة، وقولى له: فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة. فقال: يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت، فأخبره. فقال له ورقة: والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى، ولتكذبنه، ولتؤذينه، ولتخرجنه، ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يأفوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله»[1]. وهذا الذى ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة، كما تقدم من قول عائشة رضى الله عنها، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه فى اليقظة صبيحة ليلتئذ، ويحتمل أنه كان بعده بمدة، والله أعلم.

---

(1) رواه ابن إسحاق (1/ 164-166)، وهو مرسل إسناده حسن - وله شواهد.

وقال موسى بن عقبة: عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، قال: «وكان فيما بلغنا أول ما رأى -يعنى: رسول الله ﷺ - أن الله تعالى أراه رؤيا فى المنام، فشق ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب، وشرح صدرها للتصديق. فقالت: أبشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيراً، ثم إنه خرج من عندها، ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر، ثم أعيد كما كان. قالت: هذا والله خير فأبشر. ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة، فأجلسه على مجلس كريم معجب كان النبى ﷺ يقول: «**أجلسنى على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت، واللؤلؤ**»، فبشره برسالة الله عز وجل، حتى اطمأن رسول الله ﷺ . فقال له جبريل: اقرأ، فقال: كيف أقرأ؟ فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قال: ويزعم ناس أن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أول سورة أنزلت عليه، والله أعلم.[1] قال فقبل رسول الله ﷺ رسالة ربه، واتبع ما جاءه به جبريل من عند الله، فلما انصرف منقلباً إلى بيته، جعل لا يمرُّ على شجر، ولا حجر، إلا سلَّم عليه، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً. فلما دخل على خديجة قال: أرأيتك التى كنت أحدثك أنى رأيته فى المنام فإنه جبريل استعلن إلىّ، أرسله إلىّ ربى عزَّ وجل، وأخبرها بالذى جاءه من الله وما سمع منه. فقالت: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، واقبل الذى جاءك من أمر الله فإنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقاً. ثم انطلقت مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له: عداس، فقالت له: يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل؟ فقال عداس: قدوس قدوس، ما شأن جبريل يُذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل الأوثان؟ فقالت: أخبرنى بعلمك فيه. قال: فإنه أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام. فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبى ﷺ وما ألقاه إليه جبريل. فقال لها ورقة: يا بنية أخى ما أدرى لعل صاحبك النبى الذى ينتظر أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل، وأقسم بالله لئن كان إياه، ثم أظهر دعاءه وأنا حى لأبلين الله فى طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر. فمات ورقة رحمه الله. قال الزهرى: فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ﷺ »[2]. قال الحافظ البيهقى بعد إيراده ما ذكرناه: والذى ذكر فيه من شق بطنه، يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به فى صباه -يعنى: شق بطنه عند حليمة- ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى، ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء.[3] والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمى. قال: «بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شيء اختصه به من النبوة، والكرامة رؤيا كان يراها، فقصَّ ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد، فقالت له: أبشر

---

(1) **مرسل إسناده صحيح** : أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 142-145) من طريق موسى، به.
والدرنوك - نوع من الثياب.

(2) ذكره المؤلف مختصراً، وقد رواه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 144-145) مطولاً، بالإسناد السابق.

(3) رواه البيهقى (2/ 146) مرسلاً بإسناد ضعيف.

فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً. فبينما هو ذات يوم فى حراء، وكان يفر إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله ﷺ مخافة شديدة، فوضع جبريل يده على صدره، ومن خلفه بين كتفيه. فقال: اللهم احطط وزره، واشرح صدره، وطهر قلبه، يا محمد أبشر !فإنك نبى هذه الأمة. اقرأ، فقال له نبى الله: وهو خائف يرعد ما قرأت كتاباً قط، ولا أحسنه، وما أكتب، وما أقرأ. فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً، ثم تركه، ثم قال له: اقرأ، فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك، فرأى فيه من صفائه، وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت، وقال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الآيات، ثم قال له: لا تخف يا محمد إنك رسول الله، ثم انصرف وأقبل على رسول الله ﷺ همه فقال كيف أصنع؟ وكيف أقول لقومى؟ ثم قام رسول الله ﷺ وهو خائف، فأتاه جبريل من أمامه فى صورة نفسه، فأبصر رسول الله ﷺ أمراً عظيماً ملأ صدره. فقال له جبريل: لا تخف يا محمد: جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله، فأيقن بكرامة الله، فإنك رسول الله. فرجع رسول الله ﷺ لا يمر على شجر ولا حجر إلا هو ساجد يقول: السلام عليك يا رسول الله. فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه، فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفزعها ذلك، فقامت إليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول: لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم. فقال: يا خديجة أرأيت الذى كنت أرى فى المنام، والصوت الذى كنت أسمع فى اليقظة، وأهال منه، فإنه جبريل قد استعلن لى وكلمنى وأقرأنى كلاماً فزعت منه ثم عاد إلىّ فأخبرنى أنى نبى هذه الأمة، فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجر، وحجارة، فقلن السلام عليك يا رسول الله. فقالت خديجة: أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً وأشهد أنك نبى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود، قد أخبرنى به ناصح غلامى وبحيرى الراهب، وأمرنى أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة. فلم تزل برسول الله ﷺ حتى طعم وشرب وضحك، ثم خرجت إلى الراهب، وكان قريباً من مكة، فلما دنت منه وعرفها. قال: ما لك يا سيدة نساء قريش؟ فقالت: أقبلت إليك لتخبرنى عن جبريل؟ فقال: سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يُذكر فى هذه البلاد التى يعبد أهلها الأوثان؟ جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله، وهو صاحب موسى، وعيسى، فعرفت كرامة الله لمحمد. ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له: عداس فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد. قال: جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه، وكان معه حين كلمه الله على الطور، وهو صاحب عيسى ابن مريم الذى أيده الله به. ثم قامت من عنده، فأتت ورقة بن نوفل، فسألته عن جبريل، فقال لها مثل ذلك، ثم سألها ما الخبر فأحلفته أن يكتم ما تقول له، فحلف لها. فقالت له: إن ابن عبد الله ذكر لى -وهو صادق، أحلف بالله ما كذب ولا كُذب- أنه نزل عليه جبريل بحراء، وأنه أخبره أنه نبى هذه الأمة، وأقرأه آيات أرسل بها. قال: فذعر ورقة لذلك، وقال: لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض، وما نزل إلا على نبى، وهو صاحب الأنبياء والرسل، يرسله الله إليهم وقد صدقتك عنه، فأرسلى إلىّ ابن عبد الله أسأله، وأسمع من قوله، وأحدثه، فإنى أخاف أن يكون غير جبريل، فإن بعض الشياطين

يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلهاً مجنوناً. فقامت من عنده، وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ورقة، فأنزل الله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ الآيات (القلم:1، 2). فقال لها: كلا والله إنه لجبريل. فقالت له: أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله ﷺ فقال له ورقة: هذا الذى جاءك، جاءك فى نور أو ظلمة؟ فأخبره رسول الله ﷺ عن صفة جبريل، وما رآه من عظمته، وما أوحاه إليه. فقال ورقة: أشهد أن هذا جبريل، وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشىء تبلغه قومك وإنه لأمر نبوة فإن أُدرك زمانك أتبعك، ثم قال: أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به. قال: وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله ﷺ فشق ذلك على الملأ من قومه، قال وفتر الوحى. فقالوا: لو كان من عند الله لتتابع، ولكن الله قلاه فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ و ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بكمالهما».[1]

وقال البيهقى: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس عن ابن إسحاق، حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى الزبير، أنه حُدث عن خديجة بنت خويلد: «أنها قالت لرسول الله ﷺ فيما بيّنه مما أكرمه الله به من نبوته: يا ابن عم تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك. فقال: نعم! فقالت: إذا جاءك فأخبرنى. فبينا رسول الله ﷺ عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله ﷺ. فقال: يا خديجة! هذا جبريل. فقالت: أتراه الآن؟ قال: نعم! قالت: فاجلس إلى شقى الأيمن، فتحول فجلس، فقالت: أتراه الآن؟ قال: نعم! قالت: فتحول فاجلس فى حجرى فتحول فجلس فى حجرها فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم! فتحسرت رأسها فشالت خمارها، ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها فقالت: هل تراه الآن؟ قال: لا. قالت: ما هذا بشيطان إن هذا الملك يا ابن عم، فاثبت وأبشر، ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق».[2]

قال ابن إسحاق: فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث، فقال: قد سمعت أمى فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنى سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام[3]. قال البيهقى: وهذا شىء كانت خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً. فأما النبى ﷺ فقد كان وثق بما قال له جبريل، وأراه من الآيات التى ذكرناها مرة بعد أخرى، وما كان من تسليم الشجر، والحجر عليه صلى الله عليه وسلم تسليماً.[4]

وقد قال مسلم فى صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا يحيى بن أبى بكير، حدثنا

---

(1) أخرجه ابن عساكر (66/ 13-16)، وهو معضل.

(2) رواه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 151-152) وهو معضل، ورواه ابن إسحاق (2/ 165) وعنه البيهقى، كما سبق.

(3) ضعيف: أخرجه ابن إسحاق (1/ 166)، وعنه البيهقى (2/ 152) وفيه انقطاع بين ابن إسحاق وعبد الله ابن حسن، وبين عبد الله بن حسن وفاطمة، وبين فاطمة وخديجة.

(4) «الدلائل» (2/ 152).

إبراهيم بن طهمان، حدثني سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنى لأعرف حجراً بمكة، كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن**».[1]

وقال أبو داود الطيالسى: حدثنا سليمان بن معاذ، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بمكة حجراً كان يسلم علىَّ ليالى بعثت، إنى لأعرفه إذا مررت عليه**».[2]

وروى البيهقى من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير، عن عباد بن عبد الله، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرج فى بعض نواحيها، فما استقبله شجر، ولا جبل، إلا قال السلام عليك يا رسول الله»[3]. وفى رواية: «**لقد رأيتنى أدخل معه الوادى فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، وأنا أسمعه**».[4]

فصل: [حزن النبي ﷺ عندما فتر عنه الوحي]

قال البخارى فى روايته المتقدمة: «ثم فتر الوحى فترة حتى حزن النبى ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه تبدَّى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقرَّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فَترة الوحى غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل، فقال له مثل ذلك».[5]

وفى الصحيحين من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن، يحدث عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى. قال: «فبينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجُئثتُ منه فرقاً، حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلى فقلت: «**زملونى زملونى**»، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: 1-5)، قال: ثم حمى الوحى وتتابع.[6] فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحى لا مطلقاً. ذاك قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ».

وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه، فإن فى سياق كلامه ما يدل على تقدم مجىء الملك الذى عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه. ثم قوله: يحدّث عن فَترة الوحى دليل على تقدم الوحى على هذا الإيحاء والله أعلم.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) أخرجه الطيالسى (781)، وعنه الترمذى (3624)، وأبو يعلى (7469)، وأحمد (21005)، والطبرانى (2028)، والبيهقى (2/ 153)، وأبو نعيم (300) كلاهما فى «الدلائل»، بهذا الإسناد، وهو إسناد حسن.

(3) **ضعيف** : أخرجه الترمذى (3626)، وضعفه، والبيهقى (2/ 154)، وضعفه الألبانى فى «ضعيف الترمذى» (747).

(4) **ضعيف** : الدلائل (2/ 154).

(5) تقدم تخريجه.

(6) أخرجه البخارى (4925)، ومسلم (161).

وقد ثبت فى (الصحيحين) من حديث على بن المبارك، وعند مسلم، والأوزاعى، كلاهما عن يحيى بن أبى كثير، قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أى القرآن أنزل قبل؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فقلت: أو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. فقال: سألت جابر بن عبد الله أى القرآن نزل قبل؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. فقلت: و ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى، نزلت فاستبطنت الوادى، فنوديت فنظرت بين يدى وخلفى وعن يمينى، وعن شمالى، فلم أر شيئاً، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش فى الهواء، فأخذتنى رعدة أو قال وحشة فأتيت خديجة فأمرتهم، فدثرونى، فأنزل الله:** ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ **حتى بلغ** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾»[1] وقال فى رواية: «**فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض، فجُئثتُ منه**»[2]. وهذا صريح فى تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحى من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم.

ومنهم: من زعم أن أول ما نزل بعد فَترة الوحى سورة: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ إلى آخرها. قاله محمد بن إسحاق.[3] وقال بعض القرَّاء: ولهذا كـبَّر رسول الله ﷺ فى أولها فرحاً وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبى الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فَترة الوحى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ولكن نزلت سورة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ بعد فَترة أخرى، كانت ليالى يسيرة كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما، من حديث الأسود بن قيس، عن جندب بن عبد الله البجلى، قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة: ما أرى شيطانك إلا تركك. فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.[4] وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة. وقد قال بعضهم: كانت مدة الفَترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصف، والظاهر والله أعلم أنها المدة التى اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبى، وغيره.[5] ولا ينفى هذا تقدم إيحاء جبريل إليه أولاً: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ثم حصلت الفترة التى اقترن معه ميكائييل ثم اقترن به جبريل بعد نزول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. «ثم حمى الوحى بعد هذا وتتابع -أى: تدارك شيئًا بعد شىء- وقام حينئذ رسول الله ﷺ فى الرسالة أتم القيام وشمَّر عن ساق العزم، ودعا إلى الله، القريب، والبعيد، والأحرار، والعبيد، فآمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد. فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق. ومن الغلمان: على بن أبى طالب. ومن النساء: خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام. ومن الموالى: مولاه زيد بن حارثة الكلبى رضى الله عنهم وأرضاهم. وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحى ومات فى الفَترة رضى الله عنه.

---

(1) أخرجه البخارى (4922)، ومسلم (258/ 161).

(2) أخرجه البخاري (4)، ومسلم (161).

(3) «السيرة» (ص 179).

(4) أخرجه البخارى (1124) (1125)، ومسلم (1797)، والترمذى (3345).

(5) تقدم الكلام عليه.

فصل: في منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن، لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفًا واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه، أن حجبهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن: 8-10)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ (الشعراء: 210، 212).

قال الحافظ أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد وهو الطبرانى حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد ابن أبى مريم، حدثنا محمد بن يوسف الفريابى، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحى فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زادوا فيكون باطلاً. فلما بعث النبى ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس، -ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك-. فقال لهم إبليس: هذا لأمر قد حدث فى الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلى بين جبلين، فأتوه فأخبروه. فقال: هذا الأمر الذى قد حدث فى الأرض».[1]

وقال أبو عوانة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: انطلق رسول الله ﷺ، وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين، وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم. فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. فقالوا: ما ذاك إلا من شىء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة، وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له. فقالوا: هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن: 1، 2)، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية (الجن: 1)» أخرجاه فى (الصحيحين).[2]

---

(1) **صحيح** : أخرجه أحمد (2482)، والترمذى (3324)، والطبرانى (12431)، والنسائى «كبرى» (11626) من طريق إسرائيل، به.
وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 239-240)، وأبو يعلى (2502) من طريق أبى إسحاق، به.
وأخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» (177)، والبيهقى (2/ 240) من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، به.

(2) أخرجه أحمد (2271)، والبخارى (773) (4921)، ومسلم (449)، والترمذى (3323)، والنسائى «كبرى» (11624) (11625)، وأبو يعلى (2369)، وابن حبان (6526)، والطبرانى (12449)، والحاكم (2/ 503)، من طريق أبى عوانة، بهذا الإسناد.

وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع، فإذا نزل الوحى سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديدة ألقيتها على الصفا، قال: فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رءُوسهم حتى ينزل. فإذا نزل قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فإن كان مما يكون فى السماء. قالوا: الحق وهو العلى الكبير، وإن كان مما يكون فى الأرض من أمر الغيب، أو موت، أو شيء مما يكون فى الأرض تكلموا به. فقالوا: يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم، فلما بعث محمد ﷺ دُحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف، فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة، وذو الإبل فينحر كل يوم بعيراً، فأسرع الناس فى أموالهم، فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا فإن كانت النجوم التى يهتدون بها وإلا فإنه لأمر حدث، فنظروا فإذا النجوم التى يهتدى بها كما هى لم يزل منها شيء فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا: أنصتوا وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه. فقال: هذا حدثٌ حدث فى الأرض، فأتونى من كل أرض بتربة، فأتوه بتربة تهامة، فقال: ههنا الحدث». ورواه البيهقى، والحاكم، من طريق حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب به.(1)

وقال الواقدى: حدثنى أسامة بن زيد بن أسلم، عن عمر بن عبدان العبسى، عن ابن كعب قال: «لم يُرم بنجم منذ رفع عيسى، حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمى بها، فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم، ويعتقون أرقاءهم، يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف، ففعلت ثقيف مثل ذلك، فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف. قال: ولم فعلتم ما أرى؟ قالوا: رمى بالنجوم، فرأيناها تهافت من السماء. فقال: إن إفادة المال بعد ذهابه شديد، فلا تعجلوا، وانظروا: فإن تكن نجوماً تعرف فهو عندنا من فناء الناس، وإن كانت نجوماً لا تعرف فهو لأمر قد حدث، فنظروا فإذا هى لا تعرف فأخبروه. فقال: الأمر فيه مهلة بعد، هذا عند ظهور نبى. فما مكثوا إلا يسيراً، حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله، فجاء عبد ياليل فذاكره أمر النجوم، فقال أبو سفيان: ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبى مرسل. فقال عبد ياليل: فعند ذلك رمى بها».(2)

وقال سعيد بن منصور، عن خالد بن حصين، عن عامر الشعبى. قال: «كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسولَ الله ﷺ فسيبوا أنعامهم، وأعتقوا رقيقهم. فقال عبد ياليل: انظروا فإن كانت النجوم التى تعرف فهو عند فناء الناس، وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث، فنظروا فإذا هى لا تعرف. قال: فأمسكوا، فلم يلبثوا إلا يسيراً، حتى جاءهم خروج النبى ﷺ».(3)

---

(1) أخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» (177)، وابن أبى شيبة (18391) من طريق محمد بن فضيل، وأخرجه البيهقى (2/ 240-241) من طريق حماد بن سلمة كلاهما عن عطاء، به.

(2) رواه الواقدى وأبو نعيم كما فى «الخصائص» للسيوطى (1/ 111) وإسناده ضعيف جدًا، الواقدى متروك، وأسامة ضعيف.

(3) معضل أو مرسل أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 241) عن سعيد، بهذا الإسناد.

وروى البيهقى، والحاكم، من طريق العوفى، عن ابن عباس قال: «لم تكن سماء الدنيا تحرس فى الفَترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه»(1). فلعل مراد من نفى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة. ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت فى الحديث من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى، عن على بن الحسين، عن ابن عباس رضى الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رمى بنجم فاستنار فقال: «**ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا؟**». قالوا: كنا نقول مات عظيم، وولد عظيم. فقال: «**لا ولكن**»(2). فذكر الحديث كما تقدم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب فى أول بدء الخلق ولله الحمد.

وقد ذكر ابن إسحاق فى السيرة قصة رمى النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم فى النظر فى النجوم: إن كانت أعلام السماء أو غيرها(3)، ولكن سماه عمرو بن أمية، فالله أعلم.

وقال السدى: «لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون فى الأرض نبى أو دين لله ظاهر، وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد فى سماء الدنيا يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر. فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً، رجموا ليلة من الليالى ففزع لذلك أهل الطائف. فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار فى السماء، واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم، ويسيبون مواشيهم. فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم، وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء، وإنما هو من أجل ابن أبى كبشة، وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء. فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم، وفزعت الشياطين فى تلك الليلة، فأتوا إبليس، فقال: ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب. فأتوه فشمَّ. فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة، فوجدوا رسول الله ﷺ فى المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن، حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله أمرهم على نبيه ﷺ».

وقال الواقدى: حدثنى محمد بن صالح، عن ابن أبى حكيم -يعنى: إسماعيل- عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة قال: «لما بعث رسول الله ﷺ أصبح كل صنم منكساً، فأتت الشياطين إبليس، فقالوا له: ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً. قال: هذا نبى قد بعث فالتمسوه فى قرى الأرياف، فالتمسوه، فقالوا: لم نجده. فقال: أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودى: عليك بحبة القلب

---

(1) **إسناده ضعيف**: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 241) والعوفى ضعيف ولم يسمع من ابن عباس.

(2) إسناده صحيح على شرطهما: أخرجه أحمد (1882)، وعبد بن حميد (683)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 238) من طريق عبد الرزاق، به.

وأخرجه الترمذى (3224) من طريق عبد الأعلى، عن معمر، به.

وأخرجه مسلم (2229)، والطحاوى «مشكل» (3/ 113) والبخارى فى «خلق أفعال العباد» (469) والنسائى «كبرى» (11272) من طرق عن الزهرى، به.

(3) «السيرة» (1/ 206).

يعنى: مكة فالتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب، فخرج إلى الشياطين. فقال: إنى قد وجدته معه جبريل، فما عندكم؟ قالوا: نزين الشهوات فى أعين أصحابه، ونحببها إليهم. قال: فلا آسى إذاً».(1)

وقال الواقدى: حدثنى طلحة بن عمرو، عن ابن أبى مليكة، عن عبد الله بن عمرو قال: «لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين السماء، ورموا بالشهب، فجاؤوا إلى إبليس فذكروا ذلك له. فقال: أمر قد حدث هذا نبى قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مخرج بنى إسرائيل. قال: فذهبوا إلى الشام، ثم رجعوا إليه، فقالوا: ليس بها أحد. فقال إبليس: أنا صاحبه، فخرج فى طلبه بمكة؛ فإذا رسول الله ﷺ بحراء منحدراً معه جبريل، فرجع إلى أصحابه. فقال: قد بعث أحمد ومعه جبريل، فما عندكم؟ قالوا: الدنيا نحببها إلى الناس. قال: فذاك إذاً».(2)

قال الواقدى: وحدثنى طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: «كانت الشياطين يستمعون الوحى، فلما بعث محمد ﷺ منعوا، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: لقد حدث أمر فرقى فوق أبى قبيس -وهو أول جبل وضع على الأرض- فرأى رسول الله ﷺ يصلى خلف المقام. فقال: أذهب فأكسر عنقه. فجاء يخطر وجبريل عنده، فركضه جبريل ركضة طرحه فى كذا وكذا فولى الشيطان هارباً»(3). ثم رواه الواقدى، وأبو أحمد الزبيرى، كلاهما عن رباح بن أبى معروف، عن قيس بن سعد، عن مجاهد، فذكر مثل هذا، وقال: فركضه برجله فرماه بعدن.

فصل: في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل فى أول مرة، وثانى مرة أيضاً.

وقال مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها: «أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ . قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال: «أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده علىّ فيفصم عنى وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقول». قالت عائشة رضى الله عنها: ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً» أخرجاه فى (الصحيحين) من حديث مالك به.(4) ورواه الإمام أحمد، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة به نحوه.(5) وكذا رواه عبدة بن سليمان، وأنس بن عياض، عن هشام بن عروة.(6)

---

(1) **إسناده ضعيف جداً** : أخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» (178) من طريق الواقدى، به.

(2) **إسناده ضعيف جداً** : أخرجه أبو نعيم (179) من طريق الواقدى، به.

(3) **إسناده كسابقه** : أخرجه أبو نعيم (180).

(4) أخرجه مالك (1/ 202-203)، وعنه أحمد (6/ 257)، والبخارى (2)، وفى «خلق أفعال العباد» (ص 83-84)، والترمذى (3634)، والنسائى (2/ 147-149)، وابن حبان (38)، والطبرانى (3345)، وغيرهم كثير، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (25252)، ومسلم (2333)، من طريق محمد بن بشر حدثنا هشام، به.

(5) أخرجه أحمد (25253)، وبن صالح متروك، وقد جعله من مسند الحارث بن هشام، والصحيح أنه من مسند عائشة. وأخرجه الطبرانى (3343)، والحاكم (3/ 279) من طريق أحمد، به.

(6) رواه الطبرانى (3346) بهذا الإسناد.

وقد رواه أيوب السختياني[1]، عن هشام، عن أبيه، عن الحارث بن هشام أنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: كيف يأتيك الوحي؟ فذكره، ولم يذكر عائشة. وفي حديث الإفك قالت عائشة: «فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه. فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء، حتى إنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي ينزل عليه».[2]

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرني يونس بن سليم، قال: أملى عليّ يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول: «كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل». وذكر تمام الحديث في نزول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:1)، وكذا رواه الترمذي، والنسائي من حديث عبد الرزاق[3]، ثم قال النسائي: منكر لا نعرف أحداً رواه، غير يونس بن سليم، ولا نعرفه.

وفي صحيح مسلم، وغيره، من حديث الحسن، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن عبادة بن الصامت. قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك، وتربد وجهه. -وفي رواية: وغمض عينيه- وكنا نعرف ذلك منه»[4]. وفي الصحيحين حديث زيد بن ثابت حين نزلت: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء:95)، فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. قال: «وكانت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي، وأنا أكتب، فلما نزل الوحي كادت فخذه ترض فخذي».[5]

وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى، عن عطاء، عن صفوان بن يعلى بن أمية عن يعلى بن أمية. قال: «قال لي عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة؛ فإذا هو محمرّ الوجه، وهو يغط كما يغط البكر»[6]. وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلاً، فقال عمر: «قد عرفناك يا سودة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فسألته -وهو جالس يتعشى والعرق في يده- فأوحى الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه فقال: «**إنه قد أذن لَكُنَّ أن تخرجن لحاجتكن**»[7]. فدلَّ هذا على أنه لم يكن الوحي يغيِّب عنه إحساسه بالكلية، بدليل أنه جالس لم يسقط، ولم يسقط العرق أيضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه.

---

(1) رواه الطبراني (3344) وانظر «علل الدارقطني» (5/ 36).
(2) حديث الإفك سيأتي بطوله، وانظر صحيح البخاري (2661)، (4141)، ومسلم (2770).
(3) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (223)، وعبد بن حميد (15)، والنسائي «كبرى» (1439)، والعقيلي في «الضعفاء» (4/ 460)، والحاكم (2/ 392) من طرق عن عبد الرزاق، به.
وفيه يونس بن سُليم وهو مجهول.
(4) أخرجه مسلم (1690)، والنسائي «كبرى» (7143)، وأحمد (5/ 318).
(5) أخرجه البخاري (2831) (2832)، ومسلم (1898).
(6) صحيح مسلم (1180).
(7) أخرجه البخاري (3795) (5237)، ومسلم (2170).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عباد بن منصور، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس. قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي تربَّد لذلك جسده ووجهه، وأمسك عن أصحابه، ولم يكلمه أحد منهم»(1). وفي (مسند أحمد)، وغيره، من حديث ابن لهيعة: حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو: قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال: «**نعم أسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك، وما من مرة يوحى إليَّ إلا ظننت أن نفسي تفيظ منه**».(2)

وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن الحجاج، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم ابن كليب، حدثنا أبي عن خاله الفلتان بن عاصم. قال: «كنا عند رسول الله ﷺ وأنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه، وفرغ سمعه وقلبه، لما يأتيه من الله عز وجل»(3). وروى أبو نعيم من حديث قتيبة، حدثنا علي بن غراب، عن الأحوص بن حكيم، عن أبي عون، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة. قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء». هذا حديث غريب جداً. (4)

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية شيبان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد. قالت: «إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة». وقد رواه أبو نعيم(5) من حديث الثوري، عن ليث بن أبي سليم به. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حُيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: «أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها».(6)

وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل، عن عاصم الأحول، حدثتني أم عمرو، عن عمها:

---

(1) **إسناده ضعيف**: لضعف عباد بن منصور، ولم أعثر عليه في المسند المطبوع الآن.

(2) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (7071)، وإسناده ضعيف، عمرو بن الوليد فيه جهالة، وتدليس يزيد وقد عنعنه، وسماع قتيبة من ابن لهيعة قديماً.

(3) إسناده جيد، وأخرجه أبو يعلى (1583) وعنه ابن حبان (4712) بهذا الإسناد.
وأخرجه الطبراني (18/ 856)، والبزار (2203) من طريق عبد الواحد بن زياد، به.
وله شاهد يصح به، من حديث البراء بن عازب عند البخاري (4593) (4594)، ومسلم (1898)، والترمذي (1670).

(4) **إسناده ضعيف**: أخرجه البزار (3028) كشف، والأحوص بن حكيم ضعيف وشيخه مجهول.

(5) **حسن**: وهذا إسناده ضعيف لضعف الليث بن أبي سُليم وشهر بن حوشب.
وأخرجه أحمد (27575) بهذا الإسناد.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (24/ 448) (450) من طريق الليث بن أبي سُليم، به.
وله شاهد من الحديث الآتي.

(6) **حسن**: أخرجه أحمد (6643) وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة وشيخه.
وله شاهد من حديث أسماء السابق، وشاهد من حديث محمد بن كعب، رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص (128) مرسلاً.

«أنه كان فى مسير مع رسول الله ﷺ، فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق عنق الراحلة من ثقلها».[1] وهذا غريب من هذا الوجه. ثم قد ثبت فى الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكأنه يكون تارة وتارة بحسب الحال[2] والله أعلم. وقد ذكرنا أنواع الوحى إليه ﷺ فى أول شرح البخارى، وما ذكره الحليمى، وغيره من الأئمة رضى الله عنهم.

فصل

قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة:16-19). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:114). وكان هذا فى الابتداء، كان عليه السلام من شدة حرصه على أخذه من الملك ما يوحى إليه عن الله عز وجل ليساوقه فى التلاوة. فأمره الله تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي، وتكفل له أن يجمعه فى صدره، وأن ييسر عليه تلاوته وتبليغه، وأن يبينه له، ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه. ولهذا قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أى: فى صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي: وأن تقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أى: تلاه عليك الملك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: فاستمع له وتدبره ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ : وهو نظير قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ .

وفى (الصحيحين) من حديث موسى بن أبى عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة؛ فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾. قال: جمعه فى صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾. فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل»[3].

فصل

قال ابن إسحاق: ثم تتابع الوحى إلى رسول الله ﷺ وهو مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم وللنبوة أثقال ومؤنة، لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس، وما يرد عليهم مما جاؤوا به عن الله عز وجل. فمضى رسول الله ﷺ على ما أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف، والأذى.[4]

قال ابن إسحاق: وآمنت خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره،

---

(1) **منكر جداً** : الصباح بن سهل قال البخارى: منكر الحديث وكذا قال أبو زرعة، وقال الدارقطنى: ضعيف. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. الميزان (2/ 305).

(2) أخرجه البخارى (4833)، ومسلم (1786).

(3) أخرجه البخارى (5) (4927) (5044)، ومسلم (448).

(4) السيرة (1/ 240)، والسيرة لابن إسحاق (ص 179).

وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن رسوله ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه، وتكذيب له، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته، وتخفف عليه، وتصدّقه، وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها وأرضاها.[1]

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**»[2]. وهذا الحديث مخرج في (الصحيحين) من حديث هشام.[3] قال ابن هشام: القصب هاهنا: اللؤلؤ المجوف.

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله.[4]

وقال موسى بن عقبة، عن الزهري: كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله، قبل أن تفرض الصلاة.[5]

قلت: يعنى الصلوات الخمس ليلة الإسراء. فأما أصل الصلاة فقد وجب فى حياة خديجة رضى الله عنها كما سنبينه.

وقال ابن إسحاق: وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء به. ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة. فهمز له بعقبه فى ناحية الوادي، فانفجرت له عين من ماء زمزم، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات، ثم رجع النبى ﷺ وقد أقرّ الله عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من الله. فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها إلى العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات، ثم كان هو وخديجة يصليان سراً.[6]

قلت: صلاة جبريل هذه غير الصلاة التى صلاها به عند البيت مرتين، فبيَّن له أوقات الصلوات الخمس، أولها وآخرها، فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء، وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة، وعليه التكلان.

---

(1) ابن إسحاق (ص 180).

(2) **صحيح**: وهذا إسناده حسن فقد صرح بالتحديث وأخرجه ابن إسحاق كما فى «سيرة ابن هشام» (1/ 167)، وأخرجه من طريقه أحمد (1758)، وابنه فى «الفضائل» (1591)، وأبو يعلى (6795)، وابن حبان (7005)، والحاكم (3/ 185)، والطبرانى (23/ 13)، وابن أبى عاصم فى «الآحاد» (2996) بهذا الإسناد. وله شاهد من حديث ابن أبى أوفى - أخرجه البخارى (1792)، ومسلم (2433)، وأحمد (4/ 355)، وابن حبان (7004)، وآخر من حديث أبى هريرة عند البخارى (3820) (7497)، ومسلم (2432)، وابن حبان (7009).

(3) أخرجه البخارى (3818) (5229) (6400)، ومسلم (2434).

(4) انظر: «سيرة ابن هشام» (1/ 169).

(5) رواه من طريق موسى البيهقى فى «الدلائل» (2/ 143) عن الزهرى مرسلاً.

(6) أخرجه معلقًا ابن إسحاق (ص 180).

فصل: في ذكر أول من أسلم ثم ذكر متقدمي الإسلام من الصحابة وغيرهم

قال ابن إسحاق: ثم إن على بن أبى طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان. فقال علي: يا محمد ما هذا؟ قال: «دين الله الذى اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته». «**وكفر باللات والعزى**». فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب. فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره. فقال له: «**يا عليّ إذا لم تسلم فاكتم**». فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع فى قلب عليّ الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ ، حتى جاءه فقال: ماذا عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ : «**تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد**». ففعل عليّ وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبى طالب، وكتم عليّ إسلامه ولم يظهره.[1] وأسلم ابن حارثة يعني: زيداً فمكثا قريباً من شهر يختلف عليٌّ إلى رسول الله ﷺ ، وكان مما أنعم الله به على عليٍّ أنه كان فى حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.[2]

قال ابن إسحاق: حدثنى ابن أبى نجيح عن مجاهد، قال: وكان من نعمة الله على عليٍّ أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة. فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس وكان من أيسر بنى هاشم: «**يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله**».... فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتَّبعه عليٌّ وآمن به وصدقه.[3]

وقال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حدثنى يحيى بن أبى الأشعث الكندى من أهل الكوفة حدثنى إسماعيل بن إياس بن عفيف، عن أبيه، عن جده عفيف وكان عفيف -أخا الأشعث ابن قيس لأمه- أنه قال: «كنت امرءاً تاجراً، فقدمت منى أيام الحج، وكان العباس بن عبد المطلب امرءاً تاجراً، فأتيته أبتاع منه وأبيعه. قال: فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء، فقام يصلى تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي، وخرج غلام فقام يصلى معه. فقلت يا عباس ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه عليّ بن أبى طالب آمن به. قال عفيف: **فليتنى كنت آمنت يومئذ، فكنت أكون ثانياً**»[4]. وتابعه إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، وقال فى الحديث: إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي. ثم ذكر قيام خديجة وراءه».[5]

---

(1) ابن إسحاق (ص 181)، وعنه الطبرى فى «تاريخه» (2/ 312)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 161).

(2) ابن إسحاق (ص 182)، والطبرى (2/ 316)، والبيهقى (2/ 165).

(3) **مرسل إسناده حسن** : أخرجه ابن إسحاق كما فى «سيرة ابن هشام» (1/ 172)، وعنه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 161-162).

(4) رواه ابن إسحاق (ص 182)، والطبرى فى «تاريخه» (2/ 313) من طريقه، وإسناده ضعيف.

(5) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 163) ولا يفيد هذه المتابعة.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا سعيد بن خثيم، عن أسد بن عبدة البجلي، عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال: جئت زمن الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما طلعت الشمس، وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة، فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب، فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً، فسجدا معه. فقلت: يا عباس أمر عظيم ! فقال: أمر عظيم. فقال: أتدرى من هذا؟ فقلت: لا فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي. أتدرى من الغلام؟ قلت: لا قال: هذا على بن أبي طالب، أتدرى من هذه المرأة التى خلفهما؟ قلت: لا قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي. وهذا حدثني أن ربك رب السماء أمره بهذا الذى تراهم عليه، وايم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة»[1].

وقال ابن جرير: حدثني ابن حميد، حدثنا عيسى بن سوادة بن أبي الجعد، حدثنا محمد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وأبو حازم، والكلبي. قالوا: عليٌّ أول من أسلم. قال الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين.[2] وحدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق. قال: أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدقه عليٌّ بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين، وكان فى حجر رسول الله ﷺ، قبل الإسلام.[3]

قال الواقدي: أخبرنا إبراهيم، بن نافع، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. قال: أسلم عليّ وهو ابن عشر سنين.[4] قال الواقدي: وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة.[5] وقال محمد بن كعب: أول من أسلم من هذه الأمة: خديجة وأول رجلين أسلما: أبو بكر، وعلي. وأسلم على قبل أبي بكر، وكان على يكتم إيمانه خوفاً من أبيه، حتى لقيه أبوه قال: أسلمت؟ قال: نعم. قال: وآزر ابن عمك وانصره. قال: وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام.[6] وروى ابن جرير فى تاريخه: من حديث شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس قال: أول من صلى على.[7]

---

(1) التاريخ (2/ 311)، وقال ابن عبد البر فى «الاستيعاب» (3/ 1241) حديث حسن جدًا، وليس كذلك، يحيى بن عفيف، مجهول وأسد بن عبدة لين الحديث لا يتابع على حديثه.
(2) «التاريخ» (2/ 312) وإسناده ضعيف جداً، ابن حميد وعيسى متهمان بالكذب.
(3) «التاريخ» (2/ 312) معلقًا عن ابن إسحاق، ولا يصح.
(4) لا يصح : أخرجه الطبرانى (2/ 314) من طريق الواقدى المتروك.
(5) لا يصح : الطبرى (2/ 314) من طريق الواقدى.
(6) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 163) بإسناد ضعيف.
(7) «التاريخ» (2/ 310) بإسناد ضعيف - أبو بلج ضعيف.
وأخرجه أحمد (3542)، والطيالسى (2753) مختصراً وإسناده ضعيف.
وأخرجه أحمد (3061)، مطولاً بإسناد ضعيف أيضًا وله شاهد من حديث زيد بن أرقم رواه أحمد (4/ 368) بإسناد صحيح.
وأخرجه أحمد (1191)، وابن أبى شيبة (12/ 65)، وابن سعد (3/ 21)، وابن أبى عاصم فى «الآحاد» (179)، والنسائى فى «الخصائص» (1)، وإسناده ضعيف.

وحدثنا زكريا بن يحيى الضرير حدثنا عبد الحميد بن بحر، حدثنا شريك، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر. قال: «بعث النبي ﷺ يوم الاثنين، وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء»[1] وروى من حديث شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبى حمزة -رجل من الأنصار- سمعت زيد بن أرقم يقول: «أول من أسلم مع رسول الله ﷺ على بن أبى طالب» قال: فذكرته للنخعى فأنكره. وقال: أبو بكر أول من أسلم.[2] ثم قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا العلاء، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول: «أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين»[3]. وهكذا رواه ابن ماجه، عن محمد بن إسماعيل الرازي، عن عبيد الله بن موسى العبسى -وهو شيعى من رجال الصحيح- عن العلاء بن صالح الأزدى الكوفى وثقوه، ولكن قال أبو حاتم: كان من عتق الشيعة وقال على ابن المديني: روى أحاديث مناكير والمنهال بن عمرو ثقة. وأما شيخه عباد بن عبد الله -وهو الأسدى الكوفى- فقد قال فيه على بن المديني: هو ضعيف الحديث، وقال البخاري: فيه نظر. وذكره ابن حبان فى الثقات، وهذا الحديث منكر بكل حال، ولا يُقوله عليٌّ رضى الله عنه، وكيف يمكن أن يصلى قبل الناس بسبع سنين؟ هذا لا يتصور أصلاً والله أعلم.

وقال آخرون: أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق، والجمع بين الأقوال كلها أن: خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السياقات وقبل الرجال أيضاً وأول من أسلم من الموالي: زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان: على بن أبى طالب. فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت. وأول من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم، إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً فى قريش مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام. وكان محبباً متألفاً يبذل المال فى طاعة الله ورسوله كما سيأتى تفصيله.

قال يونس عن ابن إسحاق[4]: ثم إن أبا بكر الصديق لقىَ رسول الله ﷺ فقال: أحقٌّ ما تقول قريش يا محمد؟ منْ تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آبائنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى إنِّى رسول الله ونبيه، بَعثنى لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته». وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر منكر فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق.

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن رسول الله ﷺ قال: «**ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عكم عنه حين**

---

(1) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبرى فى «تاريخه» (2/ 310) شريك وشيخه ضعيفان.

(2) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (4/ 368)، والطيالسى (678)، والترمذى والنسائى فى «الخصائص» (2)، والحاكم (3/ 136) من طريق شعبة، به. وإسناده صحيح.

(3) **ضعيف**: أخرجه الطبرى (2/ 310)، وابن ماجه (120)، وضعفه الألبانى فى «ضعيف ابن ماجه» (23).

(4) سيرة ابن إسحاق (ص 182).

ذكرته، ولا تردد فيه»[1] عكم أي: تلبث، وهذا الذى ذكره ابن إسحاق فى قوله فلم يقر ولم ينكر، منكر فإن ابن إسحاق، وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته، وحسن سجيته، وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق. فكيف يكذب على الله؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم، ولا عكم، وقد ذكرنا كيفية إسلامه فى كتابنا الذى أفردناه فى سيرته، وأوردنا فضائله وشمائله، وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبى ﷺ من الأحاديث. وما روى عنه من الآثار والأحكام والفتاوى، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ولله الحمد والمنة.

وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة وفيه فقال رسول الله ﷺ : «**إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبى**»[2] مرتين. فما أوذى بعدها، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه، وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة، عن سعيد الجريري، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد. قال: قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: «ألست أحق الناس بها، ألست أول من أسلم، ألست صاحب كذا؟». [3]

وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد، حدثنا أبو إسحاق السبيعي، عن الحارث سمعت علياً يقول: «أول من أسلم من الرجال: أبو بكر الصديق، وأول من صلى مع النبى ﷺ من الرجال: على بن أبى طالب»[4]. وقال شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبى حمزة، عن زيد بن أرقم قال: «أول من صلى مع النبى ﷺ : أبو بكر الصديق»[5]. وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبى حمزة، عن زيد بن أرقم قال: «أول من أسلم على بن أبى طالب». قال عمرو بن مرة فذكرته لإبراهيم النخعى فأنكره وقال: «أول من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه». [6]

وروى الواقدى بأسانيده عن أبى أروى الدوسي، وأبى سلمة ابن عبد الرحمن فى جماعة من السلف: أول من أسلم أبو بكر الصديق. وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن مالك بن مغول، عن رجل قال: سئل ابن عباس مَنْ أول من آمن؟ فقال: أبو بكر الصديق[7]، أما سمعت قول حسان:

---

(1) **ضعيف** : أخرجه ابن إسحاق (1/ 175)، وعنه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 164)، وابن عساكر (30/ 44)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (3/ 206) وهو معلق.
ورواه ابن عساكر (30/ 44)، من طريق سعد بن طريف عن مقسم عن ابن عباس مرفوعًا بنحوه، وإسناده ضعيف جدًا وسعد بن طريف فإنه متهم بالكذب.

(2) أخرجه البخارى (3661) (4640).

(3) **صحيح** : أخرجه الترمذى (3667)، وابن حبان (6863)، وصححه الألبانى فى «صحيح الترمذى» (2898).

(4) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن عساكر (30/ 38).

(5) سبق تخريجه قبل قليل.

(6) سبق قبل قليل.

(7) أخرجه ابن سعد (3/ 171) من طريق الواقدى.

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاها وأعدلها * بعد النبي وأولاها بما حملا
والتالي الثاني المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعاً * بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا[1]

وقد رواه أبو بكر ابن أبي شيبة: حدثنا شيخ لنا، عن مجالد، عن عامر قال: سألت ابن عباس -أو سئل ابن عباس - أي الناس أول إسلاماً؟ قال: أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره،[2] وهكذا رواه الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن عامر الشعبي سألت ابن عباس فذكره[3]. وقال أبو القاسم البغوي: حدثني سريج بن يونس، حدثنا يوسف بن الماجشون قال: أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد، لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق رضي الله عنه.[4]

قلت: وهكذا قال إبراهيم النخعي، ومحمد بن كعب، ومحمد بن سيرين، وسعد بن إبراهيم، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة.[5] وروى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن الحنفية أنهما قالا: لم يكن أولهم إسلاماً، ولكن كان أفضلهم إسلاماً. قال سعد: وقد آمن قبله خمسة.[6] وثبت في صحيح البخاري من حديث همام بن الحارث، عن عمار بن ياسر، قال: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان، وأبو بكر»[7]. وروى الإمام أحمد، وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن ابن مسعود قال: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد»[8]. وهكذا رواه الثوري، عن منصور، عن مجاهد مرسلاً.[9]

---

(1) أخرجه في «المعرفة والتاريخ» (3/ 263) وإسناده فيه مبهم، أي ضعيف.
(2) أخرجه ابن أبي شيبة (18433)، وإسناده ضعيف لإبهام الشيخ، وضعف مجالد.
(3) **ضعيف جداً** : أخرجه ابن عساكر (30/ 40)، والطبري (2/ 315) عن الهيثم بن عدي وهو متروك.
(4) أخرجه ابن عساكر (30/ 41).
(5) تقدم ذلك.
(6) رواه ابن عساكر (30/ 45) وإسناده لا يصح.
(7) أخرجه البخاري (3660) (3857).
(8) **إسناده حسن** : أخرجه أحمد (3832)، وابن أبي شيبة (12/ 149)، وابن ماجه (150)، والشاشي (641)، وابن حبان (7083)، وإسناده حسن لأجل عاصم.
(9) أخرجه ابن أبي شيبة (12/ 149)، وابن سعد (3/ 233)، من طريق جرير بن عبد الحميد، وابن عساكر (10/ 438) من طريق الثوري، كلاهما عن منصور، به.

فأما ما رواه ابن جرير قائلاً: أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن جبلة، عن إبراهيم بن طهمان، عن حجاج، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص. قال: «قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ قال: لا ! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا إسلاماً»[1]. فإنه حديث منكر إسناداً ومتناً. قال ابن جرير وقال آخرون: كان أول من أسلم زيد بن حارثة، ثم روى من طريق الواقدي، عن ابن أبي ذئب: «سألت الزهري من أول من أسلم من النساء؟ قال: خديجة. قلت: فمن الرجال؟ قال: زيد بن حارثة».[2] وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد: «أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة».[3] وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر، ومن النساء: خديجة، ومن الموالي: زيد بن حارثة، ومن الغلمان: علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

قال محمد بن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل، وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه - فيما بلغني - الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد ابن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر. فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله.[4]

وقال محمد بن عمر الواقدي: حدثني الضحاك بن عثمان، عن مخرمة بن سليمان الوالبي، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: قال طلحة بن عبيد الله: «حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ، فإياك أن تُسْبَق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ، وقد اتبعه ابن أبي قحافة. قال: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، فقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم فانطلق إليه فادْخُل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسرَّ بذلك. فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن

---

(1) **إسناده ضعيف جداً** : أخرجه ابن جرير (2/ 316)، وابن حميد متهم، وكنانة ضعيف وحجاج مدلس.

(2) **مرسل إسناده ضعيف** : أخرجه ابن جرير (2/ 316).

(3) أخرجه الطبري (2/ 316-317).

(4) ذكره ابن إسحاق (ص 184).

خويلد ابن العدوية -وكان يدعى أسد قريش- فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين. وقال النبى ﷺ : **«اللهم اكفنا شر ابن العدوية»**. رواه البيهقى.(1)

وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الأطرابلسى حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز العمرى قاضى المصيصة، حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، حدثنى أبى عبيد الله، حدثنى عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة: حدثنى أبى محمد بن عمران، عن القاسم بن محمد بن أبى بكر، عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ ، وكان له صديقاً فى الجاهلية، فلقيه فقال: يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك، واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها. فقال رسول الله ﷺ : **«إنى رسول الله أدعوك إلى الله»** فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله ﷺ ، وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبى بكر، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص فأسلموا. ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون، وأبى عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبى الأرقم فأسلموا رضى الله عنهم.

قال عبد الله بن محمد: فحدثنى أبى محمد بن عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة؛ قالت: لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ فكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور فقال: **«يا أبا بكر إنا قليل»**. فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسول الله ﷺ ، وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته، وقام أبو بكر فى الناس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله، وإلى رسوله ﷺ ، وثار المشركون على أبى بكر، وعلى المسلمين، فضربوا فى نواحى المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفين، ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون فى موته، ثم رجعت بنو تيم، فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب. فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظرى أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت: والله مالى علم بصاحبك. فقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه. فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم

(1) رواه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 166-167) من طريق الواقدى وهو متروك.

الله لك. قال: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: فى دار ابن أبي الأرقم. قال: فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً، ولا أشرب شراباً، أو آتى رسول الله ﷺ . فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل، وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ ، قال: فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله وأكب عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة. فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمى برَّة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ، ثم دعاها إلى الله فأسلمت، وأقاموا مع رسول الله ﷺ فى الدار شهراً، وهم تسعة وثلاثون رجلاً، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضُرب أبو بكر. ودعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب -ولأبى جهل ابن هشام- فأصبح عمر، وكانت الدعوة يوم الأربعاء، فأسلم عمر يوم الخميس، فكبَّر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة. وخرج أبو الأرقم -وهو أعمى كافر- وهو يقول: اللهم اغفر لبنى عبيد الأرقم فإنه كفر. فقام عمر فقال: يا رسول الله على ما نخفى ديننا ونحن على الحق، ويظهر دينهم وهم على الباطل؟ قال: **«يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا»**. فقال عمر: فوالذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مرَّ بقريش وهى تنتظره، فقال أبو جهل ابن هشام: يزعم فلان أنك صبأت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. فوثب المشركون إليه، ووثب على عتبة فبرك عليه فجعل يضربه، وأدخل إصبعه فى عينيه، فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس، فقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى أعجز الناس. واتبع المجالس التى كان يجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبى ﷺ وهو ظاهر عليهم. قال: ما عليك بأبى وأمى والله ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف، فخرج رسول الله ﷺ ، وخرج عمر أمامه، وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت، وصلى الظهر معلنًا، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر، ثم انصرف عمر وحده، ثم انصرف النبى ﷺ .[1] والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة، وذلك فى السنة السادسة من البعثة كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله. وقد استقصينا كيفية إسلام أبى بكر، وعمر رضى الله عنهما فى كتاب سيرتهما على انفرادها، وبسطنا القول هنالك ولله الحمد.

وثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى أمامة، عن عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فى أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ مُستخفياً، فقلت: ما أنت؟ قال: **«أنا نبي»**. فقلت: وما النبي؟ قال: **«رسول الله»**. قلت: آلله أرسلك؟ قال: **«نعم»**. قلت: بم أرسلك؟ قال: **«بأن تعبد الله وحده لا شريك له، وتكسر الأصنام، وتصل الأرحام»**. قال: قلت: نعم ما

---

(1) أخرجه بطوله ابن عساكر (32/ 30-32)، ثم قال: كذا وقع فى هذه الرواية وقد سقط بعض الإسناد. قلت: إسناده لا يصح وفيه مجاهيل.

أرسلك به، فمن معك على هذا؟ قال: «**حر وعبد**» يعني: أبا بكر وبلالاً قال: فكان عمرو يقول: لقد رأيتنى وأنا ربع الإسلام. قال: فأسلمت، قلت: فأتبعك يا رسول الله؟ قال: «**لا ولكن الحَقْ بقومك، فإذا أخبرت أنى قد خرجت فاتبعني**».[1]

ويقال: إن معنى قوله عليه السلام «حر وعبد» اسم جنس، وتفسير ذلك: بأبى بكر، وبلال فقط فيه نظر، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً، فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه، فإن المسلمين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم، لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم، دع الأجانب، دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم.

وفى صحيح البخاري من طريق أبى أسامة، عن هاشم بن هاشم، عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن أبى وقاص يقول: «ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمتُ فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام»[2]. أما قوله: ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه فسهل، ويروى إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه وهو مشكل، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد بالإسلام. وقد علم أن الصدّيق، وعلياً، وخديجة، وزيد بن حارثة، أسلموا قبله، كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد، منهم ابن الأثير. ونص أبو حنيفة رحمه الله: على أن كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم. وأما قوله: ولقد مكثت سبعة أيام، وإنى لثلث الإسلام فمشكل، وما أدرى على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله وهو ابن مسعود قال: «كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبى معيط بمكة. فأتى عليّ رسول الله ﷺ وأبو بكر وقد فرَّا من المشركين فقال أو فقالا: عندك يا غلام لبن تسقينا؟ قلت: إنى مؤتمن، ولست بساقيكما. فقال: **هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد؟** قلت: نعم! فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر، وأخذ رسول الله ﷺ الضرع، فدعا فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة، فحلب فيها، ثم شرب هو وأبو بكر، ثم سقياني، ثم قال للضرع: اقلص فقلص، فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمنى من هذا القول الطيب يعني: القرآن. فقال: «**إنك غلام معلم**». فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد». وهكذا رواه الإمام أحمد، عن عفان، عن حماد بن سلمةَ به. ورواه الحسن بن عرفة، عن أبى بكر بن عياش، عن عاصم بن أبى النجود به.[3]

---

(1) **صحيح** : مسلم (832)، وأبو عوانة (1/ 386)، وأحمد (4/ 112)، وابن سعد (4/ 215)، والبيهقى (1/ 81) (2/ 454)، والحاكم (3/ 66)، والبغوى (777) وغيرهم.

(2) البخارى (3858).

(3) **إسناده حسن** : أخرجه الطيالسى (353)، وأخرجه أحمد (3599)، والطبرانى (8442) من طريق حماد، به.
وأخرجه أحمد (3598)، وابن حبان (7061) من طريق أبى بكر بن عياش، به.
وأخرجه أبو يعلى (5096)، وابن حبان (6504)، والطبرانى (8456)، والبيهقى فى «الدلائل» (6/ 84) من طرق عن عاصم، به.
وله طرق كثيرة عند أحمد.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عبد الله ابن بطة الأصبهاني، حدثنا الحسن ابن الجهم، حدثنا الحسين بن الفرج، حدثنا محمد بن عمر، حدثني جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير، عن أبيه أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان. قال: «كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً، وكان أول إخوته أسلم. وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله أعلم به. ويرى في النوم كأن آتياً أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحقويه لا يقع، ففزع من نومه، فقال: أحلف بالله أن هذه لرؤيا حق، فلقى أبا بكر ابن أبي قحافة فذكر ذلك له، فقال أبو بكر: أُريد بك خير هذا رسول الله ﷺ فاتبعه، فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها. فلقى رسول الله ﷺ وهو بأجياد، فقال: يا محمد إلى ما تدعو؟ قال: «**ادعو إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع، ولا يبصر، ولا يضر، ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لم يعبده**». قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فسرَّ رسول الله ﷺ بإسلامه، وتغيب خالد، وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه فأتي به، فأنَّبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه. وقال: والله لأمنعنك القوت. فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله ﷺ ، فكان يكرمه ويكون معه».[1]

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ

قال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق حدثني رجل من أسلم -وكان واعية- أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه مَا يكره من العيب لدينه فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجَّه منها شجة منكرة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، وقالوا: ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت؟ قال حمزة: ومن يمنعني وقد استبان لي منه وأنا أشهد أنه رسول الله ﷺ وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه. وقال حمزة في ذلك شعراً.[2]

قال ابن إسحاق: ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت. فأقبل على حمزة بثُّه وقال: ما صنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ . فقال: يا ابن أخي إني قد

---

(1) أخرجه في «الدلائل» (2/ 172)، وفي إسناده الواقدي وهو متروك، وقال الحافظ في «الإصابة» (2/ 91)، ورواه الدارقطني في «الإفراد» وهو من طريق الواقدي - أيضًا.

(2) «سيرة ابن هشام» (1/ 202)، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الحاكم (3/ 192-193)، وعنه البيهقي في «الدلائل» (2/ 213)، وابن الأثير في «الأسد» (1/ 604).

وقعت فى أمر لا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلى على ما لا أدرى ما هو أرشد هو أم غى شديد؟ فحدثنى حديثاً فقد اشتهيت يا ابن أخى أن تحدثني، فأقبل رسول الله ﷺ فذكَّره ووعظه، وخوَّفه وبشَّره، فألقى الله فى نفسه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ . فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخى دينك فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء، وأنى على دينى الأول. فكان حمزة ممن أعزَّ الله به الدين. وهكذا رواه البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير به.(1)

ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد، حدثنا عبد الله بن الرومي، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة ابن عمار، عن أبى زُميل سماك بن الوليد، عن مالك بن مرثد، عن أبيه، عن أبى ذر قال: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلى ثلاثة نفر وأنا الرابع، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فرأيت الاستبشار فى وجه رسول الله ﷺ.(2) هذا سياق مختصر.

وقال البخاري: إسلام أبى ذر: حدثنا عمرو بن عباس، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن المثنى عن أبي جمرة، عن ابن عباس. قال: «لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء. واسمع من قوله، ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبى ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتنى مما أردت. فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل، اضطجع فرآه عليّ، فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح. ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه فمرَّ به عليّ، فقال: أما آن للرجل يعلم منزله، فأقامه فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد عليٌ مثل ذلك، فأقام معه فقال: ألا تحدثنى ما الذى أقدمك؟ قال: إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدنى فعلت. ففعل فأخبره. قال: فإنه حق وإنه رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإنى إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء، وإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلي، ففعل فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبى ﷺ : «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**». فقال: والذى بعثك

(1) هو نفس التخريج السابق، وانظر «الطبقات» لابن سعد (3/ 9)، وعيون الأثر (1/ 104-105)، وتاريخ الإسلام للذهبى (1/ 172).

(2) **إسناده ضعيف** : أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 212)، والحاكم (3/ 341-342)، وأبو مالك بن مرثد مجهول.

بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فأكب عليه فقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام. فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه»[1] هذا لفظ البخاري.

وقد جاء إسلامه مبسوطاً في صحيح مسلم وغيره[2]، فقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: «خرجنا من قومنا غفار وكان يحلون الشهر الحرام أنا وأخي أنيس وأمنا فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذي هيئة، فأكرمنا خالنا، وأحسن إلينا فحسدنا قومه فقالوا له: إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس. فجاء خالنا فنثى ما قيل له، فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لنا فيما بعد. قال: فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا ثوبه وجعل يبكي، قال: فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة، قال: فنافر أنيس رجلاً عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن فخيرَّ أنيساً. فأتانا بصرمتنا ومثلها، وقد صليت يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين، قال: قلت: لمن؟ قال: لله، قلت: فأين توجه؟ قال: حيث وجهني الله. قال: وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس. قال: فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة، فاكفني حتى آتيك قال: فانطلق فراث علي، ثم أتاني فقلت ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً يزعم أن الله أرسله على دينك، قال: فقلت: ما يقول الناس له؟ قال: يقولون إنه شاعر وساحر، وكان أنيس شاعراً. قال: فقال: لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على أقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. قال: فقلت له: هل أنت كافيٍ حتى أنطلق؟ قال: نعم! وكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شنفوا له وتجهموا له. قال: فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلاً منهم فقلت: أين هذا الرجل الذي تدعونه الصابئ؟ قال: فأشار إليَّ قال: الصابئ فمال أهل الوادي عليَّ بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً عليَّ، فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها، وغسلت عني الدم، ودخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به يابن أخي ثلاثين من بين يوم وليلة، ما لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع. قال: فبينا أهل مكة في ليلة قمراء أضحيان وضرب الله على أسمخة أهل مكة، فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا عليّ وهما تدعوان: إساف ونائلة. فقلت: انكحا أحدهما الآخر فما ثناهما ذلك، فقلت: وهن مثل الخشبة غير أني لم أكن. قال: فانطلقتا تولولان وتقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال ما لكما؟ فقالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم. قال: وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه

---

(1) البخاري (3861).

(2) صحيح مسلم (2473) (2474).

حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى. قال: فأتيته فكنت أول من حيَّاه بتحية أهل الإسلام. فقال: «**عليك ورحمة الله ممن أنت؟**» قال: قلت: من غفار، قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته. قال: فقلت في نفسي كره أن انتميت إلى غفار. قال: فأردت أن آخذ بيده، فقذفني صاحبه وكان أعلم به مني. قال: «**متى كنت ههنا؟**» قال: قلت: كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم. قال: «**فمن كان يطعمك؟**» قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع. قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها مباركة، إنها طعام طعم**». قال: فقال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة، قال: ففعل. قال: فانطلق النبي ﷺ، وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر باباً، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف. قال: فكان ذلك أول طعام أكلته بها، فلبثت ما لبثت. فقال رسول الله ﷺ: «**إني قد وجِّهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك؟ لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟**». قال: فانطلقت حتى أتيت أخي أنيساً، قال: فقال لي: ما صنعت؟ قال: قلت: صنعت أني أسلمت وصدقت. قال: فما بي رغبة عن دينك. فإني قد أسلمت وصدقت، ثم أتينا أمنا فقالت ما بي رغبة عن دينكما. فإني قد أسلمت وصدقت، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفاراً، قال: فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري، وكان سيدهم يومئذ. وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم. قال: وجاءت أسلم. فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله**».(1)

ورواه مسلم، عن هدبة بن خالد، عن سليمان بن المغيرة به نحوه. وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر، وفيه زيادات غريبة فالله أعلم. وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام.

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند، عن عمرو بن سعيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: «قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة، وكان يرقي من هذه الريح، فسمع سفهاء من سفهاء الناس يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي؟ فلقيت محمداً، فقلت: إني أرقي من هذه الرياح، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهلم. فقال محمد: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**» ثلاث مرات. فقال: والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات، فهلم يدك أبايعك على الإسلام.

(1) إسناده صحيح على شرط مسلم - وهو في «المسند» (5/ 174-175)، وأخرجه مسلم (2473)، وابن سعد (4/ 219-222)، وابن أبي شيبة (14/ 215-219)، وأبو نعيم في «الدلائل» (197) من طرق عن سليمان بن المغيرة، به.

فبايعه رسول الله ﷺ، فقال له: وعلى قومك؟ فقال: وعلى قومي، فبعث النبي ﷺ سرية، فمروا بقوم ضماد. فقال صاحب الجيش للسرية: هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردها عليهم فإنهم قوم ضماد». وفي رواية: «فقال له ضماد: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن ناعوس البحر». (1)

وقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة إسلام من أسلم من الأعيان فصلاً طويلاً، واستقصى ذلك استقصاءً حسناً رحمه الله وأثابه.(2) وقد سرد ابن إسحاق(3) أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضي الله عنهم. قال: ثم أسلم أبو عبيدة، وأبو سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة، وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، وخباب بن الأرت، وعمير ابن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود بن القاري، وسليط بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة، وامرأته أسماء بنت سلمة بن مخربة التميمية، وخنيس بن حذافة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله ابن جحش، وأبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب ابن الحارث، وامرأته فاطمة بنت المجلل، وأخوه حطَّاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحي، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم. والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وخالد بن سعيد، وأمينة ابنة خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن خزاعة، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وواقد ابن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعاقل بن البكير، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث. وكان اسم عاقل غافلاً فسماه رسول الله ﷺ عاقلاً، وهم حلفاء بني عدي بن كعب، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان. ثم دخل الناس أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا أمر الإسلام بمكة، وتحدث به.

قال ابن إسحاق(4): ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر، وأن يصبر على أذى المشركين. قال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، واستخفوا بصلاتهم من قومهم. فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي جمل فشجه، فكان أول دم أهريق في الإسلام. وروى الأموي في (مغازيه) من

---

(1) أخرجه مسلم (868)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 223).

قلت: وأخرجه النسائي في «المجتبى» (3278)، وفي «الكبرى» (5529)، وابن ماجه (1893)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (3925).

(2) «الدلائل» لأبي نعيم (187-190-192).

(3) «السيرة» لابن إسحاق (ص 186).

(4) سيرة ابن إسحاق (ص 187-188).

طريق الوقاصي، عن الزهري، عن عامر بن سعد، عن أبيه. فذكر القصة بطولها، وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله.(1)

باب: أمر الله رسول الله ﷺ بإبلاغ الرسالة إلى الخاص والعام، وأمره له بالصبر والاحتمال، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسول الأعظم إليهم، وذكر ما لقى من الأذية منهم، هو وأصحابه رضي الله عنهم

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الشعراء:214-220). وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف:44). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص:85). أي: أن الذى فرض عليك وأوجب عليك تبليغ القرآن: لرادك إلى الدار الآخرة، وهى المعاد، فيسألك عن ذلك. كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف:6) وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر:92،93) والآيات والأحاديث فى هذا كثيرة جداً. وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير، وبسطنا من القول فى ذلك عند قوله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. وأوردنا أحاديث جمَّة فى ذلك.

فمن ذلك: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس قال: «لما أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أتى النبى ﷺ الصفا، فصعد عليه، ثم نادى: «**يا صباحاه**»، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر يا بنى لؤى أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟**». قالوا: نعم ! قال: «**فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد**». فقال أبو لهب لعنه الله: تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد:1)». وأخرجاه من حديث الأعمش به نحوه.(2)

وقال أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا زائدة، حدثنا عبد الملك بن عمير، عن موسى بن

---

(1) الوقاصى هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، متروك، وكذبه ابن معين.
وعبد الله بن خطل، لعنه ابن كثير لأنه مات مقتولاً وهو متعلق بأستار الكعبة، وقد أهدر النبى ﷺ دمه بسبب هجوه له.

(2) **إسناده صحيح على شرطهما**: وهو فى «المسند» (2801)، وأخرجه الطبرى (19/ 120)، وابن منده فى «الإيمان» (950)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 181) من طريق ابن نمير، به.
وأخرجه البخارى (4971)، ومسلم (208) (355)، والطبري (19/ 121)، وابن حبان (6550)، وابن منده (949) (950)، والبغوى (3742) من طريق حماد بن أسامة، عن الأعمش، به. وأخرجه البخارى (4770)، والنسائى «كبرى» (11426) من طريق حفص بن غياث عن الأعمش، به.

طلحة، عن أبى هريرة، قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعمَّ وخصَّ. فقال: «**يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار، فإنى والله لا أملك لكم من الله شيئاً، إلا أن لكم رحماً سأبلها ببلالها**»(1). ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير(2)، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، وأبى سلمة، عن أبى هريرة(3)، وله طرق أخر عن أبى هريرة فى مسند أحمد وغيره.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا وكيع ثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾. قام رسول الله ﷺ فقال: «**يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بنى عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً، سلونى من مالى ما شئتم**». ورواه مسلم أيضاً.(4)

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: فحدثنى من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل -واستكتمنى اسمه- عن ابن عباس، عن على بن أبى طالب. قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره، فصمت، فجاءنى جبريل عليه السلام فقال لي: يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك ربك**». قال عليٌّ: فدعانى فقال: «**يا عليُّ إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فاصنع لنا يا عليّ شاة على صاع من طعام، وأعدَّ لنا عس لبن، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب**» ففعلت. فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً، أو ينقصون فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث. فقدَّمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ رسول الله ﷺ منها حذية فشقها بأسنانه، ثم رمى بها فى نواحيها وقال: «**كلوا بسم الله**». فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: «**اسقهم يا علي**»، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وايم الله إن كان الرجل ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب لعنه الله فقال: لهدَّ ما سحركم صاحبكم؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ. فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: «**يا على عد لنا بمثل الذى**

(1) **إسناده صحيح على شرطهما**: وهو فى «المسند» (8726)، وأخرجه أبو عوانة (1/ 94) من طريق زائدة، به.

(2) أخرجه مسلم (204) (348)، والترمذى (3185)، والنسائى (6/ 248)، وأبو عوانة (1/ 94)، وابن حبان (646) من طرق عن عبد الملك بن عمير، به.

(3) أخرجه البخارى (2753) (4771)، ومسلم (206) (351)، والدارمى (2732)، والنسائى (6/ 249)، وأبو عوانة (1/ 94)، والبيهقى (6/ 280)، والبغوى (3744)، من طرق عن سعيد بن المسيب بهذا الإسناد.

(4) **إسناده صحيح**: وأخرجه أحمد (6/ 136)، ومسلم (205)، وأبو عوانة (1/ 95)، وابن حبان (6548)، وابن منده (945) (946)، والبيهقى (6/ 280)، والبغوى (3743) من طريق وكيع.

كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم، ففعلت ثم جمعتهم له. فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه، وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها ثم قال رسول الله ﷺ: «**اسقهم، يا علي**»، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وايم الله إنْ كان الرجل منهم ليشرب مثلهم، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم، بدره أبو لهب، لعنه الله، إلى الكلام فقال: لهدَّ ما سحركم صاحبكم! فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: «**يا عليٌّ عُد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب، فإنّ هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم**». ففعلت ثم جمعتهم له، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا عنه ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه وايم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة**»[1]. هكذا رواه البيهقي، من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق عن شيخ أبهم اسمه، عن عبد الله بن الحارث به. وقد رواه أبو جعفر بن جرير، عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة بن الفضل الأبرش، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار أبي مريم ابن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، عن علي فذكر مثله. وزاد بعد قوله: «**وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي**» وكذا وكذا. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: ولإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي فقال: «**إن هذا أخي، وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا**». قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع![2] تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم، وهو كذاب شيعي، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث، وضعَّفه الباقون.

ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه، عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي، عن عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث. قال: قال علي: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. قال لي رسول الله ﷺ: «**اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام، وإناء لبناً، وادع لي بني هاشم**»، فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل، أو أربعون ورجل فذكر القصة كنحو ما تقدم إلى أن قال: وبدرهم رسول الله ﷺ الكلام. فقال: «**أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟**». قال: فسكتوا، وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله، قال: وسكتُّ أنا لسن العباس. ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس، فلما رأيت ذلك

---

(1) أخرجه في «الدلائل» (2/ 178-180)، وإسناده فيه مبهم، ولعله هذا المتروك الذي سماه عند ابن جرير - عبد الغفار بن القاسم أبو مريم.

(2) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص 190)، وعنه الطبري (1/ 542) وهو موضوع كما بين المؤلف.

قلت: أنا يا رسول الله، قال: «**انت؟**» قال: وإني يومئذ لأسوأهم هيئة، وإني لأعمش العينين، ضخم البطن؛ حمش الساقين»(1). وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم. وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الأسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم أو كالشاهد له.(2) والله أعلم.

ومعنى قوله في هذا الحديث: «**من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي**» يعني: إذا مت، وكأنه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله، ويقضي عنه؛ وقد أمَّنه الله من ذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(المائدة:67) الآية. والمقصود أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عنه راد، ولا يصده عنه صاد، يتبع الناس في أنديتهم، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، ومواقف الحج. يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء. وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية. وكان من أشدِّ الناس عليه: عمه أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب. وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعاً، وكان يحنو عليه ويحسن إليه ويدافع عنه ويحامي، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبعياً لا شرعياً. فكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه. ولاجترؤوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وربك يخلق ما يشاء ويختار. وقد قسَّم خلقه أنواعاً وأجناساً، فهذان العمان كافران: أبو طالب وأبو لهب. ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من نار، وذلك في الدرك الأسفل من النار، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر، وتقرأ في المواعظ والخطب، تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب.

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه. قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهليًا فأسلم قال: «**رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ، كاذب يتبعه حيث

---

(1) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن أبي حاتم (16015)، وفيه عبد الله بن عبد القدوس وهو ضعيف - رافضي.
(2) رواه أحمد (1371)، والنسائي في «الخصائص» (62) من طريق عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي، به. وإسناده ضعيف.

ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب»، ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه.[1]

وقال البيهقي أيضاً: حدثنا أبو طاهر الفقيه، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسنين القطان، حدثنا أبو الأزهر: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا محمد بن عمرو، عن محمد بن المنكدر، عن ربيعة الديلي. قال: «رأيت رسول الله ﷺ بذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قيل: هذا أبو لهب»[2]. ثم رواه من طريق شعبة، عن الأشعث بن سليم، عن رجل من كنانة. قال: «رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذى المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**» وإذا رجل خلفه يسفى عليه التراب، وإذا هو أبو جهل، وإذا هو يقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى». كذا قال أبو جهل[3]، والظاهر أنه أبو لهب، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى.

وأما أبو طالب فكان فى غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه، وسجاياه، واعتماده فيما يحامى به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم. قال يونس بن بكير، عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، عن موسى بن طلحة، أخبرنى عقيل بن أبى طالب. قال: جاءت قريش إلى أبى طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا فى نادينا ومسجدنا فانهه عنا. فقال: يا عقيل انطلق فأتنى بمحمد، فانطلقت إليه فاستخرجته من كبس أو قال حفش يقول: بيت صغير، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر، فلما أتاهم قال: إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فى ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء. فقال: «**ترون هذه الشمس؟**». قالوا: نعم! قال: «**فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة**». فقال أبو طالب: والله ما

---

(1) أخرجه أحمد (19004)، وإسناده حسن. وأخرجه عبد الله بن أحمد فى «زوائد المسند» (16020)، وابن أبى عاصم فى «الآحاد» (963)، والطبرانى فى «الكبير» (4588)، من طريق سعيد بن خالد عن ربيعة بن عباد الدِّيلى، فذكره.
وأخرجه عبد الله زوائد (16021)، وابن أبى عاصم فى «الآحاد» (961)، والطبرانى (4584)، من طريق محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة، به. وإسناده حسن.
وأخرجه عبد الله «زوائد» (16023)، وابن أبى عاصم (964)، والطبرانى (4582)، والحاكم (1/ 15)، من طريق عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن ربيعة، به. وإسناده حسن.

(2) فى «الدلائل» (2/ 185)، وأخرجه فى «السنن» (9/ 7)، وابن أبى عاصم (961)، والطبرانى (4584)، من طريق محمد بن عمرو، به. وإسناده حسن.
وللحديث شاهد من حديث طارق بن عبد الله المحاربى رواه ابن أبى شيبة (14/ 300)، والنسائى (8/ 55)، وابن حبان (6562) وصححه.

(3) «الدلائل» (2/ 186) وهو معضل.

كذب ابن أخي قط فارجعوا[1]. رواه البخاري في التاريخ، عن محمد بن العلاء، عن يونس ابن بكير. ورواه البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار عنه به وهذا لفظه[2].

ثم روى البيهقي من طريق يونس، عن ابن إسحاق حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ. فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا: كذا وكذا فابق عليّ، وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك. فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلّمه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ: **«يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه»**. ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولّى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ: يا ابن أخي فأقبل عليه، فقال: امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً[3]. قال ابن إسحاق ثم قال أبو طالب في ذلك:

والله لنْ يَصِلُوا إليكَ بِجَمْعِهِم * حتى أُوَسَّدَ في التراب دَفِينَا

فامضي لأمْرِك ما عليكَ غَضاضَةٌ * أَبشِرْ وقَرَّ بذاكَ منكَ عُيونَا

ودَعَوتَنى وعلِمْتُ أنَّك ناصحى * فلقدْ صدقْتَ وكنتَ قدْمُ أمينا

وعرَضْتَ دينًا قد عرَفْتُ بأنَّه * من خيرِ أديانِ البريَّةِ دينًا

لولا الملامةُ أو حِذَارِىَ سُبَّةً * لوجَدتَنى سَمْحًا بذاك مُبِينًا

ثم قال البيهقي: وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً؛ وفي كل ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه في دينه، وقد كان يعصمه -حيث لا يكون عمه- بما شاء، لا معقب لحكمه.[4]

وقال يونس بن بكير: حدثني محمد بن إسحاق: حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضعاً وأربعين سنة عن عكرمة، عن ابن عباس، في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ، فلما قام عليهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. فلما أصبح أبو جهل -لعنه الله- أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان قبلته الشام. فكان إذا صلّى صلّى بين الركنين الأسود واليماني، وجعل الكعبة بينه

---

(1) في «التاريخ الكبير» (7/ 50-51).

(2) «الدلائل» (2/ 186)، وإسناده حسن - كما قال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (92).

(3) ضعيف: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (2/ 187)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (909).

(4) سيرة ابن هشام (1/ 269)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 188).

وبين الشام. فقام رسول الله ﷺ يصلي، وقد غدت قريش، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منبهتاً ممتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال من قريش. فقالوا: ما بك يا أبا الحكم؟ فقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، والله ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قطّ فهمَّ أن يأكلني. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «**ذلك جبريل، لو دنا منه لأخذه**».[1]

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو النضر الفقيه، حدثنا عثمان الدارمي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث بن سعد، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبان بن صالح، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه عن عباس بن عبد المطلب. قال: كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل لعنه الله فقال: إن لله عليَّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته، فخرجت على رسول الله ﷺ ، حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضباناً، حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب، فاقتحم الحائط. فقلت: هذا يوم شر، فاتزرت ثم اتبعته، فدخل رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق:1،2)، فلما بلغ شأن أبي جهل ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ (العلق:6،7). فقال إنسان لأبي جهل: يا أبا الحكم هذا محمد؟ فقال أبو جهل: ألا ترون ما أرى؟ والله لقد سدَّ أفق السماء عليّ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد.[2]

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن عبد الكريم، عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**لو فعل لأخذته الملائكة عياناً**»[3]. ورواه البخاري عن يحيى، عن عبد الرزاق به.

وقال داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي. فقال: ألم أنهك أن تصلي يا محمد؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني. فانتهره النبي ﷺ . فقال جبريل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب. رواه أحمد، والترمذي، وصححه والنسائي من طريق داود به.[4]

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو زيد، حدثنا فرات، عن عبد الكريم، عن

---

(1) رواه ابن إسحاق (1/ 207)، والبيهقي في «الدلائل» (1932) وفيه انقطاع.
وقد أخرجه أحمد (1/ 242)، وابن جرير (15/ 108)، والحاكم (2/ 362) عن ابن عباس لما سأل أهل مكة رسول الله أن يجعل لهم الصفا ذهبًا .. الحديث. وإسناده صحيح.

(2) **إسناده ضعيف** : وهو في «الدلائل» (2/ 191).

(3) **صحيح** : أخرجه أحمد (1/ 368)، والبخاري (4958)، والترمذي (3406).

(4) أخرجه أحمد (1/ 256)، والنسائي «كبرى» (11684)، والترمذي (3349)، انظر: «صحيح الترمذي» (2668).

عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأتينه حتى أطأ عنقه، قال: فقال: «**لو فعل لأخذته الملائكة عياناً**».[1]

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا يونس بن أبى إسحاق، عن الوليد بن العيزار، عن ابن عباس. قال: قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه. فأنزل الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ من الآية ﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ فجاء النبى ﷺ يصلى فقيل ما يمنعك؟ قال: قد اسودّ ما بينى وبينه من الكتائب. قال ابن عباس: والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه.[2]

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن نعيم بن أبى هند، عن أبى حازم، عن أبى هريرة. قال: قال أبو جهل: هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم ! قال: فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه بالتراب. فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه، قال: فقيل له ما لك؟ قال: إن بينى وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**». قال: وأنزل الله تعالى لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ إلى آخر السورة.[3] وقد رواه أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن أبى حاتم، والبيهقى من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة، عن أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله. قال: ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلى ورهط من قريش جلوس، وسلا جزور قريب منه. فقالوا: من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره؟ فقال عقبة بن أبى معيط: أنا. فأخذه، فألقاه على ظهره، فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة، فأخذته عن ظهره، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم عليك بهذا الملأ من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبى جهل ابن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبى معيط، اللهم عليك بأبى بن خلف أو أمية بن خلف**» شعبة الشاك. قال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً، ثم سحبوا إلى القليب غير أبى أو أمية فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع[4]. وقد رواه البخارى فى مواضع متعددة من (صحيحه) ومسلم من طرق عن أبي إسحاق به.[5]

---

(1) أخرجه أحمد (1/ 248)، وشيخ الإمام أحمد إسماعيل بن يزيد الرّقى فيه جهالة لكنه توبع، فالحديث صحيح.

(2) **إسناده ضعيف جداً**: أخرجه فى «تفسيره» (30/ 256)، وفيه الرازى ضعيف جدًا، ويونس بن أبى إسحاق ضعيف.

(3) التفسير (30/ 256)، وأخرجه أحمد (8831)، ومسلم (2797)، وابن حبان (6571)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (158)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 189)، من طرق عن معتمر بن سليمان، بهذا الإسناد.

(4) إسناده صحيح على شرطهما : وهو فى «المسند» (3962) بهذا الإسناد.

(5) أخرجه أحمد (3722) (3723) (3775)، والبخارى (240) (2934) (3854)، ومسلم (1794)، والطيالسى (325)، والنسائى (1/ 161)، وأبو عوانة (4/ 220، 222)، وابن خزيمة (785)، وابن حبان (6570)، والبيهقى «دلائل» (2/ 278) من طرق عن أبى إسحاق، به.

والصواب أمية بن خلف فإنه الذي قتل يوم بدر، وأخوه أُبي إنما قتل يوم أحد كما سيأتي بيانه والسلا: هو الذي يخرج مع ولد الناقة، كالمشيمة لولد المرأة.

وفي بعض ألفاظ الصحيح: أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا، حتى جعل بعضهم يميل على بعض، أي: يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله. وفيه: أن فاطمة لما ألقته عنه، أقبلت عليهم، فسبتهم، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك، وخافوا دعوته، وأنه ﷺ دعا على الملأ منهم جملة وعين في دعائه سبعة. وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم وهم: عتبة، وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل ابن هشام، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف. قال أبو إسحاق: ونسيت السابع. قلت: وهو عمارة ابن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري.(1)

قصة الإراشيّ

قال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي. قال: قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكة، فابتاعها منه أبو جهل ابن هشام، فمطله بأثمانها. فأقبل الإراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد. فقال: يا معشر قريش مَنْ رجل يعديني على أبي الحكم ابن هشام، فإني غريب وابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ فقال أهل المجلس: ترى ذلك الرجل -وهم يهزءون به-، إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، اذهب إليه فهو يعديك عليه. فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له، فقام معه. فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال: «**محمد فاخرج**»، فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم، وقد انتقع لونه. فقال: «**أعط هذا الرجل حقه**». فقال: لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال: فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ. وقال للإراشي: «الحق بشأنك». فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيراً، فقد أخذت الذي لي. وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال: أعط هذا الرجل حقه. فقال: نعم! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه. ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له: ويلك ما لك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت؟ فقال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعت صوته فملئت رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فوالله لو أبيت لأكلني.(2)

فصل

وقال البخاري: حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، عن يحيى ابن

(1) انظر: «صحيح البخاري» (520)، ومسلم (1794).

(2) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة» (1/ 290)، وأبو نعيم في «الدلائل» (ص 166-167)، من الأعمش عن محمد بن إسحاق، به، وإسناده فيه ضعف وانقطاع.

أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير. سألت ابن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله؟ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه على عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (غافر:28)، الآية.[1] تابعه ابن إسحاق قال: أخبرني يحيى بن عروة، عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عمرو.[2] وقال: عبدة، عن هشام، عن أبيه قال: قيل لعمرو بن لعاص. وقال: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، حدثني عمرو بن العاص.[3] قال البيهقي: وكذلك رواه سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، كما رواه عبدة. انفرد به البخاري. وقد رواه في أماكن من صحيحه[4]، وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص، وهو أشبه لرواية عروة عنه، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة.

وقد روى البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس، عن محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عروة، عن أبيه عروة. قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ. فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، وصبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا: فبينما هم في ذلك، طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، فمضى. فلما مرَّ بهم الثانية، غمزوه بمثلها، فعرفتها في وجهه، فمضى ثم مرَّ الثالثة، فغمزوه بمثلها. فقال: «**أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح**». فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فما كنت بجهول. فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم. فيقول رسول الله ﷺ: «**نعم أنا الذي أقول ذلك**»، ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط.[5]

---

(1) أخرجه البخاري (3856)، وأخرجه أحمد (6908)، والبخاري (4815) من طريق علي بن المديني عن الوليد، به.

(2) ذكره البخاري (3856) معلقًا، ووصله أحمد (7036)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 275)، من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد، وهو حسن الإسناد.

(3) رواه البخاري (3856) معلقًا، ووصله في «خلق أفعال العباد» (308)، وأبو يعلى (7339)، وابن حبان (6569)، وأبو نعيم في «الدلائل» (159) من طريقين عن محمد بن عمرو، به.

(4) الدلائل (2/ 276)، ورواه البخاري (3678) (4815) كما سبق.

(5) الدلائل (2/ 275) وإسناده حسن، لأجل ابن إسحاق الذي صرح بالتحديث.

فصل في تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال**». وأخرجه الترمذي، وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به، وقال الترمذي: حسن صحيح.(2)

وقال محمد بن إسحاق: وحدب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لدينه، لا يرده عنه شيء. فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، عتبة، وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبو البختري واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، والأسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى، وأبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم. والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، والعاص: ابن وائل بن سعيد بن سهم. قال ابن إسحاق: أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه؟ فقال لهم أبو طالب: قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه. ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله، ويدعو إليه، ثم شرى الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا. وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها فتوامروا فيه وحضّ بعضهم بعضاً عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى. فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه.(3)

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي: كذا وكذا للذي قالوا له، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. قال: فظن

(1) أخرجه أحمد (3/ 120)، والترمذي (2472) وابن ماجه (151).
(2) ذكره بغير إسناد كما في «سيرة ابن هشام» (1/ 264).

رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداءٌ وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. قال: فقال له رسول الله ﷺ: **«يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته».** قال: ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب. فقال: أقبل يابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ. فقال: اذهب يابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.[1]

قال ابن إسحاق: ثم أن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ، وإسلامه وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوته مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنى: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله، فخذه، فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك؟ وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامها فنقتله فإنما هو رجل برجل! قال: والله لبئس ما تسومونني؟ أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً. قال: فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؟ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم عليّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، ونادى بعضهم بعضاً. فقال أبو طالب عند ذلك يعرِّض بالمطعم بن عدي، ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه[2] وما تباعد من أمرهم:

ألا قُلْ لعمرٍو والوليدِ ومُطْعِمٍ * ألاَ ليتَ حَظِّي مِن حياطَتِكم بَكْرُ
مِن الخُورِ حَبْحَابٌ كثيرٌ رُغاؤُه * يُرَشُّ على الساقَين مِنْ بولِه قَطْرُ
تَخَلَّفَ خلْفَ الوِرْدِ ليس بلاحقٍ * إذ ما علا الفيفاء قيل له وَبْرُ
أرى أخَوَيْنا مِن أبينا وأُمِّنا * إذا سُئِلا قالا إلى غيرِنا الأمرُ
بلى لهما أمرٌ ولكنْ تجرجما * كما جَرْجَمَتْ من رأسِ ذي علَقٍ الصخرُ
أَخُصُّ خُصوصاً عبدَ شمسٍ ونَوْفَلاً * هما نَبَذَانا مثل ما نُبِذَ الجَمْرُ
هما أَغْمَزَا للقومِ في أَخَوَيْهما * فقد أصبَحا منهم أَكُفُّهما صُفْرُ
هما أَشْرَكا في المجد مَن لا أَبَا لَه * مِن الناسِ إلا أن يُرَسَّ له ذِكْرُ
وتَيْمٌ ومَخْزُومٌ وزُهْرَةُ منهمُ * وكانُوا لنا مولى إذا بُغِيَ النصرُ
فوالله لا تَنْفَكُّ منّا عداوةٌ * ولا منكمُ ما دام مِن نَسْلِنا شَفْرُ

قال ابن هشام: وتركنا منها بيتين أقذع فيهما.[3]

---

(1) ضعيف: أخرجه ابن إسحاق (ص 196)، وقد سبق نحوه.
(2) سيرة ابن إسحاق (197-198).
(3) سيرة ابن هشام (1/ 268).

فصل في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على من فى القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله منهم رسول الله ﷺ بعمه أبى طالب. وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون، فى بنى هاشم، وبنى المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبى لهب عدو الله. فقال فى ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنصرة لرسول الله ﷺ:

إذا اجتَمَعَتْ يومًا قريشٌ لِمَفْخَرٍ * فعبدُ مَنَافٍ سِرُّها وصميمُها

وإنْ حُصِّلَتْ أشرافُ عبدِ منافِها * ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها

وإن فَخَرَتْ يومًا فإنَّ محمدًا * هو المصطفى مِن سِرِّها وكريمُها

تداعَتْ قريشٌ غَثُّها وسَمِينُها * علينا فلم تَظْفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها

وكنَّا قديمًا لا نُقِرُّ ظُلَامَةً * إذ ما ثَنَوا صُعْرَ الرِّقابِ نُقِيمُها

ونَحْمِي حِمَاها كلَّ يومِ كريهةٍ * ونَضْرِبُ عن أحجارِها مَنْ يَرُومُها[1]

بنا انْتَعَشَ العُودُ الذَّوَاءُ وإنَّما * بأكنافِها تَنْدَى وتَنْمِي أُرُومُها

فصل فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ، وما تعنتوا عليه في أسئلتهم إياه أنواعًا من الآيات، وخرق العادات على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد

فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا، ولا ما إليه رغبوا، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم يعمهون، ولظلوا فى غيهم وضلالهم يترددون. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (الأنعام:109-111). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس:96،97). وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء:59).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ

---

(1) إلى هنا رواه ابن إسحاق (ص 192) والبيت الأخير ليس عنده.

كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾ (الإسراء:90-93). وقد تكلمنا على هذه الآيات، وما يشابهها في أماكنها في التفسير ولله الحمد.

وقد روى يونس، وزياد، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم وهو شيخ من أهل مصر، يقال له: محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير، وعكرمة عن ابن عباس. قال: اجتمع علية من أشراف قريش وعدّد أسماءهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه، وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك. فجاءهم رسول الله ﷺ سريعًا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء، وكان حريصًا يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم. فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك وكان يسمون التابع من الجن الرئي فربما كان ذلك؛ بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وانزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً نذيراً، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم**». أو كما قال رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً، ولا أقل مالاً، ولا أشد عيشاً منا. فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال، التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم: قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل؟ فإن فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم**». قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وتسأله فيجعل لنا جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك عما نراك تبتغي، فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعايش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم. فقال لهم: «**ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني**

وبينكم». قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل. فقال: «**ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك**» فقالوا: يا محمد ما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهي: بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً. فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجِّل ما تخوفهم به من العذاب. فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بنسخة منشورة، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أنى لا أصدقك. ثم انصرف عن رسول الله ﷺ ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسفاً لما فاته مما طمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه.[1] وهذا المجلس الذى اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلس ظلم وعدوان وعناد، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية، والرحمة الربانية، ألا يجابوا إلى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا جرير عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا فقيل له: إن شئت أن تستأنى بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم. قال: «**لا بل أستأنى بهم**»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ (الإسراء:59) الآية. وهكذا رواه النسائى من حديث جرير به.[2]

وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عمران أبى الحكم، عن ابن عباس، قال: قالت قريش للنبى ﷺ : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: «**وتفعلون؟**». قالوا: نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذّبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن

---

(1) رواه ابن إسحاق (ص 194-195) وإسناده ضعيف وفيه اضطراب، محمد بن أبى محمد مجهول وقد اضطرب فيه.

(2) **إسناده صحيح على شرطهما** : وهو فى «المسند» (2333)، وأخرجه البزار (2225) كشف، والنسائى «كبرى» (11290)، والطبرى (15/ 108)، والحاكم (2/ 362)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 271) من طرق عن جرير بن عبد الحميد، بهذا الإسناد.

شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة. قال: «**بل باب التوبة والرحمة**»[1]. وهذان إسنادان جيدان، وقد جاء مرسلاً، عن جماعة من التابعين منهم: سعيد بن جبير، وقتادة، وابن جريج، وغير واحد.

وروى الإمام أحمد، والترمذى من حديث عبد الله بن المبارك، حدثنا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن على بن يزيد، عن القاسم، عن أبى أمامة، عن النبى ﷺ قال: «**عرض علىَّ ربى عز وجل أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب أشبع يوماً وأجوع يوماً، أو نحو ذلك فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك**»[2] لفظ أحمد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وعلى بن يزيد يضعف فى الحديث.

وقال محمد بن إسحاق: حدثنى شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة. فقالوا لهما: سلوهم عن محمد، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله: فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره، وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبى فاتبعوه، وإن لم يخبركم فهو رجل متقول، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبراهم بها، فجاؤوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به. فقال لهم رسول الله ﷺ : «**أخبركم غداً بما سألتم عنه**» ولم يستثن. فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه فى ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشئ مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحى عنه، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف. وقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا

---

(1) **إسناده صحيح على شرط مسلم** : وهو فى «المسند» (2166)، وأخرجه عبد بن حميد (700)، والطبرانى (12736)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 272) من طريق الثورى، بهذا الإسناد.

(2) **إسناده ضعيف جداً** : عبيد الله بن زحر وشيخه ضعيفان، وتحدث ابن حبان عن هذه الصحيفة فى «المجروحين» وذكرت ذلك غير مرة. وهو فى «المسند» (22190)، وأخرجه المروزى فى «زوائد الزهد» (196) وعنه ابن سعد (1/ 381)، والترمذى (2347)، وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى» (ص 267)، والبيهقى «شعب» (1467) بهذا الإسناد، وله طرق.

أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء:85).[1] وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير مطولاً فمن أراده فعليه بكشفه من هناك. ونزل قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف:9) ثم شرع فى تفصيل أمرهم، واعترض فى الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقاً لا تعليقاً فى قوله: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف:23،24)، ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر، ثم ذى القرنين، ثم قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ ثم شرح أمره وحكى خبره. وقال فى سورة سبحان: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: خلق عجيب من خلقه، وأمر من أمره، قال لها: كونى فكانت. وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه، وتصوير حقيقته فى نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته، ولهذا قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ . وقد ثبت فى الصحيحين: أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ بالمدينة، فتلا عليهم هذه الآية.[2] فإما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً وإن كان نزولها متقدماً، ومن قال: إنها إنما نزلت بالمدينة، واستثناها من سورة سبحان ففى قوله نظر، والله أعلم.

قال ابن إسحاق[3]: ولما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى شعره أنه غير مسلم لرسول الله ﷺ ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه، فقال:

ولمّا رَأَيْتُ القومَ لا وُدَّ فيهمُ * وقد قَطَّعُوا كُلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارَحُونا بالعداوةِ والأذَى * وقد طاوَعوا أمرَ العدوِّ المزايلِ
وقد حالَفوا قومًا علينا أَظِنَّةً * يَعَضُّون غَيْظًا خَلْفَنا بالأناملِ
صَبَرْتُ لهم نفسى بسمراءَ سَمْحَةٍ * وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المقَاولِ
وَأَحْضَرْتُ عندَ البيتِ رَهْطِى وإخْوَتِى * وأَمْسَكْتُ من أثوابه بالوصائلِ
قيامًا معًا مُستقبِلِينَ رِتاجَه * لدي حيث يقضي حلفه كل نافلِ
وحيثُ يُنِيخُ الأشْعَرُون رِكابَهم * بمُفْضَى السُّيولِ من إسافٍ ونائلِ
مُوَسَّمَةَ الأَعْضادِ أو قَصَراتِها * مُخَيَّسَةً بينَ السَّديسِ وبازلِ
تَرَى الوَدْعَ فيها والرُّخامَ وزينةً * بأعناقِها معقودةً كالعَثَاكِلِ
أعوذُ بربِّ الناسِ مِن كلِّ طَاعِنٍ * علينا بسُوء أو مُلِحٍّ بباطلِ
ومِنْ كاشِحٍ يَسْعَى لنا بِمَعِيبَةٍ * ومِنْ مُلحِقٍ في الدِّينِ ما لم نُحاوِلِ
وثَوْرٍ ومَن أَرْسَى ثَبِيراً مكانَه * وراقٍ لِبِرٍّ في حِراءٍ ونازلِ

(1) تقدم تخريجه.

(2) انظر: صحيح البخارى (125) (4721) (7297) (7456) (7462)، وصحيح مسلم (2794) عن ابن مسعود.

(3) سيرة ابن هشام (1/ 272).

وبالبيتِ حقِّ البيتِ مِن بطنِ مكةِ * وبالله إنَّ اللهَ ليس بغافلِ
وبالحَجَرِ المُسْوَدِّ إذْ يَمْسَحُونَه * إذا اكْتَنَفوه بالضُّحَى والأصائلِ
ومَوْطِئَ إبراهيمَ فى الصَّخرِ رَطْبةً * على قدَمَيْه حافيًا غيرَ ناعلِ
وأشْواطِ بينَ المَرْوَتَيْن إلى الصَّفَا * وما فيهما مِن صورةٍ وتماثِلِ
ومَن حَجَّ بيتَ اللهِ مِن كلِّ راكبٍ * ومِن كلِّ ذي نَذْرٍ ومِن كلِّ راجلِ
وبالمَشْعَرِ الأقْصَى إذا عَمَدوا له * إلالاً إلى مُفْضَي الشِّراجِ القوابلِ
وتَوْقافِهم فوقَ الجبالِ عَشِيَّةً * يُقِيمون بالأيْدِي صُدورَ الرَّواحلِ
وليلةِ جَمْعٍ والمنازِلِ مِن مِنًى * وهل فوقَها مِن حُرمَةٍ ومنازِلِ
وجَمْعٍ إذا ما المُقْرِياتُ أَجَزْنَه * سِراعًا كما يَخْرُجْنَ مِن وَقْعِ وابلِ
وبالجمرةِ الكُبْرَى إذا صَمَدوا لها * يَؤُمُّون قَذْفًا رأسَها بالجنادلِ
وكِنْدَةَ إذْ هم بالحِصَاب عَشِيَّةً * تُجِيزُ بهم حُجَّاجُ بَكْرِ بنِ وائلِ
حَلِيفانِ شَدًّا عقدَ ما احتلفا له * ورَدًّا عليه عاطِفاتِ الوسائلِ
وحَطْمِهِمُ سُمْرَ الصِّفَاحِ وسَرْحَه * وشِبْرِقَه وَخْدَ النَّعَامِ الجوافلِ
فهل بعدَ هذا مِنْ مَعاذٍ لعائذٍ * وهل مِن مُعِيذٍ يتَّقِي اللهَ عاذلِ
يُطاعُ بنا العِدَى ووَدُّوا لو أنَّنا * تُسَدُّ بِنا أبوابُ تُرْكٍ وكابُلِ
كَذَبْتُمْ وبيتِ الله نَتْرُكُ مَكَّةَ * ونَظْعَنُ إلا أمرُكم في بلابلِ
كَذَبْتُمْ وبيتِ الله نُبْزَى محمدًا * ولمَّا نُطاعِنْ دُونَه ونُناضِلِ
ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه * ونَذْهَلَ عن أبْنائِنا والحلائِلِ
ويَنْهَضَ قومٌ بالحديد إليكم * نُهوضَ الرَّوايا تحتَ ذاتِ الصَّلاصلِ
وحتى نَرَى ذا الضِّغنِ يَرْكَبُ رَدْعَه * مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الأَنْكَبِ المتحامِلِ
وإنّا لَعَمْرُ اللهِ إنْ جَدَّ ما أَرَى * لَتَلْتَبِسَنْ أسْيافُنا بالأماثلِ
بكَفَّيْ فتًى مِثْلِ الشِّهابِ سَمَيْدَعٍ * أخِي ثِقةٍ حامِي الحَقيقةِ باسلِ
شُهورًا وأيامًا وحَوْلاً مُجَرَّمًا * علينا وتَأْتِي حِجَّةٌ بعدَ قابلِ
وما تَرْكُ قومٍ لا أَبَا لَكَ سيِّدًا * يَحُوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ
وأبيضَ يُسْتَسْقَي الغَمامُ بوجهِه * ثِمَالَ اليتامى عِصْمةً للأراملِ
يَلُوذُ به الهُلاَّكُ مِن آلِ هاشمٍ * فهُمْ عندَه في رحمةٍ وفَواضِلِ
لَعَمْري لقد أَجْرَى أَسِيدٌ وبِكْرُه * إلى بُغْضِنا وجَزَّآنَا لآكلِ

وعثمانُ لم يَرْبَعْ علينا وقُنْفُذٌ * ولكنْ أَطاعَا أمْرَ تلك القبائلِ
أطاعَا أُبَيًّا وابنَ عبدِ يَغُوثِهم * ولم يَرْقُبا فِينا مَقالةَ قائلِ
كما قد لَقِينا من سُبَيْعٍ ونَوْفَلٍ * وكلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لم يُجاملِ
فإنْ يُلْفَيا أو يُمْكِنِ اللهُ منهما * نَكِلْ لهما صاعًا بصاعِ المُكايلِ
وذاك أبو عمروٍ أَبَى غيرَ بُغْضِنا * لِيُظْعِنَنا في أهلِ شاءٍ وجاملِ
يُنَاجِي بنا في كلِّ مُمْسًى ومُصْبَحٍ * فناجِ أبا عَمْروٍ بنا ثُم خاتِلِ
ويُؤْلِي لنا باللهِ ما إنْ يَغُشُّنا * بلي قد نَراه جَهْرةً غيرَ حائلِ
أَضاقَ عليه بغضُنا كلَّ تَلْعَةٍ * مِن الأرض بينَ أَخْشُبٍ فَمَجادِلِ
وسائِلْ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتَنا * بسَعْيِك فينا مُعْرِضًا كالمُخاتِلِ
وكنتَ امْرَءًا ممَّن يُعاشُ بِرأْيِه * ورَحْمتِه فينا ولستَ بجاهِلِ
فعُتْبةُ لا تَسْمَعْ بنا قولَ كاشحٍ * حَسودٍ كذوبٍ مُبْغضٍ ذي دَغاوِلِ
ومَرَّ أبو سُفْيانَ عنِّيَ مُعْرِضًا * كما مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ المَقاوِلِ
يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مِياهِه * ويَزْعُمُ أنِّي لستُ عنكم بغافِلِ
ويُخْبِرُنا فِعْلَ المُناصِحِ أنَّه * شَفيقٌ ويُخْفِى عارماتِ الدواخلِ
أمُطْعِمُ لم أَخْذُلْك في يومِ نَجْدَةٍ * ولا مُعْظِمٍ عندَ الأُمورِ الجلائلِ
ولا يومِ خَصْمٍ إذْ أَتَوْك أَلِدَّةً * أُولِى جَدَلٍ مِنَ الخصومِ المساجلِ
أَمُطْعِمُ إنَّ القومَ سامُوك خُطَّةً * وإنِّى متى أُوكَلْ فلستُ بوائلِ
جزى اللهُ عنَّا عبدَ شَمْسٍ ونَوْفَلاً * عُقوبةَ شرٍّ عاجلاً غيرَ آجلِ
بميزانِ قِسْطٍ لا يُخِسُّ شَعيرةً * له شاهدٌ مِن نفسِه غيرُ عائلِ
لقد سَفُهَتْ أحلامُ قَومٍ تبدَّلوا * بنى خَلَفٍ قَيْضًا بنا والغَياطلِ
ونحن الصَّمِيمُ مِن ذُؤَابَةِ هاشمٍ * وآلِ قُصَيٍّ في الخُطُوبِ الأوائلِ
وسَهْمٌ ومَخْزُومٌ تَمَالَوْا وأَلَّبوا * علينا العِدَى مِن كل طِمْلٍ وخامِلِ
فعبدَ منافٍ أنتمُ خيرُ قَومِكم * فلا تُشْرِكوا في أَمْرِكم كلَّ واغلِ
لَعَمْرِى لقد وَهَنْتُمُ وعَجَزْتُمُ * وجِئْتم بأمْرٍ مخطئ للمَفاصلِ
وكنتم حديثًا حَطْبَ قِدْرٍ وأنتمُ * ألان حِطَابُ أَقْدُرٍ ومَراجلِ
لِيَهْنِ بني عبدِ مَنَافٍ عقوقُنا * وخِذْلانُنا وتَرْكُنا في المعاقلِ
فإنْ نَكُ قومًا نَتَّئِرْ ما صنعْتُمُ * وتَحْتَلِبوها لِقْحةً غيرَ باهلِ

وسائطُ كانت في لُؤَيٍّ بنِ غالبِ * نَفَاهم إلينا كلَّ صَقْرٍ حُلاحِلِ
ورهطُ نُفَيلٍ شرُّ مَن وَطِئَ الحَصى * وألأمُ حافٍ من مَعَدٍّ وناعلِ
فأَبْلِغْ قُصَيًا أنْ سيُنْشَرُ أمرُنا * وبَشِّرْ قُصَيًا بعدَنا بالتّخاذُلِ
ولو طَرَقَتْ ليلاً قُصَيًا عظيمةٌ * إذًا ما لَجَأْنا دُونَهم في المداخِلِ
ولو صدَقوا ضَرْبًا خلالَ بُيُوتِهم * لَكُنَّا أُسًى عندَ النساءِ المَطافلِ
فَكُلُّ صديقٍ وابنُ أُخْتٍ نَعُدُّه * لَعَمْري وجدْنا غِبَّه غيرَ طائلِ
سوى أنَّ رَهْطًا من كِلابِ بنِ مُرَّةٍ * بَرَاءٌ إلينا من مَعَقَّةِ خاذلِ
وهَنًّا لهمْ حتى تَبَدَّدَ جَمْعُهمْ * ويَحْسُرَ عنا كُلُّ باغٍ وجاهلِ
وكانَ لنا حَوْضُ السِّقايةِ فيهمُ * ونحن الكُدَى مِن غالبٍ والكواهلِ
شبابٌ مِن المُطَيِّبينَ وهاشمٍ * كبِيضِ السُّيوفِ بينَ أيدي الصَّيَاقِلِ
فما أدْركوا ذَحْلاً ولا سَفَكُوا دَمًا * ولا حالَفوا إلا شِرارَ القبائلِ
بضَرْبٍ تَرَى الفِتيانَ فيه كأنَّهم * ضَواري أُسودٍ فوقَ لَحْمِ خَرادِلِ
بني أَمَةٍ محبوبةٍ هِنْدِكِيَّةٍ * بني جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بنِ عاقِلِ
ولكنَّنا نَسْلُ كِرامٌ لِسادةٍ * بهم نُعِيَ الأقوامُ عندَ البَواطلِ
ونِعْمَ ابنُ أُختِ القومِ غيرَ مُكَذَّبٍ * زُهيرٌ حُسامًا مُفْرَدًا مِن حَمائلِ
أَشَمُّ مِن الشُّمِّ البهاليلِ يَنْتَمي * إلى حسب في حومة المجد فاضلِ
لَعَمْري لقد كُلِّفْتُ وَجْدًا بأحمدٍ * وإخوتِه دَأْبَ المُحِبِّ المُواصلِ
فمَن مِثْلُه في الناسِ أيُّ مُؤَمَّلٍ * إذا قاسَه الحُكَّامُ عندَ التَّفاضُلِ
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ * يُوالي إلهًا ليس عنه بغافلِ
كريمُ المَساعي ماجدٌ وابنُ ماجدٍ * له إرْثُ مَجْدٍ ثابتٍ غيرِ ناصلِ
وأيَّدَه ربُّ العِبادِ بنَصْرِه * وأَظْهَرَ دِينًا حَقُّه غيرُ زائلِ
فواللهِ لولا أنْ أَجِيءَ بسُبَّةٍ * تُجَرُّ على أشْياخِنَا في المَحافلِ
لكُنَّا اتَّبَعْناه على كُلِّ حالةٍ * من الدَّهْرِ جِدًا غيرَ قولِ التَّهازُلِ
لقد عَلِمُوا أنَّ ابْنَنَا لا مُكَذَّبٌ * لَدَيْنا ولا يُعنَى بقولِ الأباطلِ
فأَصْبَحَ فينا أحمدٌ في أَرُومَةٍ * تُقَصِّرُ عنها سَوْرَةُ المُتطاوِلِ
حَدِبْتُ بنفسي دُونَه وحَمَيْتُه * ودافَعْتُ عنه بالذُّرا والكَلاكِلِ

قال ابن هشام: هذا ما صح لى من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.[1]

قلت: هذه قصيدة عظيمة فصيحة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهى أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ فى تأدية المعنى منها جميعاً، وقد أوردها الأموى فى مغازيه مطولة بزيادات أخر والله أعلم.

فصل

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبهم، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم. فكان بلال: مولى أبى بكر لبعض بنى جمح، مولداً من مولديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول: وهو فى ذلك أحدٌ أحد.[2]

قال ابن إسحاق: فحدثنى هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحدٌ أحد، فيقول: أحدٌ أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً.[3]

قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفى بعد البعثة فى فترة الوحي، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فكيف يمر ورقة ببلال، وهو يعذب وفيه نظر. ثم ذكر ابن إسحاق مرور أبى بكر ببلال وهو يعذب، فاشتراه من أمية بعبد له أسود، فأعتقه وأراحه من العذاب[4]، وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والإماء، منهم: بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عميس وزنيرة التى أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها، والنهدية، وابنتها اشتراهما من بنى عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهى تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً. فقال أبو بكر: حل يا أم فلان. فقالت: حل أنت أفسدتهما فأعتقهما. قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا. قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: ذلك إن شئتما. واشترى جارية بنى مؤمل حى من بنى عدى كان عمر يضربها على الإسلام.

(1) سيرة ابن هشام (1/ 220).

(2) سيرة ابن هشام (1/ 223).

(3) **حسن**: رواه ابن إسحاق (1/ 223)، وعنه أبو نعيم فى «الحلية» (1/ 148)، وابن عساكر (10/ 441) وإسناده حسن، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث. وله شاهد من حديث ابن مسعود، أخرجه أحمد (3832)، وابن ماجه (150)، وابن حبان (7083)، والحاكم (3/ 284) وإسناده حسن.

(4) استكمال للرواية السابقة.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض أهله. قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بني إني أراك تعتق ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ قال: فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد. قال: فيتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلى آخر السورة.[1]

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد، وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة، عن زر، عن ابن مسعود. قال: أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه وأبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ أحد.[2] ورواه الثوري عن منصور، عن مجاهد مرسلاً.

قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول فيما بلغني: «**صبراً آل ياسر موعدكم الجنة**»[3]. وقد روى البيهقي عن الحاكم، عن إبراهيم بن عصمة العدل، حدثنا السري بن خزيمة، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام بن أبي عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ مرَّ بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: «**أبشروا آل عمار، وآل ياسر فإن موعدكم الجنة**»[4]. فأما أمه فقتلوها تأبى إلا الإسلام. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد. قال: «أول شهيد كان في الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قُبُلها».[5] وهذا مرسل.

قال محمد بن إسحاق: وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع

---

(1) **حسن**: وهذا مرسل إسناده حسن، وهو في «السيرة» (1/ 224)، ورواه الحاكم (2/ 525)، وابن جرير (37457)، وابن عساكر (30/ 69). وقال الحاكم: على شرط مسلم وله شاهد من حديث ابن مسعود رواه ابن عساكر (30/ 69)، ومن حديث ابن عباس عند ابن عساكر (30/ 70) ونقل ابن كثير الإجماع على أنها نزلت في أبي بكر.

(2) تقدم تخريجه.

(3) أخرجه في «السيرة» (ص 229).

(4) أخرجه في «الدلائل» (2/ 282)، والحاكم (3/ 388)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قالا. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (1531) عنه.

وله شاهد من حديث يوسف المكي - رواه ابن سعد (3/ 188)، وله شاهد من حديث عثمان روه ابن سعد (3/ 188)، وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 140)، وصححه الألباني في «صحيح السيرة» (ص 154).

(5) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (2/ 282) وهو مرسل إسناده صحيح.

بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزّاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيلن رأيك، ولنضعن شرفك. وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك. وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به[1]، لعنه الله وقبحه.

قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله! إن كانوا ليضربون أحدهم، ويجيعونه، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له، اللات والعزى إلهك من دون الله. فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهدهم.[2]

قلت: وفي مثل هذا أنزل الله تعالى ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل:106) الآية. فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن خباب بن الأرت، قال: كنت رجلاً قيناً وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك؟ فأنزل الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم:77-80)[3]. أخرجاه في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الأعمش به. وفي لفظ البخاري: كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت أتقاضاه فذكر الحديث.[4]

وقال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا بيان وإسماعيل. قالا: سمعنا قيساً يقول: سمعت خباباً يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه. فقال: «**قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل**»، زاد بيان «والذئب على غنمه».

---

(1) «السيرة» (1/ 225).

(2) «السيرة» (1/ 225)، وهو منكر. قال الذهبي في «الميزان» (1/ 583) حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير شيعي مقل. قال أحمد: منكر الحديث. قال الدارقطني: متروك، وكذبه الجوزجاني – وهذه الحكاية منكرة كما أن السند منكر. وقد بينت ذلك في «السيرة».

(3) أخرجه أحمد (5/ 111)، والبخاري (2091) (2275) (2425) (4732)، ومسلم (2795)، والترمذي (3162).

(4) هي الرواية برقم (2275) (4733).

وفى رواية: «ولكنكم تستعجلون»[1] انفرد به البخارى دون مسلم. وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان وابن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبى إسحاق، عن سعيد بن وهب، عن خباب. قال: شكونا إلى النبى ﷺ شدة الرمضاء فما أشكانا يعني: فى الصلاة وقال ابن جعفر: فلم يشكنا.[2] وقال أيضاً: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا شعبة عن أبى إسحاق قال: سمعت سعيد بن وهب يقول: سمعت خباباً يقول: شكونا إلى رسول الله ﷺ الرمضاء فلم يشكنا، قال شعبة يعني: فى الظهر.[3] ورواه مسلم، والنسائي، والبيهقى من حديث أبى إسحاق السبيعي، عن سعيد بن وهب، عن خباب. قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء -زاد البيهقى- فى وجوهنا وأكفنا -فلم يشكنا-[4]. وفى رواية: شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة فى الرمضاء فلم يشكنا.

ورواه ابن ماجه عن على بن محمد الطنافسي، عن وكيع عن الأعمش، عن أبى إسحاق، عن حارثة بن مضرب العبدي، عن خباب. قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء فلم يشكنا.[5] والذى يقع لى والله أعلم أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكوا إليه ﷺ ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره. وسألوا منه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين، أو يستنصر عليهم، فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم فى الحالة الراهنة، وأخبرهم عمن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم، ولا يصرفهم ذلك عن دينهم، ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر، ويظهره، ويعليه، وينشره، وينصره فى الأقاليم والآفاق حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون. ولهذا قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء فى وجوهنا وأكفنا فلم يشكنا، أي: لم يدع لنا

(1) أخرجه الحميدى (157)، والبخارى (3852)، وأبو داود (2649)، والنسائى فى «الكبرى» (5893)، وأبو يعلى (7213)، والطبرانى (3639) (3640) (3646)، وأحمد (21057) من طرق عن إسماعيل بهذا الإسناد.

(2) **إسناده صحيح على شرط مسلم**: وأخرجه فى «المسند» (21063)، وأخرجه عبد الرزاق (2055)، والحميدى (152)، وأبو عوانة (345)، والطحاوى (1/ 185)، والطبرانى (3698) من طرق عن سفيان بهذا الإسناد.

(3) **إسناده صحيح على شرط مسلم**: أخرجه فى «المسند» (21052)، وأخرجه الطيالسى (1052)، وعنه أبو عوانة (1/ 345)، والطبرانى (3699)، من طريق عمرو بن مرزوق، عن شعبة بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبى شيبة (1/ 323)، ومسلم (619)، والنسائى (1/ 247)، والطحاوى (1/ 185)، والطبرانى (3700) (3701)، (3702) من طرق عن أبى إسحاق، به.

(4) البيهقى «سنن» (1/ 438) (2/ 104-105).

(5) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (675)، وكذلك الطحاوى (1/ 185)، وابن حبان (1480)، والطبرانى (3676) (3677) (3678) (3704)، والحميدى (153).

في الساعة الراهنة، فمن استدل بهذا الحديث على عدم الإبراد، أو على وجوب مباشرة المصلي بالكف كما هو أحد قولي الشافعي ففيه نظر والله أعلم.

باب مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامته الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال إسحاق بن راهويه: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لمَ؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني منْ أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجلَ أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر. قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ (المدثر:11-13) الآيات. هكذا رواه البيهقي، عن الحاكم، عن عبد الله بن محمد بن علي الصنعاني بمكة عن إسحاق به[1]. وقد رواه حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة مرسلاً[2]. وفيه أنه قرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:90).

وقال البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن محمد ابن إسحاق، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس أن الوليد ابن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً. فقيل: يا أبا عبد شمس، فقل، وأقم لنا رأياً نقوم به. فقال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع. فقالوا: نقول كاهن؟ فقال: ما هو بكاهن فقد رأيت الكهان. فما هو بزمزمة الكهان. فقالوا: نقول مجنون؟ فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. فقال: نقول شاعر؟ فقال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول هو ساحر؟ قال: ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا بعقده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجنيّ فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه

---

(1) أخرجه الحاكم (2/ 506) وعنه البيهقي في «الدلائل» (2/ 198) من طريق إسحاق، به.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط البخاري ووافقه الذهبي. والألباني.
(2) البيهقي «دلائل» (2/ 199-201).

باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرّق بين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره وأنزل الله فى الوليد قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ الآيات. وفى أولئك النفر قوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر:91،93).(1)

قلت: وفى ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (الأنبياء:5) فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل، لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ. قال الله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:48).

وقال الإمام عبد بن حميد فى (مسنده): حدثنى أبو بكر ابن أبى شيبة، حدثنا على بن مسهر عن الأجلح هو ابن عبد الله الكندى عن الذيال بن حرملة الأسدي، عن جابر بن عبد الله. قال: اجتمع قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا، وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ. فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ. فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحراً، وأن فى قريش كاهناً. والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى: أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً. فقال رسول الله ﷺ: «**فرغت؟**» قال: نعم! فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إلى أن بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت:1-13)». فقال عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: **لا**. فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم! ثم قال: لا والذى نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة.(2)

وقد رواه البيهقى وغيره عن الحاكم، عن الأصم، عن عباس الدوري، عن يحيى بن معين، عن

---

(1) **ضعيف مضطرب** : أخرجه البيهقى «دلائل» (2/ 201)، ومحمد بن أبى محمد مجهول وقد اضطرب فيه.

(2) هو فى «المسند» (1123) من طريق ابن أبى شيبة وهو فى «المصنف» (14/ 295) وإسناده ضعيف لأجل الأجلح الكندى.

محمد بن فضيل، عن الأجلح به. وفيه كلام، وزاد: وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسنا ما بقيت وعنده أنه لما قال له: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم. فقال أبو جهل: يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه فأتوه. فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد. فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً. وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته وقص عليهم القصة فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ . فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب.(١)

ثم قال البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس، عن محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم، عن محمد بن كعب قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً حليماً. قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد : يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد ! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله ﷺ من المال والملك وغير ذلك. وقال زياد عن ابن إسحاق: فقال عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد ! فقم إليه فكلِّمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي إنك منا حيث قد علمت من السِّطة في العشيرة والمكان في النسب، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم. فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ : «**يا أبا الوليد اسمع**». قال: يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال له النبي ﷺ : «**أفرغت يا أبا الوليد ؟**». قال: نعم! قال: «**فاسمع مني**». قال: أفعل ! فقال رسول الله ﷺ بسم الله

---

(١) هو في «الدلائل» (2/ 202)، وكذلك «دلائل أبي نعيم» (182)، وفي «مسند أبي يعلى» (1818)، والحاكم (2/ 253)، كلهم عن الأجلح، به. وسنده ضعيف.

الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ② كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فمضى رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمدًا عليهما ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال: «**سمعتَ يا أبا الوليد؟**» قال سمعت. قال: «**فأنت وذاك**». ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائى أنى والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيى لكم فاصنعوا ما بدا لكم[1]. ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانى أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدمى بمكة، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطيالسي، حدثنا داود بن عمرو الضبي، حدثنا المثنى ابن زرعة، عن محمد بن إسحاق، عن نافع عن ابن عمر. قال: لما قرأ رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة: ﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أتى أصحابه فقال لهم: يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر اليوم، واعصونى فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناى كلاماً مثله، وما دريت ما أرد عليه.[2] وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

ثم روى البيهقى عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس، عن ابن إسحاق حدثنى الزهري. قال: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان، والأخنس بن شريق خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى بالليل فى بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئاً. ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود. فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال: أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها. فقال الأخنس: وأنا والذى حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته

(1) إسناده ضعيف وفيه انقطاع : أخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (ص 242-243)، والبيهقى (2/ 204)، ويزيد ضعيف مع ما فيه من انقطاع.

(2) «الدلائل» (2/ 205)، وإسناده ضعيف، المثنى بن زرعة مجهول، ومحمد بن إسحاق لم يصرح بالتحديث.

فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه. فقام عنه الأخنس بن شريق.(1)

ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس، حدثنا أحمد، حدثنا يونس، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة. قال: إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني كنتُ أمشي أنا وأبو جهل ابن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «**يا أبا الحكم، هلمَّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله**». فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أنيِّ أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك. فانصرف رسول الله ﷺ . وأقبل عليَّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن يمنعني شيء إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل.(2)

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا محمد بن خالد، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق. قال: مرَّ النبي ﷺ على أبي جهل، وأبي سفيان، وهما جالسان. فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بني عبد شمس. قال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: عجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً، ورسول الله ﷺ يسمع. فأتاهما فقال: «**أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل، وأما أنت يا أبا الحكم فوالله لتضحكن قليلاً ولتبكين كثيراً**». فقال: بئسما تعدني يا بن أخي من نبوتك(3). هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

وقول أبي جهل لعنه الله كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ۝ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الفرقان:41،42). وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار بمكة: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ (الإسراء:110) قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن. فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن، وسبوا من أنزله، ومن جاء به، قال: فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ :

---

(1) **مرسل إسناده حسن** : أخرجه ابن إسحاق (1/ 220-221)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 206) من طريق ابن إسحاق، به.

(2) أخرجه في «الدلائل» (2/ 207) بسند ضعيف.

(3) الدلائل (2/ 284) وهو مرسل إسناده ضعيف.

﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ أي: بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن ﴿وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ وهكذا رواه صاحبا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي وحشية به.(1)

وقال محمد بن إسحاق: حدثني داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو، وهو يصلي استرق السمع، دونهم فَرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله ﷺ صوته، لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ فيتفرقوا عنك، ﴿وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع، فينتفع به ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾.(2)

باب هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد. والإهانة البالغة. وكان الله عز وجل قد حجزهم عن رسوله ﷺ، ومنعه بعمه أبي طالب، كما تقدم تفصيله ولله الحمد والمنة. وروى الواقدي(3): أن خروجهم إليها كان في رجب سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة. وهم: عثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة، وامرأته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب ابن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة العنزي، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، ويقال: حاطب بن عمرو، وسهيل ابن بيضاء، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن جرير وقال آخرون: بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً، سوى نسائهم وأبنائهم، وعمار بن ياسر، فشك فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً.(4)

وقال محمد بن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله عز وجل، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: **«لو خرجتم إلى أرض الحبشة؟ فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى**

(1) أخرجه أحمد (1/ 23، 215)، والبخاري (4722) (7490) (7525) (7547)، ومسلم (446).

(2) أخرجه ابن إسحاق (1/ 219) بسند حسن، وانظر: سنن الترمذي (3146)، والنسائي «تفسير» (320)، والواحدي (617).

(3) أخرجه ابن سعد (1/ 204)، والطبري في «تاريخه» (2/ 329-330).

(4) تاريخ الطبري (2/ 230).

يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه». فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة كانت في الإسلام، فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.(1)

وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان، عن عباس العنبري، عن بشار بن موسى، عن الحسن بن زياد البرجمي، حدثنا قتادة. قال: إن أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة يعني: أنس بن مالك يقول: خرج عثمان بن عفان، ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد، قد رأيت ختنك ومعه امرأته. قال: على أي حال رأيتهما؟ قالت: رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة، وهو يسوقها فقال رسول الله ﷺ: «**صحبهما الله، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام**».(2)

قال ابن إسحاق: وأبو حذيفة بن عتبة، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو، وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة ابن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وولدت له بها زينب، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب وهو من بني عنز بن وائل وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، وأبو سبرة ابن أبي رهم العامري، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ويقال حاطب بن عمرو ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وهو أول من قدمها فيما قيل وسهيل ابن بيضاء فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني. قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر بعض أهل العلم.(3)

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب، ومعه امرأته أسماء بنت عميس، وولدت له بها عبد الله بن جعفر، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة.(4)

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب، ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب، وفي هذا نظر والله أعلم. وزعم: أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها. وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولاً، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا، فلما قدموا مكة وكان فيمن قدم: عثمان بن مظعون فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً، فرجع من رجع منهم، ومكث آخرون بمكة. وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة، وهي الهجرة الثانية(5) كما سيأتي بيانه.

---

(1) سيرة ابن هشام (1/ 321).

(2) أخرجه الفسوي (3/ 268)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 297) من طريقه بهذا الإسناد. وإسناده ضعيف.

(3) سيرة ابن هشام (1/ 322).

(4) سيرة ابن هشام (1/ 323).

(5) «الدلائل» للبيهقي (2/ 285) من طريقه.

قال موسى بن عقبة: وكان جعفر بن أبى طالب فيمن خرج ثانياً.[1] وما ذكره ابن إسحاق من خروجه فى الرعيل الأول أظهر، كما سيأتى بيانه والله أعلم. لكنه كان فى زمرة ثانية من المهاجرين أولاً، وهو المقدم عليهم، والمترجم عنهم عند النجاشي، وغيره كما سنورده مبسوطاً.

ثم إن ابن إسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضى الله عنهم.[2] وهم: عمرو بن سعيد بن العاص، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق الكناني. وأخوه خالد، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي. وولدت له بها سعيداً، وأَمَة التى تزوجها بعد ذلك الزبير، فولدت له عمراً وخالداً. قال: وعبد الله بن جحش بن رئاب، وأخوه عبيد الله، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان، وقيس بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان، ومعيقيب بن أبى فاطمة، وهو من موالى آل سعيد بن العاص، قال ابن هشام: وهو من دوس. قال: وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة. وسنتكلم معه فى هذا. وعتبة بن غزوان ويزيد بن زمعة بن الأسود، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، وطليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد، وسويبط بن سعد بن حرملة، وجهم بن قيس العبدري، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمة، وولداه عمرو بن جهم، وخزيمة بن جهم، وأبو الروم ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة، وعامر بن أبى وقاص أخو سعد، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهري، وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة. وولدت له بها عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وأخوه عتبة، والمقداد بن الأسود، والحارث ابن خالد بن صخر التيمي، وامرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة، وولدت له بها موسى، وعائشة، وزينب، وفاطمة، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وشماس بن عثمان ابن الشريد المخزومى قال: وإنما سمى شماساً لحسنه، وأصل اسمه عثمان بن عثمان وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبى حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وسلمة بن هشام بن المغيرة، وعياش بن أبى ربيعة ابن المغيرة. ومعتب بن عوف بن عامر ويقال له: عيهامة وهو من حلفاء بنى مخزوم. قال: وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون، وحاطب بن الحارث بن معمر، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل، وابناه منها محمد، والحارث، وأخوه حطاب، وامرأته فكيهة بنت يسار، وسفيان بن معمر ابن حبيب، وامرأته حسنة، وابناه منها جابر، وجنادة، وابنها من غيره، وهو شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مزاحم بن تميم وهو الذى يقال له: شرحبيل ابن حسنة، وعثمان بن ربيعة بن أهبان ابن وهب بن حذافة بن جمح. وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وعبد الله بن الحارث بن قيس ابن عدى بن سعد بن سهم، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله، وأبو قيس ابن الحارث بن قيس بن عدي، وإخوته الحارث، ومعمر،

(1) الدلائل (2/ 286).

(2) سيرة ابن هشام (1/ 323).

والسائب، وبشر، وسعيد أبناء الحارث بن قيس بن عدى لأمه وهو سعيد بن عمرو التميمي، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم، وحليف لبنى سهم: وهو محمية بن جزء الزبيدي، ومعمر بن عبد الله العدوي، وعروة بن عبد العزى، وعدى بن نضلة بن عبد العزى، وابنه النعمان، وعبد الله بن مخرمة العامري. وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن عمرو، وأخوه السكران، ومعه زوجته سودة بنت زمعة، ومالك بن زمعة، وامرأته عمرة بنت السعدى، وحاطب بن عمرو العامري، وحليفهم سعد بن خولة وهو من اليمن وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، وسهيل ابن بيضاء وهى أمه، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال أهيب بن ضبة بن الحارث، وعمرو بن أبى سرح ابن ربيعة ابن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث. وعياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك ابن ضبة، ويقال: بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة، وعثمان بن عبد غنم بن زهير وسعد بن عبد قيس بن لقيط، وأخوه الحارث الفهريون.

قال ابن إسحاق: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم، الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم[1]، وهو يشكُّ فيه.

قلت: وذكر ابن إسحاق أبا موسى الأشعرى فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جداً. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، سمعت حديجاً أخا زهير بن معاوية، عن أبى إسحاق، عن عبد الله بن عتبة، عن ابن مسعود. قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم: عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى فأتوا النجاشي. وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه، وعن شماله ثم قالا له: إن نفراً من بنى عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالا: فى أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه، فسلَّم ولم يسجد. فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل. قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسولاً، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فإنهم يخالفونك فى عيسى ابن مريم. قال: فما تقولون فى عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، التى لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد. قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذى نقول فيه ما يسوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله. وأنه الذى نجد فى الإنجيل. وأنه الرسول الذى بشَّر به عيسى ابن مريم، أنزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه. وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما، ثم تعجَّل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً. وزعم: أن

(1) السيرة لابن هشام (1/ 330).

النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته[1]. وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن. وفيه ما يقتضى أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، إن لم يكن ذكره مدرجاً من بعض الرواة والله أعلم. وقد روى عن أبى إسحاق السبيعى من وجه آخر.

فقال الحافظ أبو نعيم فى الدلائل: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل. وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا الحسن بن علوية القطان، حدثنا عباد بن موسى الختلي، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا إسرائيل. وحدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه، حدثنا إسحاق بن إبراهيم هو ابن راهويه حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق، عن أبى بردة، عن أبى موسى. قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً، فبعثوا عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشى هدية، وقدما على النجاشى فأتياه بالهدية، فقبلها، وسجدا له، ثم قال عمرو بن العاص: إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا، وهم فى أرضك. قال لهم النجاشي: فى أرضي؟ قالا: نعم ! فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد. أنا خطيبكم اليوم، فانتهينا إلى النجاشي، وهو جالس فى مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سماطين. وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا، بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عز وجل. فقال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسولاً وهو الرسول الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قال: ﴿مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر. فأعجب النجاشى قوله، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك، إنهم يخالفونك فى عيسى ابن مريم. فقال النجاشى لجعفر: ما يقول صاحبكم فى ابن مريم. قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول، التى لم يقربها بشر، ولم يفرضها ولد. فتناول النجاشى عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين، والرهبان، ما يزيد هؤلاء على ما تقولون فى ابن مريم، ولا وزن هذه. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذى بشَّر به عيسى. ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه، امكثوا فى أرضى ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة. وقال: ردوا على هذين هديتهما، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة رجلاً جميلاً، وكانا أقبلا فى البحر، فشربا ومع عمرو امرأته، فلما شربا قال عمارة لعمرو: مر امرأتك فلتقبلني. فقال له عمرو: ألا تستحى ؟ فأخذ عمارة عمراً فرمى به فى البحر، فجعل عمرو يناشد عمارة؛

---

(1) أخرجه أحمد فى «المسند» (4400) وقال الحافظ فى «الفتح» (7/ 189): إسناده حسن.

قلت: حديج بن معاوية قال ابن معين: ليس بشيء وقال البخاري: يتكلمون فى بعض حديثه وضعفه النسائي، وابن سعد وأبو زرعة والبزار وقال ابن حبان: منكر الحديث وأخرجه الطيالسى (346) وعنه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 298) من طريق حديج، بهذا الإسناد.

حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو فى ذلك. فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلفك عمارة فى أهلك، فدعا النجاشى بعمارة، فنفخ فى إحليله فطار مع الوحش.[1]

وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى الدلائل من طريق أبى على الحسن بن سلام السواق، عن عبيد الله بن موسى فذكر بإسناده مثله إلى قوله: فأمر لنا بطعام وكسوة. قال: وهذا إسناد صحيح، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشة. والصحيح: عن بُريد بن عبد الله بن أبى بردة، عن جده أبى بردة، عن أبى موسى: أنهم بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن، فخرجوا مهاجرين فى بضع وخمسين رجلاً فى سفينة، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشى بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبى طالب، وأصحابه عنده، فأمرهم جعفر بالإقامة، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر[2]. قال: فأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه. قال: ولعل الراوى وهم فى قوله: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق والله أعلم.

وهكذا رواه البخارى فى باب هجرة الحبشة. حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، حدثنا بُريد بن عبد الله، عن أبى بردة، عن أبى موسى. قال: بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، فأقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر. فقال النبى ﷺ: «**لكم أنتم أهل السفينة هجرتان**». وهكذا رواه مسلم عن أبى كريب، وأبى عامر عبد الله بن براد بن يوسف بن أبى بردة بن أبى موسى كلاهما عن أبى أسامة به،[3] ورواه فى مواضع أُخر مطولاً والله أعلم.

وأما قصة جعفر مع النجاشى فإن الحافظ ابن عساكر رواها فى ترجمة جعفر بن أبى طالب من تاريخه من رواية نفسه، ومن رواية عمرو بن العاص. وعلى يديهما جرى الحديث، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم. وأم سلمة كما سيأتي. فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً. رواها ابن عساكر عن أبى القاسم السمرقندي، عن أبى الحسين بن النقور، عن أبى طاهر المخلص، عن أبى القاسم البغوي. قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي، عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا أسد بن عمرو البجلي، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه. قال: بعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية من أبى سفيان إلى النجاشي. فقالوا له ونحن عنده : قد صار إليك ناس من سفلتنا، وسفهائنا، فادفعهم إلينا. قال: لا حتى أسمع كلامهم. قال: فبعث إلينا، فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال: قلنا إنّ هؤلاء قوم يعبدون الأوثان، وإن الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدقناه. فقال لهم النجاشي: أعبيد هم لكم؟ قالوا: لا. قال: فلكم عليهم دين؟. قالوا: لا. قال: فخلوا سبيلهم. قال: فخرجنا من عنده. فقال عمرو بن العاص: إن هؤلاء يقولون فى

---

(1) أخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» (196)، وفى «الحلية» (1/ 114) وفيه نكارة.

(2) «الدلائل» (2/ 299).

(3) أخرجه البخارى (3136) (3876) (4230)، ومسلم (2502) (2503).

عيسى غير ما تقول. قال: إن لم يقولوا فى عيسى مثل قولى لم أدعهم فى أرضى ساعة من نهار. فأرسل إلينا، فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى قال: ما يقول صاحبكم فى عيسى ابن مريم. قلنا: يقول هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول قال: فأرسل. فقال: ادعوا لى فلان القس، وفلان الراهب، فأتاه ناس منهم. فقال: ما تقولون فى عيسى ابن مريم؟ فقالوا: أنت أعلمنا! فما تقول؟ قال النجاشي: وأخذ شيئاً من الأرض قال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال: أيؤذيكم أحداً؟ قالوا: نعم !. فنادى مناد: من آذى أحداً منهم فاغرموه أربعة دراهم ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا، فأضعفها. قال: فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر، وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه، فزودنا. قال: نعم ! فحملنا، وزودنا. ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبى معكم، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وقل له: يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة، فتلقانى رسول الله ﷺ، واعتنقني، ثم قال: «**ما أدرى أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر؟**» ووافق ذلك فتح خيبر، ثم جلس فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا؟ فقال: نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وقال لي: قل له يستغفر لي، فقام رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات «**اللهم اغفر للنجاشي**». فقال المسلمون: آمين. ثم قال جعفر: فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ.(1) ثم قال ابن عساكر: حسن غريب.

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حدثنى الزهري، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة، وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ فى منعة من قومه، ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره، ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه**». فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظلماً، فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً، اجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشى فينا ليخرجونا من بلاده، وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيئوا له هدية على حدة. وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا. فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته، وكلموه وقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك فى سفهائنا، فارقوا أقوامهم فى دينهم ولم يدخلوا فى دينكم. فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل فقالوا: نفعل، ثم قدَّموا إلى النجاشى هداياه،

(1) أخرجه ابن عساكر (12/ 38) وإسناده ضعيف.

وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم وذكر موسى بن عقبة: أنهم أهدوا إليه فرساً، وجبة ديباج فلما أدخلوا عليه هداياه. قالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجئوا إلى بلادك، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فإنهم أعلا بهم عيناً، فقالت بطارقته: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم، كانوا هم أعلى بهم عيناً فإنهم لن يدخلوا فى دينك فتمنعهم لذلك. فغضب ثم قال: لا لعمر الله! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم، فأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجئوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم، ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عيناً وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم. فقال: لا والله !حتى أسمع كلامهم وأعلم على أى شيء هم عليه؟ فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له. فقال: أيها الرهط ألا تحدثونى ما لكم لا تحيونى كما يحييني من أتانى من قومكم ؟. فأخبرونى ماذا تقولون فى عيسى وما دينكم؟ أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله لا نشرك به شيئاً. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصدقناه، وعرفنا كلام الله، وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا، وعادوا النبى الصادق وكذبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. قال: والله إن هذا لمن المشكاة التى خرج منها أمر موسى. قال جعفر: وأما التحية فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، وأمرنا بذلك فحييناك بالذى يحيى بعضنا بعضاً. وأما عيسى ابن مريم: فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول. فأخذ عوداً وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول فى عيسى غير هذا أبداً، وما أطاع الله الناس فى حين ردَّ على ملكى فأطيع الناس فى دين الله. معاذ الله من ذلك.

وقال يونس عن ابن إسحاق: فأرسل إليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شيء أبغض لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم. فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول، نقول والله ما نعرف. وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه. فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذى أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا فى يهودية، ولا نصرانية فما هذا الدين؟ فقال له جعفر: أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسيء الجوار ونستحل المحارم بعضنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه. فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الأرحام ونحمى الجوار ونصلى لله عز وجل ونصوم له، ولا نعبد غيره.

وقال زياد عن ابن إسحاق: فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة والصيام. قال: فعدوا عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال النجاشي: هل معك شى مما جاء به وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله. فقال له جعفر: نعم. قال: هلم فاتلُ علىَّ مما جاء به، فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فبكى والله النجاشى حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم. ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التى جاء بها موسى، انطلقوا راشدين لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عيناً. فخرجنا من عنده وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله بن أبى ربيعة. فقال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذى يعبد عيسى ابن مريم عبد. فقال له عبد الله بن أبى ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً. فقال: والله لأفعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها. فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له فى عيسى إن هو سألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذى قاله الله فيه، والذى أمرنا نبينا أن نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال: ما تقولون فى عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فدلى النجاشى يده إلى الأرض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العويد. فتناخرت بطارقته. فقال: وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم سيوم فى الأرض -والسيوم الآمنون فى الأرض- من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ثلاثاً ما أحب أن لى دبراً وأنى آذيت رجلاً منكم والدبر بلسانهم: الذهب. وقال زياد: عن ابن إسحاق: ما أحب أن لى دبراً من ذهب. قال ابن هشام: ويقال دبري وهو الجبل بلغتهم. ثم قال النجاشي: فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين ردَّ على ملكي، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه. ردُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها. واخرجا من بلادى فخرجا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به. قالت: فأقمنا مع خير جار فى خير دار، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه. فوالله ما علمنا حُزناً حَزناً قط كان أشد منه، فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشى فخرج إليه سائراً فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من رجل يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون؟ فقال الزبير وكان من

أحدثهم سناً أنا، فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره، ثم خرج يسبح عليها فى النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشى عليه. فجاءنا الزبير فجعل يلمع لنا بردائه ويقول: ألا فأبشروا، فقد أظهر الله النجاشي. **قالت:** فوالله ما علمنا أننا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعاً إلى مكة وأقام من أقام. (1)

قال الزهري: فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة. فقال عروة: أتدرى ما قوله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه؟ فقلت: لا ! ما حدثنى ذلك أبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أم سلمة. فقال عروة: فإن عائشة حدثتنى أن أباه كان ملك قومه، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلاً ولم يكن لأبي النجاشى ولد غير النجاشي، فأدارت الحبشة رأيها بينها، فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإن له اثنى عشر رجلاً من صلبه فتوارثوا الملك، لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف، فعدوا عليه فقتلوه وملَّكوا أخاه. فدخل النجاشى بعمه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا: قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أنا قتلنا أباه، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً إلا قتله، فكلموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا، فمشوا إلى عمه فقالوا: قد رأينا مكان هذا الفتى منك وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وإنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا، فإما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا. قال: ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم، بل أخرجه من بلادكم. فخرجوا به فوقفوه فى السوق وباعوه من تاجر من التجار بستمائة درهم أو بسعمائة فقذفه فى سفينة فانطلق به، فلما كان العشى هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون ليس فى أحد منهم خير فمرج على الحبشة أمرهم. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله أن ملككم الذى لا يصلح أمركم غيره للذى بعتم الغداة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب، فخرجوا فى طلبه فأدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره وملكوه، فقال التاجر: ردوا علىَّ مالى كما أخذتم منى غلامي، فقالوا: لا نعطيك. فقال: إذاً والله لأكلمنه، فقالوا: وإن فمشى إليه فكلمه فقال: أيها الملك، إنى ابتعت غلاماً فقبض منى الذين باعوه ثمنه، ثم عدوا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردوا علىَّ مالي، فكان أول ما خبر به من صلابة حكمه وعدله أن قال: لتردن عليه ماله، أو لتجعلن يد غلامه فى يده

---

(1) حسن : أخرجه ابن إسحاق (1/ 238-242)، وعنه أحمد (1740)، وأبو نعيم (1/ 115-116)، وفى «الدلائل» (194) والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 301) بهذا الإسناد.
وهو حسن فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.
وأخرجه الطبرانى (1479)، من طريقين عن ابن إسحاق.
وحسنه الحافظ فى «الفتح»، والألبانى فى «صحيح السيرة» (ص 174-175-176).

فليذهبن به حيث شاء. فقالوا: بل نعطيه ماله فأعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله منى الرشوة فآخذ الرشوة حين ردَّ على ملكي، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه.[1]

وقال موسى بن عقبة: كان أبو النجاشى ملك الحبشة، فمات والنجاشى غلام صغير، فأوصى إلى أخيه إن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك، فرغب أخوه فى الملك فباع النجاشى من بعض التجار، فمات عمه من ليلته وقضى، فردت الحبشة النجاشى حتى وضعوا التاج على رأسه، هكذا ذكره مختصراً[2]، وسياق ابن إسحاق أحسن وأبسط فالله أعلم. والذى وقع فى سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة، والذى ذكره موسى بن عقبة والأموى وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره ﷺ وهو ساجد عند الكعبة. وهكذا تقدم فى حديث ابن مسعود وأبى موسى الأشعرى.

والمقصود: أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه، وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا فى السفينة وكان عمارة طمع فى امرأة عمرو بن العاص، فألقى عمراً فى البحر ليهلكه فسبح حتى رجع إليها. فقال له عمارة: لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك، فحقد عمرو عليه فلما لم يقض لهما حاجة فى المهاجرين من النجاشي، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشى فوشى به عمرو فأمر به النجاشى فسحر حتى ذهب عقله وساح فى البرية مع الوحوش. وقد ذكر الأموى قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول: أرسلنى أرسلنى وإلا مت، فلما لم يرسله مات من ساعته فالله أعلم.[3] وقد قيل: إن قريشاً بعثت إلى النجاشى فى أمر المهاجرين مرتين: الأولى: مع عمرو بن العاص وعمارة. والثانية: مع عمرو وعبد الله بن أبى ربيعة. نص عليه أبو نعيم فى الدلائل[4] والله أعلم. وقد قيل: إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهري، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشى رضى الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا فالله أعلم.

وقد ذكر زياد، عن ابن إسحاق: أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشى أبياتاً يحضه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قومه:

أَلاَ ليتَ شعْرِى كيفَ فى النَّأْيِ جَعْفَرٌ * وعَمْرٌو وأعداءُ العَدُوِّ الأقاربُ
وما نَالَت افعالُ النَّجاشيِّ جَعْفَرًا * وأصحابَه أو عاقَ ذلك شاغِبُ
تَعَلَّمْ -أَبَيْتَ اللَّعْنَ- أنك ماجدٌ * كريمٌ فلا يَشْقَى لَدَيْك المُجَانِبُ
تَعَلَّمْ بأنَّ اللهَ زادَك بَسْطَةً * وأسبابَ خيرٍ كلُّها بك لازبُ[5]

(1) السيرة (1/ 241-242) وإسناده ضعيف والحديث صحيح.
(2) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 295) من طريق موسى بن عقبة، به.
(3) انظر: الروض (3/ 253-254).
(4) «الدلائل» (196).
(5) سيرة ابن إسحاق (ص 255).

وقال يونس: عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال: إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]، والمشهور: أن جعفراً هو المترجم رضي الله عنهم.

وقال زياد البكائي: عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور». ورواه أبو داود، عن محمد ابن عمرو الرازي، عن سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق به: «لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور»[2]. وقال زياد: عن محمد بن إسحاق: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه. قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً. وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصفوا له. فقال: يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى! قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت: أن عيسى عبْدٌ. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله. فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه : وهو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا، وإنما يعني على ما كتب فرضوا وانصرفوا. فبلغ رسول الله ﷺ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له.[3]

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبَّر أربع تكبيرات.[4]

وقال البخاري: موت النجاشي: حدثنا أبو الربيع، حدثنا ابن عيينة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي : **«مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»**[5]. وروى ذلك من حديث أنس بن مالك، وابن مسعود وغير واحد، وفي بعض الروايات تسميته أصحمة، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن أبجر[6]، وكان عبداً صالحاً لبيباً ذكياً، عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه. وقال يونس عن ابن إسحاق: اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي: أصحم وهو بالعربية : عطية.[7] قال: وإنما النجاشي اسم الملك: كقولك: كسرى، وهرقل.

(1) سيرة ابن إسحاق (ص 262).
(2) **ضعيف** : أخرجه ابن إسحاق (1/ 340)، وعنه أبو داود (2523)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (542).
(3) **مرسل إسناده حسن** : وهو في «السيرة» (1/ 340).
(4) أخرجه البخاري (1245) وفي مواضع، ومسلم (951).
(5) أخرجه البخاري (3877).
(6) انظر: «السيرة لابن إسحاق» (ص 260).
(7) انظر: «السيرة لابن إسحاق» (ص 261)، و«الدلائل» (2/ 201).

قلت: كذا ولعله يريد به قيصر، فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة مع بلاد الروم، وكسرى علم على من ملك الفرس، وفرعون علم لمن ملك مصر كافراً، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشحر، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك اليونان وقيل: الهند وخاقان لمن ملك الترك. وقال بعض العلماء: إنما صلى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه، فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلهذا صلى عليه ﷺ. قالوا: فالغائب إن كان قد صلى عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى، ولهذا لم يصل على النبي ﷺ في غير المدينة، لا أهل مكة ولا غيرهم، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلى عليه فيها، فالله أعلم.

قلت: وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر في السنة التي قدم فيها بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر، ولهذا روى أن النبي ﷺ قال: **«والله ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»**[1]. وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي ﷺ إلى النبي ﷺ وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي: ذو مخبر أو ذومخمر أرسله ليخدم النبي ﷺ عوضاً عن عمه رضي الله عنهما وأرضاهما. وقال السهيلي: توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة، وفي هذا نظر.[2] والله أعلم.

وقال البيهقي: أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي، حدثنا أبي العلاء بن هلال، حدثنا أبي هلال بن عمر، عن أبيه، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قدم وفد النجاشي على النبي ﷺ فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: **«إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكافئهم»**[3]. ثم قال: وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني: أنبأنا أبو سعيد ابن الأعرابي، حدثنا هلال بن العلاء، حدثنا أبي، حدثنا طلحة بن زيد، عن الأوزاعي، عن يحيى ابن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي قتادة قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: **«إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم»**[4]. تفرد به طلحة بن زيد عن الأوزاعي.

وقال البيهقي: حدثنا أبو الحسين ابن بشران، حدثنا أبو عمرو ابن السماك، حدثنا حنبل بن إسحاق، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو قال: لما قدم عمرو بن العاص من أرض

---

(1) أخرجه الحاكم (3/ 211) عن جابر، وسبق رواية ابن عساكر المطولة.
(2) «الروض» (3/ 262).
(3) إسناده ضعيف لضعف هلال بن العلاء وهو في «الدلائل» (2/ 307).
(4) إسناده ضعيف كسابقه وهو في «الدلائل» (2/ 307).

الحبشة جلس فى بيته فلم يخرج إليهم، فقالوا: ما شأنه ما له لا يخرج؟ فقال عمرو: إن أصحمة يزعم أن صاحبكم نبي.(1)

وقال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردَّهم النجاشى بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة حتى عازوا قريشاً، فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.(2)

قلت: وثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب.(3) وقال زياد البكائي: حدثنى مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم قال: قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.(4)

قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة. حدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أمه أم عبد الله بنت أبى حثمة قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر فى بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر حتى وقف عليَّ وهو على شركه، قالت: وكنا نلقى منه بلاءً، أذى لنا وشدة علينا، قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله؟ قلت: نعم ! والله لنخرجن فى أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا؟ حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجته، فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت فى إسلامه؟ قالت: قلت: نعم ! قال: لا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب. قالت: يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام.(5)

قلت: هذا يردُّ قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين؛ فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين اللهم إلا أن يقال: إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين. ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق ههنا فى قصة إسلام عمر وحده رضى الله عنه، وسياقها فإنه قال: وكان إسلام عمر

---

(1) **فيه انقطاع**: وهو فى «الدلائل» (2/ 307).

(2) «السيرة» (1/ 282)، وأخرجه ابن سعد (1/ 270)، والحاكم (3/ 83-84)، والطبرانى كما فى «المجمع» (9/ 62) وفيه انقطاع.

(3) رواه البخارى (3863)، وابن حبان (6880)، والحاكم (3/ 84)، والبيهقى «دلائل» (2/ 215)، وأبو نعيم (8/ 221)، والآجرى (1349) (1350) (1351)، والطبرانى (8821) (8822).

(4) «السيرة» (1/ 282)، وابن سعد (1/ 270)، والحاكم (3/ 83)، وفيه انقطاع، ورواه ابن سعد (3/ 270)، بسند صحيح انظر: «صحيح السيرة» (ص 188).

(5) **إسناده قوى**: وهو فى «السيرة» (1/ 246)، وقال الألبانى «إسناده قوى» فى «صحيح السيرة» (ص 159).

فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت، وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون بإسلامهم من عمر. وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من بني عدى قد أسلم أيضاً، مستخفياً بإسلامه فرقاً من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه فذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم، فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة. فلقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمداً هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش، وسفَّه أحلامها، وعاب دينها، وسبَّ آلهتها فأقتله. فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم. قال: وأى أهل بيتى؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا محمداً ﷺ على دينه، فعليك بهما، فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (طه) يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التى سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً. قال: بلى، والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى، وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤون آنفاً أنظر ما هذا الذى جاء به محمداً؟ وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت له: يا أخى إنك نجْس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر. فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها (طه) فقرأها فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له: والله يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ؛ فإنى سمعته أمس وهو يقول: **«اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب»** فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك: فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم. فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب؛ فرآه متوشحاً السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف. فقال حمزة: فائذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله ﷺ : «**ائذن له**». فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة فقال: «**ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة**». فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله. قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عدوهم. قال ابن إسحاق: فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضي الله عنه.(1)

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي، عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، وعمن روى ذلك أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها. وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة، فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً، فقلت: لو أني جئت فلاناً الخمار لعلي أجد عنده خمراً فأشرب منها، فخرجت فجئته فلم أجده قال: فقلت: لو أني جئت الكعبة فطفت سبعاً أو سبعين. قال: فجئت المسجد؛ فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليماني. قال: فقلت حين رأيته: والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول، فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه، فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويداً ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي وبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل في مكاني قائماً حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية . قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر أدركته، فلما سمع حسي عرفني فظن أني إنما اتبعته لأوذيه، فنهمني ثم قال: «**ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة؟**» قال: قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله. قال: فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: «**قد هداك الله يا عمر**» ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت ودخل رسول الله ﷺ بيته. قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان.(2)

---

(1) **منكر جداً** : رواه ابن إسحاق (1/ 247-248)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (3/ 202)، والبيهقي «دلائل» (2/ 219)، والحاكم (4/ 59)، مختصراً من طريق إسحاق الأزرق عن القاسم بن عثمان أبي الجلاء البصري عن أنس.

قال الذهبي في «الميزان» (3/ 375) القاسم بن عثمان قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها، ثم قال حدّث عنه إسحاق الإزرق بمتن حديث محفوظًا وبقصة إسلام عمروهي منكرة جدًا.

(2) لا تصح : أخرجه ابن إسحاق (1/ 250)، وفيه انقطاع وعنعنة ابن إسحاق، وهي مخالفة لما صح في إسلامه رضي الله عنه، وقد أعرض عن ذكرها ابن الجوزي في «المناقب» والذهبي في «تاريخه».

قلت: وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضى الله عنه وما ورد فى ذلك من الأحاديث والآثار مطولاً فى أول سيرته التى أفردتها على حدة، ولله الحمد والمنة.

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحى فغدا عليه. قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمت، ودخلت فى دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبى حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة ألا إن ابن الخطاب قد صبأ. قال: يقول عمر من خلفه: كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: صبأ عمر. قال: فمه؟ رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه. قال: فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أى بنى العاص ابن وائل السهمي[1]. وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر؛ لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أحد فى سنة ثلاث من الهجرة، وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم.

وقال البيهقي: حدثنا الحاكم، أخبرنا الأصم، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس، عن ابن إسحاق قال: ثم قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة أو قريب من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة، فوجدوه فى المجلس، فكلموه وسألوه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة. فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره. فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحمق منكم أو كما قالوا: فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم

(1) **إسناده حسن** : وهو صحيح أخرجه ابن إسحاق (1/ 251)، ومن طريقه الحاكم (3/ 85) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى. قلت: إسناده حسن نعم، ولكن ليس على شرط مسلم إنما أخرج لابن إسحاق فى «المتابعات» وليس فى الأصول. ويشهد له ما رواه البخارى (3864) عن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه بنحوه.

أعمالكم، لا نألو أنفسنا خيراً. فيقال: إن النفر من نصارى نجران، والله أعلم أي ذلك كان. ويقال: والله أعلم أن فيهم نزلت هؤلاء الآيات ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص:52-55).(1)

فصل

قال البيهقي في الدلائل، باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي، ثم روى عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس، عن ابن إسحاق قال: هذا كتاب من النبي ﷺ إلى النجاشي: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تسلم** ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:64)، **فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك**».(2)

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره ههنا نظر، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي. قال الزهري: كانت كتب النبي ﷺ إليهم واحدة؛ يعني نسخة واحدة، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف فإنه من صدر السورة، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير، ولله الحمد والمنة. فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله فيه إلى النجاشي الأصحم لعل الأصحم مقحم من الراوي بحسب ما فهم، والله أعلم.

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضاً عن الحاكم، عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه بمرو حدثنا حماد بن أحمد، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه. وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له،**

---

(1) رواه في «الدلائل» (2/ 306) عن ابن إسحاق هكذا معلقًا بغير إسناد.

(2) «الدلائل» (2/ 308) هكذا معلقًا.

والموالاة على طاعته، وان تتبعنى فتؤمن بى وبالذى جاءنى، فإنى رسول الله وقد بعثت إليكم ابن عمى جعفراً، ومعه نفر من المسلمين فإذا جاؤوك فاقرهم ودع التجبر، فإنى ادعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى، والسلام على من اتبع الهدى».

فكتب النجاشى إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشى الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذى هدانى إلى الإسلام، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت. وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وقد بعثت إليك يا نبى الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر، فإنى لا أملك إلا نفسى، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله فإنى أشهد أن ما تقول حق». (1)

فصل فى ذكر مخالفة قبائل قريش بنى هاشم وبني عبد المطلب فى نصر رسول الله ﷺ وتحالفهم فيما بينهم عليهم، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ، وحصرهم إياهم فى شعب أبى طالب مدة طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة، وما ظهر فى ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق

قال موسى بن عقبة عن الزهرى: ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش فى مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية.

فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله. فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ، وأجمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلّموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بنى هاشم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل. فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعاماً يَقدُم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه، فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ. وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له، فإذا نوم الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يأتى بعض فرشهم فينام عليه. فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن قصى ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم

(1) فى «الدلائل» (2/ 46) وهو معلق.

نساء من بنى هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق. ويقال: كانت معلقة فى سقف البيت فلم تترك اسماً لله فيها إلا لحسته، وبقى ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذى صنع بصحيفتهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبى طالب. فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبنى، فانطلق يمشى بعصابته من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد، وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ . فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها، فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوع إليهم فوضعوها بينهم وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم؛ فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم. فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نَصَفٌ، إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى أن الله برىء من هذه الصحيفة التى فى أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذى قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم. قالوا: قد رضينا بالذى تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا بشرٍّ ما كانوا عليه من كفرهم، والشدة على رسول الله ﷺ وعلى رهطه والقيام بما تعاهدوا عليه. فقال: أولئك النفر من بنى عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا إنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس الله ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغى تركه أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال عند ذلك النفر من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم منهم: أبو البخترى والمطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده وهو من بنى عامر بن لؤى فى رجال من أشرافهم ووجوههم: نحن براء مما فى هذه الصحيفة. فقال أبو جهل لعنه الله: هذا أمر قضى بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر فى شأن صحيفتهم ويمتدح النفر الذين تبرؤوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشى.[1]

قال البيهقى: وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ يعنى من طريق عن ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير يعنى كسياق موسى بن عقبة رحمه الله.[2] وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال: إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم فى ذلك فالله أعلم.

---

(1) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 311-314) من طريق موسى بن عقبة، بهذا الإسناد وهو مرسل.
(2) «الدلائل» (2/ 314) وهو مرسل إسناده ضعيف.

قلت: والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التى قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضاً فذكرها ههنا أنسب والله أعلم. ثم روى البيهقى من طريق يونس عن محمد بن إسحاق. قال: فلما مضى رسول الله ﷺ على الذى بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم انفوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفه من قومه. فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالاً شديداً. ثم ذكر القصة بطولها فى دخولهم شعب أبى طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرضة فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أكلته وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فأخبر بذلك عمه أبا طالب ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم.[1]

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه أمناً وقراراً، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل اجتمعوا وأتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة: منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى. قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلّ بعض أصابعه.[2] وقال الواقدى: كان الذى كتب الصحيفة: طلحة بن أبى طلحة العبدرى. **قلت:** والمشهور أنه: منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق، وهو الذى شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها: انظروا إلى منصور بن عكرمة. قال الواقدى: وكانت الصحيفة معلقة فى جوف الكعبة.[3] قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بنى هاشم أبو لهب

---

(1) «الدلائل» (2/ 314-315) معلقًا بغير إسناد.

(2) «السيرة» (1/ 252) وقد روى نحوها ابن سعد (1/ 162-163) من طرق، والطبرى فى «تاريخه» (2/ 335)، والبيهقى «دلائل» (2/ 311)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (1/ 165) وغيرهم بأسانيد تعضد بعضها بعضًا عن الزهرى وعن ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة وكلها بغير إسناد.
ولها أصل فى «الصحيحين» مختصرًا - انظر صحيح البخارى (1589) (1590) (7479)، ومسلم (1314)، وأبو داود (2011)، والنسائى «كبرى» (4202)، وأحمد (7240).

(3) انظر «الطبقات» (1/ 209)، وتاريخ الطبرى (2/ 335).

عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم. وحدثنى حسين بن عبد الله: أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً. فقال: يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهر عليها؟ قالت: نعم! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة.(1)

قال ابن إسحاق: وحدثت أنه كان يقول فى بعض ما يقول يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع فى يدى بعد ذلك، ثم ينفخ فى يديه فيقول: تباً لكما لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد:1)(2)، قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا، قال أبو طالب:

ألاَ أبْلِغَا عَنِّى على ذاتِ بَيْنِنا	*	لُؤَيًا وخُصًا مِنْ لُؤَيٍّ بني كَعْبِ
ألم تَعْلَمُوا أنَا وَجَدْنَا محمداً	*	نَبِيًا كموسى خُطَّ في أوَّلِ الكُتُبِ
وأنَّ عليه في العِبادِ مَحَبَّةً	*	ولا خيرَ مِمَّن خَصَّهُ اللهُ بالحُبِّ
وأنَّ الذي ألْصَقْتُمُ من كِتابِكُمْ	*	لكم كائنٌ نَحْسًا كَراغِيَةِ السَّقْبِ
أفِيقُوا أفيقُوا قَبْلَ أنْ يُحْفَرَ الثَّرَى	*	ويُصبِحَ مَنْ لم يَجْنِ ذَنْبًا كذي الذَّنْبِ
ولا تَتْبَعُوا أمْرَ الوُشاةِ وتَقْطَعُوا	*	أواصِرَنا بَعْدَ المَوَدَّةِ والقُرْبِ
وتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوانًا ورُبَّما	*	أمَرَّ على مَنْ ذاقَهُ حَلَبُ الحَرْبِ
فلسنا ورَبِّ البيتِ نُسْلِمُ أحمداً	*	لِعَزَّاءَ مِن عَضِّ الزَّمانِ ولا كَرْبِ
ولما تَبِن منا ومنكم سوالف	*	وأيْدٍ أُتِرَّتْ بالقُساسِيَّةِ الشُّهْبِ
بمعترك ضيق ترى كسر القنا	*	به والنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفْنَ كالشَّرْبِ
كأن مجال الخيل في حجراته	*	ومَعْمَعَةَ الأبطالِ مَعْرَكَةُ الحَرْبِ
أليس أبونا هاشم شد أزره	*	وأوْصَى بَنيهِ بالطِّعانِ وبالضَّرْبِ
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا	*	ولا نَشْتَكِي ما قد يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ
ولكننا أهل الحفائظ والنُّهى	*	إذا طارَ أرواحُ الكُماةِ مِنَ الرُّعْبِ

قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش، وقد كان أبو جهل بن هشام، فيما يذكرون لقى حكيم بن حزام ابن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب، فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري ابن هشام بن الحارث بن أسد، فقال: ما لك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه أتمنعه أن يأتيها

(1) مرسل إسناده ضعيف : وهو فى «السيرة» (1/ 254) وحسين ضعيف.
(2) فيه انقطاع : السيرة (1/ 254).

بطعامها؟ خل سبيل الرجل، قال: فأبى أبو جهل، لعنه الله، حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ له أبو البختري لحي بعير فضربه فشجه ووطئه وطئاً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فيشمتوا بهم ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، منادياً بأمر الله تعالي لا يتقي فيه أحداً من الناس، فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل فى قريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته، منهم من سمى لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار.[1] فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه[2]، وأمية بن خلف ونزول قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة:1) السورة بكمالها فيه.[3] والعاص بن وائل ونزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ (مريم:77) فيه.[4] وقد تقدم شىء من ذلك. وأبا جهل ابن هشام وقوله للنبى ﷺ: لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك. ونزول قول الله فيه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:108) الآية.[5] والنضر بن الحارث ابن كلدة بن علقمة ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلى[6] وجلوسه بعد النبى ﷺ فى مجالسه حيث يتلو القرآن ويدعو إلى الله، فيتلو عليهم النضر شيئاً من أخبار رستم وأسفنديار وما جرى بينهما من الحروب فى زمن الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً منى، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها. فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الفرقان:5). وقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الجاثية:7).

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغنا يوماً مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر فكلّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه. ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنبياء:98-100). ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمداً: أكل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع مَن عبده؟

---

(1) «السيرة» (1/ 255-256).
(2) ونزول السورة والسبب انظر: «صحيح البخارى» (1394)، ومسلم (355/ 208) عن ابن عباس.
(3) «السيرة» (1/ 258).
(4) «السيرة» (1/ 259)، وانظر: «صحيح البخارى» (2091)، ومسلم (2795)، والترمذى (3162).
(5) «السيرة» (1/ 261).
(6) «الروض» (3/ 316).

فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد عيسى. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ . فقال: «**كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته**». فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء:101،102) أي عيسى وعزير ومن عبد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى. ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء:26) والآيات بعدها. ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبعرى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف:57-58).(1) وهذا الجدل الذي سلكوه باطل، وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن (ما) لما لا يعقل، فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء:98) إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور، ولا المسيح، ولا عزيراً، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنىً. فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف:58)، ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي بنبوتنا ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف:59)، أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ (مريم:21)، أي أمارة ودليلاً على قدرتنا الباهرة ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ نرحم بها من نشاء.(2)

وذكر ابن إسحاق: الأخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (القلم:10) الآيات، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين. ونزول قوله تعالى فيه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:31) والتي بعدها. وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط: ألم يبلغني أنك جالست محمداً؟ وسمعت منه وجهي من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله. فأنزل الله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان:27،28)، والتي بعدها. قال ومشى أبي بن خلف بعظم بال قد أرم. فقال: يا محمد أنت

(1) «السيرة» (1/ 261-262).

(2) ذكره بطوله ابن جرير في «تفسيره» (24836) من طريق ابن إسحاق، وهو في «السيرة» (1/ 262-263)، ورواه مختصراً ومطولاً أحمد (2918)، والطبراني (12740)، والواحدي (638) من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى ابن عقيل عن ابن عباس، وإسناده حسن.

تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم، ثم فته بيده ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله ﷺ . فقال: نعم! أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار. وأنزل الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس:78،79)، إلى آخر السورة.

قال: واعترض رسول الله ﷺ فيما بلغنى وهو يطوف عند باب الكعبة الأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت فى الأمر. فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون:1،2)، إلى آخرها.[1] ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم. قال: أتدرون ما الزقوم؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال: هلموا فلنتزقم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ (الدخان:43،44).[2] قال: ووقف الوليد بن المغيرة فكلّم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلمه وقد طمع فى إسلامه فمر به ابن أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة الأعمى فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك عليه حتى أضجره. وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً، وتركه فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ﴾ (عبس:1،2) إلى قوله ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (عبس:14)[3] وقد قيل: إن الذى كان يحدث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف فالله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق[4] من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح، ولكن كان له سبب، وهو ما ثبت فى الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ : جلس يوماً مع المشركين، وأنزل الله عليه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ (النجم:1،2) يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد. فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس[5]، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج:52).

---

(1) هذا المقطع كله فى «السيرة» (1/ 264-265)، وانظر ابن جرير (29241)، والحاكم (2/ 429) من طرق.
وابن جرير (38226) من طريق ضعيف.
وابن جرير (38225)، وضعفه الحافظ فى «الفتح» (8/ 596).

(2) «السيرة» (1/ 266)، ونسبه السيوطى فى الدر (5/ 752) إلى سعيد بن منصور.

(3) رواه معلقًا فى «السيرة» (1/ 267)، ووصله إلى سعد (4/ 208) من طريق هشام بن عروة عن أبيه، وهو مرسل إسناده صحيح، وقد أسنده الترمذى (3387)، وابن جرير (30/ 50)، والحاكم (2/ 514)، والواحدى (904) من طريق هشام عن أبيه عن عائشة، ولم يذكر الواحدى: عن أبيه وقد تكلمت عليه فى «تحقيق السيرة».
وقد رواه أبو يعلى (3111) عن أنس بسند صحيح.

(4) «السيرة» (1/ 268).

(5) البخارى (1071) (4862) عن ابن عباس، وسيأتى.

وذكروا قصة الغرانيق وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضيعها، إلا أن أصل القصة فى الصحيح.

قال البخارى: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس. قال: «سجد النبى ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس»[1] انفرد به البخارى دون مسلم. وقال البخارى: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت الأسود عن عبد الله. قال: قرأ النبى ﷺ النجم بمكة، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصى -أو تراب- فرفعه إلى جبهته وقال: يكفينى هذا، فرأيته بعدُ قُتِل كافراً، ورواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث شعبة.[2]

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبى وداعة عن أبيه. قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسى وأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه. وقد رواه النسائى عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به.[3] وقد يجمع بين هذا والذى قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً، وذلك الشيخ الذى استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم.

والمقصود: أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم، فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها. فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر ابن إسحاق أسماء من رجع منهم؛ عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهلة بنت سهيل وعبد الله بن جحش بن رئاب، وعتبة بن غزوان، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وسويبط بن سعد. وطليب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو سلمة ابن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة، وشماس بن عثمان، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة وقد حبسا بمكة حتى مضت بدر وأحد والخندق، وعمار بن ياسر وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا؟ ومعتب بن

---

(1) أخرجه البخارى (4862) بهذا الإسناد، وأخرجه برقم (1071) عن مسدد عن عبد الوارث، به.

(2) أخرجه أحمد (3805)، والطيالسى (283)، والبخارى (1070) (3853) (3972)، ومسلم (576)، والنسائى فى «المجتبى» (2/ 160)، وفى «الكبرى» (1031)، والدارمى (1/ 342)، وأبو عوانة (2/ 207)، وابن حبان (2764) من طرق عن شعبة، به.

وتابعه سفيان عند أحمد (3682)، وأبو يعلى (5218)، وتابعه إسرائيل عند البخارى (4863).

(3) هو فى «المسند» (15465) ومن طريقه النسائى فى «المجتبى» (2/ 160)، وفى «الكبرى» (1030)، والبيهقى (2/ 314)، وإسناده حسن.

وأخرجه عبد الرزاق (5881)، ومن طريقه أحمد(15464)، وابن أبي عاصم في «الآحاد» (813)، والطبراني (20/ 679)، والبيهقي (2/ 314) عن معمر، به، بإسقاط جعفر بن أبي خالد.

عوف، وعثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون، وخنيس ابن حذافة، وهشام بن العاص بن وائل وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق وعامر بن ربيعة، وامرأته ليلى بنت أبى حثمة. وعبد الله بن مخرمة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وقد حبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدراً وأبو سبرة ابن أبى رهم، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، وامرأته سودة بنت زمعة وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلف على امرأته رسول الله ﷺ وسعد بن خولة، وأبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل بن بيضاء، وعمرو بن أبى سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلاً رضى الله عنهم.[1]

وقال البخارى «هجرة الحبشة»: وقالت عائشة قال رسول الله ﷺ: **«أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين»** فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة. فيه: عن أبى موسى وأسماء رضى الله عنهما عن النبى ﷺ.[2] وقد تقدم حديث أبى موسى وهو فى الصحيحين[3]، وسيأتى حديث أسماء بنت عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة.

وقال البخارى: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن سليمان عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله. قال: كنا نسلِّم على النبى ﷺ وهو يصلى فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشى سلمنا عليه فلم يرد علينا، فقلنا يا رسول الله: إنا كنا نسلم عليك فترد علينا، قال: **«إن فى الصلاة شغلاً»**[4]. وقد روى البخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائى من طرق أخر عن سليمان بن مهران الأعمش به، وهو يقوى تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت فى الصحيحين كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزل قوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة:238) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.[5] على أن المراد جنس الصحابة، فإن زيداً أنصارى مدنى، وتحريم الكلام فى الصلاة ثبت بمكة، فتعين الحمل على ما تقدم. وأما ذكره الآية وهى مدنية فمشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك، وإنما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وكان ممن دخل معهم بجوار؛ عثمان بن مظعون فى جوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة ابن عبد الأسد فى جوار خاله أبى طالب، فإن أمه برة بنت عبد المطلب. فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى عمن حدثه عن عثمان. قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يروح ويغدو فى أمان من

---

(1) «السيرة» (1/ 266).

(2) البخارى كتاب «مناقب الأنصار» باب «هجرة الحبشة» قبل الحديث رقم (3872) وقد ذكرها البخارى موصولة فى الكتاب ذاته باب الهجرة إلى المدينة.

(3) تقدم تخريجه.

(4) أخرجه البخارى (1199) (1216)، ومسلم (523- 538)، وأبو داود (924)، والنسائى «كبرى» (540).

(5) أخرجه البخارى (1200) (4534)، ومسلم (539).

الوليد بن المغيرة قال: والله إن غدوى ورواحى آمناً فى جوار رجل من أهل الشرك، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كثير فى نفسى، فمشى إلى الوليد ابن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك. قال: لم يا بن أخى؟ لعله آذاك أحد من قومى. قال: لا، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علىَّ جوارى علانية كما أجرتك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد بن المغيرة: هذا عثمان قد جاء يرد علىَّ جوارى. قال: صدق، قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان رضى الله عنه ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب فى مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان فقال لبيد:

ألا كُلُّ شَيْءٍ مَـا خَـلا اللهَ باطِلُ

فقال عثمان: صدقت. فقال لبيد:

وكُلُّ نَعِيـمٍ لا مَحَـالَةَ زائِلُ

قال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه فى سفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله، فردَّ عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان. فقال: أما والله يا بن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد كنت فى ذمة منيعة. قال: يقول عثمان: بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله، وإنى لفى جوار من هو أعزُّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس. فقال له الوليد: هلم يا بن أخى إن شئت إلى جوارك فعد. قال: لا.[1]

قال ابن إسحاق: وأما أبو سلمة بن عبد الأسد، فحدثنى أبى إسحاق ابن يسار، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة أنه حدثه: أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب، مشى إليه رجال من بنى مخزوم، فقالوا له: يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بى، وهو ابن أختى وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى، فقام أبو لهب. فقال: يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه، والله لتنتهن أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قال فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة. وكان لهم ولياً وناصراً على رسول الله ﷺ فأبقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله ﷺ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ:

---

(1) «السيرة» (1/ 270-271)، وإسناده ضعيف مع إرساله. وهو فى «الحلية» (1/ 103-104)، من طريق ابن إسحاق. وأما ما تمثل به لبيد الشاعر من الأبيات فقد أخرجه البخارى (6489)، والترمذى (2849).

وإنَّ امْرأً أبو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ * لَفي رَوْضَةٍ ما إنْ يُسَامُ المَظالِمَا
أقولُ لَهُ وأينَ منه نَصِيحَتِي * أبا مُعْتِبٍ ثَبِّتْ سَوادَك قائِمَا
ولا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ ما عِشْتَ خُطَّةً * تُسَبُّ بها إمَّا هَبَطْتَ المَواسِمَا
وولِّ سَبِيلَ العَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ * فإنَّكَ لم تُخْلَقْ على العَجْزِ لازِمَا
وحارِبْ فإنَّ الحَرْبَ نَصَفٌ ولن تَرَى * أخا الحربِ يُعْطى الخَسْفَ حتى يُسالِمَا
وكيف ولم يَجْنُوا عليك عَظِيمَةً * ولم يَخْذُلُوك غانِمًا أو مُغارِمَا
جَزَى اللهُ عنَّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلاً * وتَيْمًا ومَخْزُومًا عُقُوقًا ومَأْثَمَا
بتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وأُلْفَةٍ * جَماعَتَنا كَيْما يَنالُوا المَحارِمَا
كَذَبْتُمْ وبيتِ اللهِ نُبْزَي مُحمداً * ولمَّا تَرَوْا يومًا لَدَى الشِّعْبِ قائِمًا(1)

قال ابن هشام: وبقى منها بيت تركناه.

ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى الحبشة

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما حدثنى محمد بن مسلم عن عروة عن عائشة، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر رضى الله عنه مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بنى الحارث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش. قال الواقدى: اسمه الحارث بن يزيد أحد بنى بكر من عبد مناة ابن كنانة.(2) وقال السهيلى: اسمه مالك.(3) فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا علىَّ. قال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم، ارجع فإنك فى جوارى. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير، قال: فكفوا عنه. قالت: وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح فكان يصلى فيه، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكى قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته، قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة. فقالوا: يا ابن الدغنة إنك لم تُجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيئة ونحو فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم فأته فمره بأن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء قالت: فمشى ابن الدغنة إليه فقال: يا أبا بكر،

(1) حسن: أخرجه فى «السيرة» (1/ 272)، وابن الأثير فى «الأسد» (3/ 190) من طريق ابن إسحاق، من غير الشعر، وإسناده حسن.
(2) انظر: «الطبقات» لابن سعد (5/ 57).
(3) الروض (3/ 352).

إني لم أجرك لتؤذى قومك. وقد كرهوا مكانك الذى أنت به، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله. قال: فاردد علىَّ جوارى. قال: قد رددته عليك. قالت: فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبى قحافة قد رد علىَّ جوارى فشأنكم بصاحبكم. (1)

وقد روى الإمام البخارى هذا الحديث متفرداً به وفيه زيادة حسنة. فقال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، قال ابن شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: لم أعقل أبواى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية. فلما ابتلى المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى. فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار ارجع، فاعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، وطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره ليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة: لأبى بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره. ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم. فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال: قد علمت الذى قد عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلىَّ ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل[2]. ثم ذكر تمام الحديث فى هجرة أبى بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتى مبسوطاً.

---

(1) **صحيح** : وهذا إسناده حسن - أخرجه ابن إسحاق (1/ 275)، وقد صرح بالتحديث.
وأخرجه عبد الرزاق (9743)، والبخارى (476) (2297) (3905) (6079)، وأبو داود (4083)، وابن خزيمة (265) (2518)، والطحاوى «مشكل» (4076)، وابن حبان (6277)، والحاكم (3/ 3-4) من طرق عن الزهرى، به.

(2) انظر البخارى (3905).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: لقيه يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه تراباً، فمرَّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. وهو يقول أي رب ما أحلمك. أي رب ما أحلمك. أي رب ما أحلمك.(1)

فصل

كل هذه القصص ذكرها ابن إسحاق معترضاً بها بين تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم في الشعب، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها: وهي أمور مناسبة لهذا الوقت، ولهذا قال الشافعي -رحمه الله-: من أراد المغازي فهو عيال على ابن إسحاق.(2)

ذكر نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق: هذا وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض الصحيفة نفر من قريش، ولم يبل فيها أحداً أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، وكان هشام لبني هاشم واصلاً. وكان ذا شرف في قومه، فكان فيما بلغني يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً قد أوقره طعاماً، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبيه، فدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره براً فيفعل به مثل ذلك، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. فقال: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم؟ أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً. قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها. قال: قد وجدت رجلاً، قال من هو؟ قال: أنا. قال له زهير: أبغنا ثالثاً، فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً، قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت لك ثانياً. قال: من؟ قال أنا. قال: أبغنا ثالثاً. قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: أبغنا رابعاً، فذهب إلى أبي البختري بن هشام، فقال له نحواً ما قال للمطعم بن عدي. فقال:

---

(1) في «السيرة» (1/ 275) وهو مرسل إسناده حسن.

(2) رواه الخطيب في «تاريخه» (1/ 219) بلفظ: «من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق».

وهل تجد أحداً يعين على هذا؟ قال: نعم ! قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى وأنا معك. قال: أبغنا خامساً. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه، وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد؟ قال: نعم ثم سمى القوم. فاتعدوا خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها. وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبى أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس. فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. قال أبو جهل: وكان فى ناحية المسجد كذبت والله لا تشق. قال: زمعة بن الأسود أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حيث كتبت. قال أبو البخترى: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقر به. قال المطعم بن عدى: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كتب فيها. قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، تشور فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد وقام المطعم بن عدى إلى الصحيِّفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فشلت يده فيما يزعمون. (1)

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب: «**يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان**». فقال: أربك أخبرك بهذا ؟ قال: «**نعم!**». قال: فوالله ما يدخل عليك أحد. ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم، فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخى. فقال القوم: قد رضينا فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً، فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا.(2)

قال ابن إسحاق: فلما مزقت وبطل ما فيها، قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا فى نقض الصحيفة يمدحهم:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا * على نأيهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت * وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع * ولم يلف سحراً آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر * فطائرها في رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة بأثيمة * ليقطع منها ساعدٌ ومقلد

(1) «السيرة» (1/ 277) معلقًا.
(2) «السيرة» (1/ 277).

ويظعن أهل المكتين فيهربوا * فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب أمره * أيتهم فيها عند ذاك وينجد
وتصعد بين الأخشبين كتيبة * لها حدج سهم وقوس ومرهد
فمن ينش من حضار مكة عزه * فعزتنا في بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها قلائل * فلم ننفكك نزداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم * إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا * على ملأ يهدي لحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم * مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه * إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد
جريء على جل الخطوب كأنه * شهاب بكفي قابس يتوقد
من الأكرمين من لؤى بن غالب * إذا سيم خسفاً وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه * على وجهه يسقي الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد * يحض على مقري الضيوف ويحشد
ويبني لأبناء العشيرة صالحاً * إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
ألظ بهذا الصلح كل مبرأ * عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا * على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً * وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأقوام في جل أمرنا * وكنا قديماً قبلها نتودد
وكنا قديماً لا نقر ظلامة * وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيالقصي هل لكم في نفوسكم * وهل لكم فيما يجيء به غد
فإني وإياكم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود[1]

قال السهيلي: أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول: «لديك البيان لو تكلمت أسود» أي يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عمن قتله.[2]

ثم ذكر ابن إسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدى وهشام بن عمرو لقيامهما فى نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة.[3] وقد ذكر الأموى ههنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن

(1) «السيرة» (1/ 78-279).
(2) «الروض» (3/ 361).
(3) «السيرة» (1/ 280).

إسحاق. وقال الواقدى: سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب؟ قالا: فى السنة العاشرة.[1] يعنى من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنين.

قلت: وفى هذه السنة بعد خروجهم توفى أبو طالب عم رسول الله ﷺ وزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق -رحمه الله- بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله ﷺ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغى والعدوان والمكر والخداع، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول، والله غالب على أمره.

فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسى مرسلة، وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى دوس، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه، قال: فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغنى شىء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت فى نفسى واثكل أمى، والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى علىّ الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذى يأتى به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لى كذا وكذا للذى قالوا. قال: فوالله ما برحوا بى يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنىّ بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض علىّ أمرك. قال: فعرض علىّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا علىّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق. وقلت: يا نبى الله إنى امرؤ مطاع فى قومى، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. قال: فقال: **«اللهم اجعل له آية»**. قال: فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر، وقع نور بين عينى مثل المصباح. قال: فقلت: اللهم فى غير وجهى، فإنى أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم. قال: فتحول فوقع فى رأس سوطى. قال: فجعل الحاضر يتراؤون ذلك النور فى رأس سوطى كالقنديل المعلق، وأنا أنهبط عليهم من الثنية، حتى جئتهم فأصبحت فيهم، فلما نزلت أتانى أبى وكان شيخاً كبيراً. فقلت: إليك عنى يا أبت فلست منك ولست منى.

(1) «الطبقات» لابن سعد (1/ 210).

قال: ولم يا بنى؟ قال: قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ . قال: أى بنى دينى دينك. قلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم ائتنى حتى أعلمك مما علمت. قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه قال ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم. قال: ثم أتتنى صاحبتى. فقلت: إليك عنى، فلست منك ولست منى. قالت: ولم؟ بأبى أنت وأمى. قال: قلت: فرق بينى وبينك الإسلام، وتابعت دين محمدﷺ . قالت: فدينى دينك. قال: قلت: فاذهبى إلى حمى ذى الشرى فتطهرى منه، وكان ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحمى حمى حموه له به وشل من ماء يهبط من جبل. قالت: بأبى أنت وأمى أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئاً؟ قال قلت: لا، أنا ضامن لذلك. قال: فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا علىّ، ثم جئت رسول اللهﷺ بمكة. فقلت: يا رسول الله: إنه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم. قال: **«اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم»**. قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول اللهﷺ بمن أسلم معى من قومى ورسول اللهﷺ بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس فلحقنا برسول اللهﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين. ثم لم أزل مع رسول اللهﷺ حتى إذا فتح الله عليه مكة. قلت يا رسول الله: ابعثنى إلى ذى الكفين، صنم عمرو ابن حممة حتى أحرقه. قال ابن إسحاق: فخرج إليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول:

يا ذا الكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا * مِيلادُنا أقْدَمُ مِنْ مِيلادِكَا

إنِّي حَشَوْتُ النَّارَ في فُؤادِكَا

قال: ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله ﷺ . فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل. فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لأصحابه: إنى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى، رأيت أن رأسى حلق، وأنه خرج من فمى طائر، وأنه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها وأرى ابنى يطلبنى طلباً حثيثاً ثم رأيته حبس عنى ؟ قالوا: خيراً. قال: أما أنا والله فقد أولتها. قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسى: فوضعه، وأما الطائر الذى خرج منه: فروحى، وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها: فالأرض تحفر لى فأغيب فيها، وأما طلب ابنى إياى ثم حبسه عنى: فإنى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى. فقتل رحمه الله شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله. هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا إسناد[1]، ولخبره شاهد فى الحديث الصحيح.

---

(1) «السيرة» (1/ 284-286)، ورواها الواقدى فى «المغازى» (870) (923) (927) متفرقًا.

ورواه من طريقه كاملاً ابن سعد (4/ 179-180)، وابن عساكر (25/ 10-12) عن عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبى عون الدوسى، وإسناده ضعيف جدًا.

وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (5/ 360)، وابن الأثير فى «الأسد» (2/ 468-469)، وابن عساكر (25/ 13)، عن ابن إسحاق معلقًا.

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: لما قدم الطفيل وأصحابه على النبى ﷺ قال: إن دوساً قد استعصت قال: «**اللهم اهد دوساً وائت بهم**» رواه البخارى عن أبى نعيم عن سفيان الثورى به.[1] وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أنبأنا محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه. قال: «قدم الطفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه. فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها. قال أبو هريرة: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقلت: هلكت دوس. فقال: «**اللهم اهد دوساً، وائت بها**»، إسناد جيد ولم يخرجوه.[2] وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر: أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله هل لك فى حصن حصين ومنعة؟ قال: حصن كان لدوس فى الجاهلية فأبى ذلك رسول الله ﷺ للذى ذخر الله للأنصار.

فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص فقطع بها براجمه فشخبت يداه فما رقأ الدم حتى مات. فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه فى هيئة حسنة، ورآه مغطياً يديه. فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لى بهجرتى إلى نبيه ﷺ قال: فما لى أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لى لن يصلح منك ما أفسدت. قال: فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم وَلِيدَيه فاغفر**». رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم كلاهما عن سليمان بن حرب به.[3] فإن قيل: فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت فى الصحيحين من طريق الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات، فقال الله عز وجل: عبدى بادرنى بنفسه فحرمت عليه الجنة**»[4]. فالجواب من وجوه؛ أحدها: أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً فى دخوله النار وإن كان شركه مستقلاً إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته. الثانى: قد يكون هذاك عالماً بالتحريم وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام. الثالث: قد يكون ذاك فعله مستحلاً له وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً. الرابع: قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك. الخامس: قد يكون هذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار، وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه ﷺ. ولكن بقى الشين فى يده فقط وحسنت هيئة سائره فغطى الشين منه فلما رآه

---

(1) أخرجه أحمد (2/ 448)، وفى (2/ 243)، والحميدى (1050)، والبخارى (2937) (4392) (6397)، ومسلم (2524)، والطبرانى (8217) (8218) (8219) (8220) (8221) (8222).

(2) أخرجه فى «المسند» (2/ 502) وإسناده حسن.

(3) أخرجه فى «المسند» (14982) وإسناده على شرط مسلم، وأخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (614)، ومسلم (116)، وأبو عوانة (1/ 47)، والطحاوى «مشكل» (198)، وابن منده فى «الإيمان» (652) من طريق سليمان بن حرب، به.

(4) أخرجه البخارى (3463)، ومسلم (113).

الطفيل بن عمرو مغطياً يديه قال له: ما لك؟ قال: قيل لى لن يصلح منك ما أفسدت. فلما قصها الطفيل على رسول الله ﷺ دعا له فقال: **«اللهم وليديه فاغفر»** أي: فأصلح منها ما كان فاسداً. والمحقق أن الله استجاب لرسول الله ﷺ فى صاحب الطفيل بن عمرو.

قصة أعشى بني قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام: حدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى وغيره من مشايخ بكر بن وائل عن أهل العلم أن أعشى بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح النبى ﷺ :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما * تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن * إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة * فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع * وليداً وكهلاً حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل تعتلي * مسافة ما بين النجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلي أين يممت * فإن لها في أهل يثرب موعدا
فإن تسألي عني فيا رب سائل * حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
أجدت برجليها نجاءً وراجعت * يداها خنافا لينا غير أحردا
وفيها إذا ما هجرت عجرفية * إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
وآليت لا آوي لها من كلالة * ولا من حفي حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم * تراحي وتلقي من فواضله ندى
نبي يرى ما لا ترون وذكره * أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل * فليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد * نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * فترصد للأمر الذي كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها * ولا تأخذن سهما حديداً لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه * ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرةً كان سرها * عليك حراما فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه * لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشية والضحى * ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائس ذي ضرارة * ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

قال ابن هشام: فلما كان بمكة أو قريب منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم. فقال له: يا أبا بصير إنه يحرم الزنا. فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب. فقال: يا أبا بصير إنه يحرم الخمر. فقال الأعشى: أما هذه فوالله إن في نفسي منها لعلالات، ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا، ثم آته فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى النبي ﷺ.[1] هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ههنا وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله. فإن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شعره ما يدل على ذلك وهو قوله:

ألا أيُّهذا السَّائِلِي أينَ يَمَّمَتْ * فإنَّ لها في أهلِ يَثْربَ مَوعِدا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يوردها هاهنا والله أعلم. قال السهيلي: وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أحد. وقد قال: وقيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل ابن هشام في دار عتبة بن ربيعة. وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك: هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ قال: وقوله ثم آته فأسلم لا يخرجه عن كفره بلا خلاف.[2] والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق هاهنا قصة الإراشي وكيف استعدى إلى رسول الله ﷺ من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة وقد قدَّمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك.[3]

قصة مصارعة ركانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي -إسحاق بن يسار- قال: وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف أشد قريشاً فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما ادعوك إليه؟**». قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك. فقال له رسول الله ﷺ: «**أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟**». قال: نعم! قال: «**فقم حتى أصارعك**». قال: فقام ركانة إليه فصارعه فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً ثم قال: عد يا محمد فعاد فصرعه. فقال: يا محمد والله إن هذا للعجب، أتصرعني؟ قال: «**وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري**»؟ قال: وما هو؟ قال: «**أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني**». قال: ادعها. فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. فقال لها: ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها. قال: فذهب ركانة إلى

(1) «السيرة» (1/ 288-289)، وإسناده ضعيف. وأخرجه ابن سيد الناس في «عيون الأثر» (1/ 183) عن ابن إسحاق.

(2) «الروض» (3/ 378) (3/ 380).

(3) تقدم تخريج القصة.

قومه فقال: يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع. [1]

هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسلةً بهذا السياق. وقد روى أبو داود والترمذى من حديث أبى الحسن العسقلانى عن أبى جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه. أن ركانة صارع النبى ﷺ فصرعه النبى ﷺ . ثم قال الترمذى: غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة.

قلت: وقد روى أبو بكر الشافعى بإسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن يزيد بن ركانة صارع النبى ﷺ فصرعه النبى ﷺ ثلاث مرات، كل مرة على مائة من الغنم فلما كان فى الثالثة قال: يا محمد ما وضع ظهرى إلى الأرض أحد قبلك، وما كان أحد أبغض إلىَّ منك. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقام عنه رسول الله ﷺ وردَّ عليه غنمه. [2]

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت فسيأتى فى كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة فى مرات متعددة إن شاء الله وبه الثقة. وقد تقدم عن أبى الأشدين أنه صارع النبى ﷺ فصرعه رسول الله ﷺ. [3] ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم [4]، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشى ولله الحمد والمنة.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا جلس فى المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خباب، وعمار، وأبو فكيهة، يسار مولى صفوان بن أمية، وصهيب، وأشباههم من المسلمين. هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصهم الله به دوننا. فأنزل الله عز وجل فيهم: **﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (الأنعام:52-54). [5] قال: وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام

---

(1) صحيح : «السيرة» (1/ 290-291)، ورواه أبو داود (4077)، والترمذى (1844)، والحاكم (3/ 452)، والبيهقى فى «الدلائل» (6/ 250)، وعبد الرزاق (10/ 127)، وقال: غريب. قلت: وإنما استغربه لأن فيه ثلاثة مجهولين على التسلسل لكن يشهد له ما رواه أبو بكر الشافعى بإسناد جيد. وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص217).

(2) إسناده جيد، كما قال الألبانى رحمه الله. وله إسناد آخر رواه الخطيب فى «المؤتلف والمختلف» كما قال الحافظ فى «الإصابة» (6/ 514) بإسناد لا بأس به.

(3) إلى الآن لم يذكره المؤلف، وربما التبس عليه فقد ذكره فى «التفسير».

(4) «السيرة» (1/ 291-292)، وابن جرير (12333)، وراجع تفسير النسائى (168)، والبزار (2758).

(5) «السيرة» (1/ 293)، ورواه مسلم (45/ 2413)، وابن ماجه (4127)، وابن جرير (7/ 127)، والواحدى (437) (438).

نصرانى يقال له: جبر، عبد لبنى الحضرمى، وكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتى به إلا جبر، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل:103).[1] ثم ذكر نزول سورة الكوثر فى العاص بن وائل حين قال عن رسول الله ﷺ إنه أبتر: لا عقب له فإذا مات انقطع ذكره. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:3)،[2] أى: المقطوع الذكر بعده، ولو خلف ألوفاً من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان صدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب، وقد تكلمنا على هذه السورة فى التفسير ولله الحمد. وقد روى عن أبى جعفر الباقر: أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبى ﷺ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة.[3] ثم ذكر نزول قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (الأنعام:8)، وذلك بسبب قول أبى بن خلف وزمعة بن الأسود والعاص ابن وائل والنضر بن الحارث: لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك.[4]

قال ابن إسحاق: ومر رسول الله ﷺ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبى جهل ابن هشام فهمزوه واستهزؤوا به، فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من أمرهم: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنبياء:41، الأنعام:10).[5]

قلت: وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام:34)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر:95). قال سفيان: عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: المستهزؤون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهرى، والأسود بن المطلب أبو زمعة، والحارث بن عيطل السهمي، والعاص بن وائل السهمى. فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فأراه الوليد فأشار جبريل إلى أبجله وقال: كفيته. ثم أراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى عنقه وقال: كفيته. ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال: كفيته. ثم أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال: كفيته. ومر به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال: كفيته. فأما الوليد: فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود بن عبد يغوث: فخرج فى رأسه قروح فمات منها، وأما الأسود بن المطلب: فعمى. وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بنى ألا تدفعون عنى قد قتلت فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً. وجعل يقول: يا بنى ألا

---

(1) **حسن** : رواه ابن إسحاق (1/ 293) معلقًا وعنه ابن جرير (14/ 178)، وأسنده الحاكم (2/ 357)، عن ابن عباس وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وهو كما قالا. وله شاهد من رواية عبد الله بن كثير عند الواحدى (586) وصححه الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص 218).

(2) «السيرة» (1/ 294) معلقًا - ووصله ابن جرير (30/ 329)، والواحدى (935)، وذكره الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص 219).

(3) «الروض» (3/ 402).

(4) «السيرة» (1/ 295) ولم أعثر عليه مسندًا.

(5) «السيرة» (1/ 296) ومن رواه عنه رواه معلقًا.

تمنعون عنى قد هلكت، ها هو ذا الطعن بالشوك فى عينى. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الحارث بن عيطل: فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها. وأما العاص بن وائل: فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل فى رأسه شبرقة حتى امتلأت منها فمات منها. وقال غيره فى هذا الحديث: فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة يعنى شوكة فدخلت فى أخمص قدمه شوكة فقتلته. رواه البيهقى بنحو من هذا السياق.(1)

وقال ابن إسحاق: وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر. وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم؛ الأسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم أعم بصره وأثكله ولده**». والأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلاطلة.(2) وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ (الحجر: 94-96). وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمرَّ به الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى. ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبناً. ومرَّ به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلاً له من خزاعة فتعلق سهم بإزاره فخدشه خدشاً يسيراً، فانتقض بعد ذلك فمات. ومرَّ به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً فقتله.(3)

ثم ذكر ابن إسحاق: أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم: خالد وهشام والوليد. فقال لهم: أى بنى، أوصيكم بثلاث، دمى فى خزاعة فلا تطلوه، والله إنى لأعلم أنهم منه براء ولكنى أخشى أن تسبوا به بعد اليوم، وربای فى ثقيف، فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعقرى عند أبى أزيهر الدوسى فلا يفوتنكم به. وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات، وكان قد قبض عقرها منه وهو صداقها. فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد، وقالوا: إنما قتله سهم صاحبكم، فأبت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر. ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل واصطلحوا وتحاجزوا.(4)

قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبى أزيهر وهو بسوق ذى المجاز فقتله، وكان

---

(1) حسن: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (4983)، والبيهقى (2/ 316)، من طريقين عن سفيان به، وهو حسن إن شاء الله.

(2) «السيرة» (1/ 408) وهو مرسل.

(3) حسن: أخرجه فى «السيرة» (2/ 310)، ورواه الطبرانى فى «الأوسط» (4986)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 316)، وابن مردويه بسند حسن كما قال السيوطى فى «الدر» (4/ 107)، وابن جرير (14/ 48)، وحسنه الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص 222)، وذكره الذهبى فى «تاريخه» (1/ 100). وقال: «صحيح».

(4) «السيرة» (2/ 310-311).

شريفاً فى قومه وكانت ابنته تحت أبى سفيان وذلك بعد بدر فعمد يزيد بن أبى سفيان فجمع الناس لبنى مخزوم وكان أبوه غائباً، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه: أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً فى رجل من دوس؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحرض أبا سفيان فى دم أبى أزيهر، فقال: بئس ما ظن حسان أن يقتل بعضنا بعضاً وقد ذهب أشرافنا يوم بدر. ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأله فى ربا أبيه من أهل الطائف ؟

قال ابن إسحاق: فذكر لى بعض أهل العلم: أن هؤلاء الآيات نزلن فى ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:278) وما بعدها.

قال ابن إسحاق: ولم يكن فى بنى أزيهر ثأر نعلمه حتى حجز الإسلام بين الناس، إلا أن ضرار ابن الخطاب بن مرداس الفهرى خرج فى نفر من قريش إلى أرض دوس فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبى أزيهر فقامت دونه أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم.[1] قال السهيلى: يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها.

قال ابن هشام: فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهى ترى أن ضراراً أخوه. فقال لها عمر: لست بأخيه إلا فى الإسلام، وقد عرفت منتك عليه فأعطاها على أنها بنت سبيل.[2]

قال ابن هشام: وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: انج يا بن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام رضى الله عنهما.[3]

فصل

وذكر البيهقى[4] ها هنا دعاء النبى ﷺ على قريش حين استعصت عليه بسبع كسبع يوسف وأورد ما أخرجاه فى الصحيحين من طريق الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود. قال: «**خمس مضين؛ اللزام والروم، والدخان، والبطشة، والقمر**»[5]، وفى رواية عن ابن مسعود. قال: «إن قريشاً، لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطأوا عن الإسلام. قال: «**اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف**». قال: فأصابتهم سنة فحصت كل شىء، حتى أكلوا الجيف والميتة حتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع. ثم دعا فكشف الله عنهم، ثم قرأ عبد الله هذه الآية: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (الدخان:15) قال: فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم القيامة أو قال: فأخروا إلى يوم بدر . قال أبو عبد الله: إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (الدخان:16) قال: يوم بدر.[6] وفى رواية

(1) «السيرة» (2/ 312-313).
(2،3) «السيرة» (2/ 313-314).
(4) البيهقى «دلائل» (2/ 327) من طريق الأعمش.
(5) أخرجه البخارى (4825)، ومسلم (2798)، والبيهقى «دلائل» (2/ 327).
(6) «الدلائل» (2/ 324-325) من طريق جعفر بن عون عن شعبة، به.

عنه. قال: لما رأى رسول الله ﷺ من الناس إدباراً. قال: «**اللهم سبع كسبع يوسف**» فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام. فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا: يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث، فأطبقت عليهم سبعاً فشكا الناس كثرة المطر. فقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» فانحدرت السحابة عن رأسه فسقى الناس حولهم. قال: لقد مضت آية الدخان وهو الجوع الذى أصابهم وذلك قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ وآية الروم، والبطشة الكبرى، وانشقاق القمر، وذلك كله يوم بدر. قال البيهقى: يريد والله أعلم البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام كلها حصلت ببدر. قال: وقد أشار البخارى إلى هذه الرواية.[1] ثم أورد من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن بالدم فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون:76). قال: فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم[2]. ثم قال الحافظ البيهقى: وقد روى فى قصة أبى سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة، ولعله كان مرتين والله أعلم.

فصل

ثم أورد البيهقى قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم:1-5). ثم روى من طريق سفيان الثورى عن حبيب ابن أبى عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبى بكر فذكره أبو بكر للنبى ﷺ فقال: «**اما انهم سيظهرون**» فذكر أبو بكر ذلك للمشركين. فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً إن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك أبو بكر للنبى ﷺ . فقال: «**الا جعلته اراة**». قال: «**دون العشر**» فظهرت الروم بعد ذلك.[3]

وقد أوردنا طرق هذا الحديث فى التفسير وذكرنا أن المباحث أى: المراهن لأبى بكر أمية بن خلف وأن الرهن كان على خمس قلائص، وأنه كان إلى مدة، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفى الرهن. وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر أو كان يوم الحديبية فالله أعلم.

---

(1) «الدلائل» (2/ 326-327) عن منصور عن أبى الضحى ورواه البخارى (3824) عن منصور أيضًا، والترمذى (3254).

(2) «الدلائل» (2/ 328)، وأخرجه ابن جرير (18/ 45)، والحاكم (2/ 394)، وصححه ووافقه الذهبى، قلت: رواية معمر عن أيوب ضعيفة، لكن يشهد لها ما سبق.

(3) «الدلائل» (2/ 330-331)، وأخرجه الترمذى (3193)، والطبرانى (12377)، والحاكم (2/ 410) من طريق سفيان به. وقال الترمذى: حديث حسن صحيح غريب.
قلت: إسناده صحيح.

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابى أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابى يحدث عن أبيه. قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق، كل ذلك فى خمس عشرة سنة.[1]

فصل في الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هناك إلى السموات وما رأى هنالك من الآيات

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء فى أوائل البعثة[2]، وأما ابن إسحاق فذكرها فى هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين[3]، وروى البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال: «أسرى برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة.[4] قال: وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة.[5] ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى. أنه قال: «فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس ليلة أُسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً[6]، فعلى قول السدى يكون الإسراء فى شهر ذى القعدة، وعلى قول الزهرى وعروة يكون فى ربيع الأول.

وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا عثمان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس. قالا: «ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول. وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات»[7]، فيه انقطاع. وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى فى سيرته وقد أورد حديثاً لا يصح سنده ذكرناه فى فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم. ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم. وينشد بعضهم فى ذلك:

ليلةَ الجُمُعَةِ عُرِّجَ بالنَّبِي * ليلةَ الجُمُعَةِ أوَّلَ رَجَبِ

وهذا الشعر عليه ركاكة وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به. وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فى ذلك مستقصاة عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)، فلتكتب من هناك على ما هى عليه من الأسانيد والعزو، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة.

---

(1) «الدلائل» (2/ 334) وإسناده ضعيف لجهالة أسيد الكلاعى وشيخه.
(2) تاريخ ابن عساكر (3/ 480-518).
(3) سيرة ابن هشام (2/ 299).
(4) «الدلائل» (2/ 354) مرسل، وتكلمنا على مراسيل الزهرى غير مرة، وأن العلماء لم يقبلوها.
(5) «الدلائل» (2/ 354-355) مرسل إسناده ضعيف.
(6) «الدلائل» (2/ 355) وهو مرسل.
(7) سبق تخريجه فى مطلع السيرة النبوية.

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله فإنه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول: ثم أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها. قال: وكان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه ﷺ عن ابن مسعود وأبى سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنهم والحسن بن أبى الحسن وابن شهاب الزهرى وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع فى هذا الحديث، كل يحدث عنه بعض ما ذكر لى من أمره. وكان فى مسراه ﷺ وما ذكر لى منه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولى الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله على يقين، فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التى يصنع بها ما يريد. وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى يقول: «أُتى رسول الله ﷺ بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها فى منتهى طرفها فحُمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء قد جمعوا له، فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية: من لبن، وخمر، وماء. فذكر أنه شرب إناء اللبن، فقال لى جبريل: هديت وهديت أمتك.[1] وذكر ابن إسحاق فى سياق الحسن البصرى مرسلاً: «أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبه البراق وهو دابة أبيض، بين البغل والحمار، وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع حافره فى منتهى طرفه، ثم حملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته.[2]

قلت: وفى الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق: «أن رسول الله ﷺ لما أراد ركوب البراق شمس به فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال: ألا تستحى يا براق مما تصنع، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه. قال: فاستحى حتى ارفضّ عرقاً ثم قرَّ حتى ركبته.[3] قال الحسن فى حديثه: فمضى رسول الله ﷺ ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله ﷺ فصلى بهم، ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له: هديت وهديت أمتك وحرمت عليكم الخمر. قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، فأصبح يخبر قريشاً بذلك فذكر أنه كذبه أكثر الناس وارتدت

---

(1) «السيرة» (1/ 300)، ورواه البزار (1/ 48)، وأبو يعلى (5014)، وعنه ابن عساكر (3/ 505) من طرق عن حماد بن سلمة عن أبى جمرة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود، به. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) «السيرة» (1/ 300) وهو مرسل إسناده ضعيف، فيه انقطاع مع إرساله، ووصله ابن جرير (7/ 220) من طريق ابن إسحاق حدثنى عمرو عبد الرحمن عن الحسن وعمرو بن عبد الرحمن مقبول لكن بقى عنعنة ابن إسحاق وذكره الحافظ «الفتح» (7/ 170) قال: وقد وقع فى مرسل الحسن عند ابن إسحاق.

(3) «السيرة» (2/ 301) وإسناده فيه انقطاع وإرساله لكن رواه الترمذى (3131)، والطبرى (15/ 15)، وأبو يعلى (3184)، وابن حبان (46)، والآجرى فى «الشريعة» (ص 488، 489)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 362)، وأحمد (12672)، من طريق عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس وإسناده صحيح. راجع «الفتح» (7/ 162).

طائفة بعد إسلامها، وبادر الصديق إلى التصديق وقال: إنى لأصدقه فى خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقه فى بيت المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله ﷺ قال: فيومئذ سمي أبو بكر الصديق. قال الحسن: وأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:60)، الآية.[1]

وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هانئ. أنها قالت: ما أسرى برسول الله ﷺ إلا من بيتى نام عندى تلك الليلة بعد ما صلى العشاء الآخرة، فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما صلى الصبح وصلينا معه. قال يا أم هانئ: «**لقد صليت معكم العشاء الآخرة فى هذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين**». ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فقلت: يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ويؤذوك. قال: «**والله لأحدثنهموه**» فأخبرهم فكذبوه. فقال: وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا، فأنفرهم حس الدابة فندَّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا موجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان. وآية ذلك أن عيرهم يصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء. قالت: فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذى وصف لهم، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه.[2]

وذكر يونس بن بكير عن أسباط عن إسماعيل السدى أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم. قال: فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون. رواه البيهقى.[3]

قال ابن إسحاق: وأخبرنى من لا أتهم عن أبى سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدنى فيه صاحبى، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء، يقال له: باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له: إسماعيل، تحت يده اثنا عشر ألف ملك، تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك**». قال: يقول رسول الله ﷺ إذا حدث بهذا الحديث

---

(1) «السيرة» (2/ 302) وقد سبق الكلام عليه.

(2) «السيرة» (2/ 304)، ورواه ابن سعد (1/ 166) بسند ضعيف جدًا، ورواه الطبرى (22013) بسند مثله، والطبرانى (24/ 432/ 1059) بسند فيه متروك، ورواه الذهبى فى «تاريخه» (1/ 245-246)، وقال: حديث غريب والوساوس ضعيف تفرد به، وقد رواه أبو يعلى وعنه ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (1/ 187) من طريق الذى أعله الذهبى. فكل طرق هذه الرواية التى عثرت عليها معلولة. والله أعلم.

(3) **معلق منكر**: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 404).

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ (المدثر:31). ثم ذكر بقية الحديث[1]، وهو مطول جداً وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله في التفسير وتكلمنا عليه فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضعف، وكذا في سياق حديث أم هانئ فإن الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس[2] أن الإسراء كان من المسجد من عند الحجر وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك. ومنها قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك، وذلك قبل أن يوحى إليه بل جاءه بعد ما أوحى إليه فكان الإسراء قطعاً بعد الإيحاء إما بقليل كما زعمه طائفة، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الأظهر. وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلاً ثانياً أو ثالثاً على قول لأنه مطلوب إلى الملأ الأعلى والحضرة الإلهية ثم ركب البراق رفعة له وتعظيماً وتكريماً فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته تحية المسجد.

وأنكر حذيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه[3] وهذا غريب، والنص المثبت مقدم على النافي. ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم.

وقيل: إن صلاته بالأنبياء كانت في السماء، وهكذا تخيره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح[4]، والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة. فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة، وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء وذكر أعيان من رآه من المرسلين: كآدم في سماء الدنيا، ويحيى وعيسى في الثانية وإدريس في الرابعة، وموسى في السادسة على الصحيح وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافاً ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام، ورفعت لرسول الله ﷺ سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة،

---

(1) «السيرة» (2/ 305)، ورواه الطبري (22023)، وابن عدي في «الكامل» (5/ 79)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 390) من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد، به.

وإسناده ضعيف، أبو هارون اسمه عمارة بن جُوين ضعيف وبعضهم قال: متروك، وكذبه بعضهم وذكر الذهبي في «تاريخه» (1/ 247) وقال: حديث غريب عجيب وأبو هارون ضعيف شيعي.

(2) انظر البخاري (3570) (7517)، ومسلم (162).

(3) أخرجه الترمذي (3147)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2515).

(4) راجع صحيح البخاري (3887)، وصحيح مسلم (164).

ونبقها كقلال هجر، وغشيها عند ذلك أمور عظيمة ألوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجر كثرة وفراش من ذهب وغشيها من نور الرب جل جلاله، ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذى يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم:13-17) أى: ما زاغ يميناً ولا شمالاً ولا ارتفع عن المكان الذى حدَّ له النظر إليه. وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها، كما نقله ابن مسعود[1] وأبو هريرة[2] وأبو ذر[3] وعائشة[4] رضى الله عنهم أجمعين. والأولى هى: قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (النجم:5-10)، وكان ذلك بالأبطح، تدلى جبريل على رسول الله ﷺ ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى، هذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم .

فأما قول شريك عن أنس فى حديث الإسراء: ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوى فأقحمه فى الحديث والله أعلم. وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شىء آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم. وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب -جل جلاله وله الحمد والمنة- إلى خمس. وقال: هى خمس وهى خمسون، الحسنة بعشر أمثالها فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتئذ، وأئمة السنة كالمطبقين على هذا.

واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم: رآه بفؤاده مرتين قاله ابن عباس وطائفة: وأطلق ابن عباس[5] وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد. وممن أطلق الرؤية: أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما، وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين واختاره ابن جرير وبالغ فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين. وممن نص على الرؤية بعينى رأسه: الشيخ أبو الحسن الأشعرى فيما نقله السهيلى عنه، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه. وقالت طائفة: لم يقع ذلك لحديث أبى ذر فى صحيح

---

(1) ونصه «رأيا جبريل عند سدرة المنتهى عليه ست مئة جناح ينتثر من ريشه التهاويلُ: «الدُّرُّ والياقوت».
أخرجه أحمد (3915)، والنسائى «الكبرى» (11542)، وأبو يعلى (4993)، وابنٍ خزيمة فى «التوحيد» (ص 203)، والطبرى (27/ 49)، من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زرٍّ عنه. وإسناده حسن.

(2) روى مسلم (175) عن عطاء عن أبى هريرة. ولقد رآه نزلة أخرى. قال: رأى جبريلَ.

(3) أخرجه البخارى (349)، ومسلم (163) مطولاً فى حديث الإسراء.

(4) رواه البخارى (4855)، ومسلم (177) مطولاً وفيه: «**إنما هو جبريل لم أرهُ على صورته التى خُلق عليها غير هاتين المرتين رأيتهُ متهبطًا من السماء. ساداً عِظمُ خلقهِ ما بين السماءِ والأرض**». الحديث.

(5) انظر: «صحيح مسلم» (176).

مسلم. قلت يا رسول الله: هل رأيت ربك؟ فقال: «**نورٌ أنَّى أراه**». وفى رواية: «**رأيت نوراً**»[1]. قالوا: ولم يمكن رؤية الباقى بالعين الفانية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى فى بعض الكتب الإلهية: «يا موسى إنه لا يرانى حى إلا مات، ولا يابس إلا تدهده». والخلاف فى هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم.

ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هى عادة الوافدين لا يجتمعون بأحد قبل الذى طلبوا إليه، ولهذا كان كلما مرَّ على واحد منهم يقول له جبريل عند مقدم ذاك للسلام عليه: هذا فلان فسلم عليه، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية. ومما يدل على ذلك أنه قال: «**فلما حانت الصلاة: أممتهم**». ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل، فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدم فى الإمامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلتهم ودار إقامتهم. ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار. وقد عاين فى تلك الليلة من الآيات والأمور التى لو رآها أو بعضها غيره لأصبح مندهشاً أو طائش العقل، ولكنه ﷺ أصبح واجماً أى: ساكناً يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه، فتلطف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة وذلك أن أبا جهل لعنه الله رأى رسول الله ﷺ فى المسجد الحرام وهو جالس واجم. فقال له: هل من خبر؟ فقال: «**نعم!**» فقال: وما هو؟ فقال: «**إنى أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس**». قال: إلى بيت المقدس ! قال: «**نعم**». قال: أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتنى به؟ قال: «**نعم!**» فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم. فقال أبو جهل: هيا معشر قريش فاجتمعوا من أنديتهم. فقال: أخبر قومك بما أخبرتنى به. فقص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه، فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيباً له واستبعاداً لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس إلى أبى بكر رضى الله عنه فأخبروه أن محمداً ﷺ يقول كذا وكذا. فقال: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: والله إنه ليقوله. فقال: إن كان قاله فلقد صدق. ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحوله مشركو قريش فسأله عن ذلك فأخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به. وفى الصحيح أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. قال: فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس علىَّ بعض الشىء، فجلى الله لى بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم.[2] فقالوا: أما الصفة: فقد أصاب.

وذكر ابن إسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه مائهم، فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة، فآمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾(الإسراء:60) أى: اختباراً لهم وامتحاناً.

---

(1) صحيح مسلم (178)، وأخرجه أحمد (5/ 175)، والترمذى (3282) وغيرهم.
(2) صحيح مسلم (172).

قال ابن عباس: هى رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ .[1] وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده فى المعراج وغير ذلك. ولهذا قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ (الإسراء:1) والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدلَّ على أنه بالروح والجسد، والعبد عبارة عنهما. وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس فى ذلك كبير أمر، فدلَّ على أنه أخبرهم بأنه أسرى به يقظة لا مناماً.

وقوله فى حديث شريك عن أنس: «ثم استيقظت فإذا أنا فى الحجر»[2] معدود فى غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتى فى حديث عائشة رضى الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ إلى الطائف فكذبوه، قال: فرجعت مهموماً فلم أستفق إلا بقرن الثعالب.[3] وفى حديث أبى أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحنكه فوضعه على فخذ رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبى فسأل عنه فقالوا: رفع فسماه المنذر[4]، وهذا الحمل أحسن من التغليط والله أعلم. وقد حكى ابن إسحاق فقال: حدثنى بعض آل أبى بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه».[5] قال: وحدثنى يعقوب ابن عتبة أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: «كانت رؤيا من الله صادقة». [6]

قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت فى ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء:60) وكما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات:102)[7]، وفى الحديث: «**تنام عينى وقلبى يقظان**». [8]

قال ابن إسحاق: فالله أعلم أى ذلك كان، قد جاءه، وعاين فيه ما عاين من أمر الله تعالى، على أى حاليه كان نائماً أو يقظاناً كل ذلك حق وصدق.[9]

قلت: وقد توقف ابن إسحاق فى ذلك وجوَّز كلاً من الأمرين من حيث الجملة، ولكن الذى لا يشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظاناً لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضى الله عنها أن

---

(1) أخرجه البخارى (3888) (4716) (6613).

(2) تقدم تخريجه.

(3) جزء من حديث فى «الصحيحين» وسيأتى بلفظه.

(4) أخرجه البخارى (6191)، ومسلم (2149).

(5) **إسناده ضعيف منقطع** : وهو فى «السيرة» (2/ 302)، وعنه ابن جرير (22033).

(6) **إسناده منقطع**: وهو فى «السيرة» (2/ 302)، وعنه ابن جرير (22032). وأقول: جمهور السلف والخلف على أن الوحى كان بالروح والجسد معًا ويؤيده حديث ابن عباس فى «المسند» (4546) بسند صحيح.

(7) «السيرة» (2/ 302).

(8) أخرجه البخارى (3569) بلفظ: «**تنام عينى ولا ينام قلبى**» وسيأتى فى «الشمائل».

(9) «السيرة» (2/ 302).

جسده ﷺ ما فقد، وإنما كان الإسراء بروحه أن يكون ذلك مناماً كما فهمه ابن إسحاق، بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناماً. لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، ومراد من تابعها على ذلك، لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم.

تنبيه: ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء طبق ما وقع بعد ذلك، فإنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد تقدم مثل ذلك فى حديث بدء الوحى أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناماً قبله ليكون ذلك من باب الإرهاص والتوطئة والتثبيت والإيناس والله أعلم.

ثم قد اختلف العلماء فى أن الإسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة أو كل فى ليلة على حدة؟ فمنهم من يزعم أن: الإسراء فى اليقظة، والمعراج: فى المنام. وقد حكى المهلب بن أبى صفرة فى شرحه البخارى عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن: الإسراء مرتين مرة بروحه مناماً، ومرة ببدنه وروحه يقظة. وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلى عن شيخه أبى بكر بن العربى الفقيه المالكى.[1] وهذا القول يجمع الأحاديث فإن فى حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه. وقال فى آخره: ثم استيقظت فإذا أنا فى الحجر وهذا منام، ودلّ غيره على اليقظة، ومنهم من يدعى تعدد الإسراء فى اليقظة أيضاً حتى قال بعضهم: إنها أربع إسراءات. وزعم بعضهم: أن بعضها كان بالمدينة، وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع فى روايات حديث الإسراء بالجمع بالتعدد فجعل ثلاث إسراءات، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السماوات على البراق أيضاً لحديث حذيفة، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات.

فنقول: إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث فى ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات، ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصىً فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر فى ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السماوات فلا يلزم من الحصر العقلى الوقوع كذلك فى الخارج إلا بدليل والله أعلم. والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخارى رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبى طالب فوافق ابن إسحاق فى ذكره المعراج فى أواخر الأمر، وخالفه فى ذكره بعد موت أبى طالب، وابن إسحاق أخّر ذكر موت أبى طالب على الإسراء، فالله أعلم أى ذلك كان.

والمقصود: أن البخارى فرّق بين الإسراء وبين المعراج فبوب لكل منهما باباً على حدة. فقال: باب حديث الإسراء وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: سمعت

(1) «الروض» (3/ 417)، و«الفتح» (7/ 197).

جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لما كذبتنى قريش كنت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**». وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث الزهرى عن أبى سلمة عن جابر به.[1] ورواه مسلم والنسائى من حديث عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه.[2]

ثم قال البخارى: باب حديث المعراج: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن أنس ابن مالك، عن مالك بن صعصعة أن النبى ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به. قال: «**بينما أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر** -مضجعاً إذ أتانى آت» فقدّ- قال: وسمعته يقول: «**فشق ما بين هذه إلى هذه**». فقلت للجارود وهو إلى جنبى ما يعنى به. قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قَصّه إلى شعرته. «**فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض**». فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم !: «**يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ! قيل: مرحباً به فنعم المجىء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم. فقال: هذا أبوك آدم، فسلِّم عليه فسلمت عليه فردَّ السلام. ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى إلى السماء الثانية فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجىء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما فسلمت فردا. ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ! قيل: مرحباً به فنعم المجىء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلِّم عليه، فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح. قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قال: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ! قيل: مرحباً به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلِّم عليه فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال:**

---

(1) أخرجه البخارى (4710)، وابن حبان (55)، والبغوى (3762)، أبو عوانة (1/ 125) من طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب، به.
وأخرجه البخارى (3886)، ومسلم (170)، والترمذى (3132)، وأبو عوانة (1/ 131)، وابن منده (739) من طريق الليث عن عقيل عن الزهرى، به.
وأخرجه عبد الرزاق (5/ 329)، وعنه أحمد (3/ 377)، وأبو عوانة (1/ 124)، وابن منده (738) عن معمر عن الزهرى، به.

(2) أخرجه مسلم (172)، والنسائى «كبرى» (11284).

جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلِّم عليه فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح. فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلِّم عليه، فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. فلما تجاوزت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى. ثم صعد بى إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم! قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك إبراهيم فسلِّم عليه، فسلمت عليه فرد السلام. ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار؛ نهران ظاهران، ونهران باطنان. فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان: فنهران فى الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات. ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن. قال: هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك. ثم فرضت علىَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإنى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة؛ فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عنى عشراً. فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشراً. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشراً. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم. فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزت نادانى مناد أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادى». (1)

هكذا روى البخارى هذا الحديث ههنا. وقد رواه فى مواضع أخر من (صحيحه) ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة. ورويناه من حديث أنس ابن مالك عن أبى بن كعب. ومن حديث أنس عن أبى ذر. ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبى ﷺ وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه فى التفسير، ولم يقع فى هذا السياق ذكر بيت المقدس،

(1) أخرجه البخارى (3207) (3393) (3430) (3887)، ومسلم (164)، والترمذى (3346)، والنسائى «كبرى» (313).

وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو يبسط تارة فيسوقه كله، وتارة يحدث مخاطبه بما هو الأنفع له. ومن جعل كل رواية إسراءً على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعد جداً. وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء، وفى كل منها تعريفه بهم، وفى كلها يفرض عليه الصلوات. فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك؟ هذا فى غاية البعد والاستحالة والله أعلم.

ثم قال البخارى: حدثنا الحميدى حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء:60) قال: هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، والشجرة الملعونة فى القرآن، قال: هى شجرة الزقوم.[1]

فصل

ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبريل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل فى ذلك اليوم إلى الغد، والمسلمون يأتمون بالنبى ﷺ وهو يقتدى بجبريل كما جاء فى الحديث عن ابن عباس وجابر: «**أمنى جبريل عند البيت مرتين**»[2]. فبيَّن له الوقتين فهما الأول والآخر فهما وما بينهما الوقت الموسع، ولم يذكر توسعة فى وقت المغرب. وقد ثبت ذلك فى حديث أبى موسى، وبريدة، وعبد الله بن عمرو، وكلها فى صحيح مسلم[3] وموضع بسط ذلك فى كتابنا الأحكام ولله الحمد.

فأما ما ثبت فى صحيح البخارى من طريق سفيان، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة، قالت: «فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر». وكذا رواه الأوزاعى عن الزهرى، ورواه الشعبى عن مسروق عنها[4] وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت

---

(1) انظر: صحيح البخارى (3888) (4716) (6613).

(2) حديث ابن عباس – رواه أحمد (3322)، وابن أبى شيبة (14/ 253)، وعبد بن حميد (703)، وأبو داود (393)، والترمذى (149)، وابن خزيمة (325)، والطبرانى (10752)، والحاكم (1/ 193)، والبيهقى (1/ 364)، والبغوى (348)، وحسنه الألبانى.

وحديث جابر: أخرجه أحمد (3/ 330)، والترمذى (150)، وابن حبان (1472)، وصححه الألبانى فى «صحيح الترمذى» (128).

(3) حديث أبو موسى فى «صحيح مسلم» (614) (178)، ومسند أحمد حديث بريدة فى «المسند» (5/ 349)، ومسلم (613)، وحديث عبد الله بن عمرو فى مسلم (612)، وأحمد (6966)، وفى الباب حديث أبى هريرة عند النسائى (1/ 249-250)، والبزار (368)، والحاكم (1/ 194).

وحديث أنس عند الدارقطنى (1/ 260)، وأبو مسعود الأنصارى عند أحمد (4/ 120) وغيرهم.

(4) هو فى «الصحيح» (1089)، وأخرجه مالك (1/ 146)، وعنه البخارى (350)، ومسلم (685)، وأبو داود (1198)، وابن حبان (2736)، والنسائى (1/ 225) من طريق صالح بن كيسان عن عروة، به.

وأخرجه البخارى (1090) (3935)، ومسلم (685)، والدارمى (1/ 355)، والنسائى (1/ 225)، والبيهقى (3/ 143)، من طرق عن الزهرى عن عروة، به.

تتم الصلاة فى السفر وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء:101). قال البيهقى: وقد ذهب الحسن البصرى إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً كما ذكره مرسلاً من صلاته عليه السلام صبيحة الإسراء: الظهر أربعاً، والعصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً يجهر فى الأولين، والعشاء أربعاً يجهر فى الأولين، والصبح ركعتين يجهر فيهما.(1)

قلت: فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين، ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ما هى عليه، ورخص فى السفر أن يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلية والله أعلم.

فصل في انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ وجعل الله له آية على صدق رسوله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وفق إشارته الكريمة

قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ (القمر:1-3). وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك فى زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. وقد تقصينا ذلك فى كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة، ونحن نشير ههنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته. وذلك مروى عن أنس بن مالك، وجبير بن مطعم، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين.

أما أنس فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين. فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر:1). ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به،(2) وهذا من مرسلات الصحابة. والظاهر أنه تلقاه عن الجم الغفير من الصحابة، أو عن النبى ﷺ، أو عن الجميع، وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان. زاد البخارى وسعيد بن أبى عروبة، وزاد مسلم وشعبة ثلاثتهم عن قتادة عن أنس: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما» لفظ البخارى.(3)

---

(1) «الدلائل» (2/ 407).

(2) **إسناده صحيح على شرطهما** : هو فى «المسند» (12688)، وعنه الحاكم (2/ 472)، وهو فى «تفسير عبد الرزاق» (2/ 257)، وعنه عبد بن حميد (1184)، ومسلم (2802)، والترمذى (3226)، والنسائى (11554)، وأبو يعلى (3187)، من طريق معمر، به.

(3) أخرجه أحمد (13154)، والبخارى (3637) (4867)، ومسلم (2802)، وأبو يعلى (3113)، من طريق شيبان حدثنا قتادة، به.

وأما جبير بن مطعم فقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين ابن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل. فقالوا: سحرنا محمد ! فقالوا: إن كان سحرنا؛ فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم». تفرد به أحمد. وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به.[1] وقد رواه البيهقى من طريق إبراهيم بن طهمان، وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه عن جده به فزاد رجلاً فى الإسناد.[2]

وأما حذيفة بن اليمان: فروى الحافظ أبو نعيم فى الدلائل من طرق عن عطاء بن السائب، عن أبى عبد الرحمن السلمى. قال: خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر:1) ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق. فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبى إلى الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد ألا وإن السابق من سبق إلى الجنة، فلما كنا فى الطريق قلت لأبى: ما يعنى بقوله غداً السباق قال: من سبق إلى الجنة.[3]

وأما ابن عباس فقال البخارى: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا بكر عن جعفر، عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: «**إن القمر انشق فى زمان النبى ﷺ**». ورواه البخارى أيضاً ومسلم من حديث بكر وهو ابن مضر عن جعفر هو ابن ربيعة عن عراك به.[4]
وقال ابن جرير: ثنا ابن المثنى ثنا عبد الأعلى ثنا داود بن أبى هند عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (القمر:1-2). قال: قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه[5]. وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه وهو من مرسلاته.[6]

وقال الحافظ أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا بكر بن سهيل، حدثنا عبد الغنى بن

---

(1) **إسناده ضعيف** : وهو فى «المسند» (4/ 81-82) حصين بن عبد الرحمن لم يسمع من محمد بن جبير هذا الحديث بينهما جبير بن محمد بن جبير، كما فى رواية الطبرانى (1560)، والحاكم (2/ 472)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 268) غير أنه مجهول.
وقد أخرجه الترمذى (3289)، والطبرانى (1559)، والبيهقى «دلائل» (2/ 268)، وابن حبان (6497)، والطبرى (27/ 86) من طرق عن حصين، به.

(2) راجع التخريج السابق.

(3) أخرجه ابن جرير (11/ 545-546) من طريق شعبة عن عطاء، به. وإسناده حسن، فإن سماع شعبة من عطاء صحيح، وأبو عبد الرحمن السُّلمى حديثه حسن.

(4) هو فى البخارى (4866)، ورواه (3638) (3870)، ومسلم (2803).

(5،6) الطبرى «تفسير» (27/ 86) وإسناده ضعيف.

سعيد، حدثنا موسى بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، وعن مقاتل عن الضحاك، عن ابن عباس فى قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾. قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم فقالوا للنبى ﷺ : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبى قبيس ونصفاً على قعيقعان. فقال لهم النبى ﷺ : «**إن فعلت تؤمنوا؟**». قالوا: نعم! وكانت ليلة بدر، فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد مثُل نصفاً على أبى قبيس ونصفاً على قعيقعان، ورسول الله ﷺ ينادى «**يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا**». (1)

ثم قال أبو نعيم: وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا الحسن بن العباس الرازى عن الهيثم بن النعمان، حدثنا إسماعيل بن زياد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: انتهى أهل مكة إلى رسول الله ﷺ فقالوا: هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فهبط جبريل فقال يا محمد: قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيرون آية إن انتفعوا بها. فأخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبريل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها، ثم أعادوا النظر فنظروا، ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا فقالوا: يا محمد ما هذا إلا سحر ذاهب، فأنزل الله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ . (2)

ثم روى عن الضحاك عن ابن عباس قال: جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا آية حتى نؤمن بها، فسأل ربه فأراهم القمر قد انشق فصار قمرين؛ أحدهما على الصفا والآخر على المروة، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب. فقالوا: هذا سحر مستمر.(3)

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا محمد بن يحيى القطعى، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ .(4) وهذا إسناد جيد وفيه أنه: كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق فى ليلة كسوفه، ولهذا خفى أمره على كثير من أهل الأرض ولعل ذلك فى بعض ليالى الشتاء حيث يكون أكثر الناس فى البيوت أو ستره غيم عن كثير من الأرض، ومع هذا قد شوهد ذلك فى كثير من بقاع الأرض. ويقال: إنه أرخ ذلك فى بعض بلاد الهند، وبنى بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر.

(1) دلائل أبى نعيم (209)، وضعفه الحافظ فى «الفتح» (7/ 182) وهو جدير بالضعف وإن كان أحد الإسنادين أشد ضعفًا من الآخر.

(2) إسناده ضعيف جداً، إسماعيل تركوه.

(3) «الدلائل» لأبى نعيم (210) وإسناده أشد ضعفاً.

(4) الطبرانى فى «الكبير» (11642) وإسناده حسن.

وأما ابن عمر: فقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال النبي ﷺ : اللهم اشهد.[1] وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن الأعمش عن مجاهد به.[2] قال مسلم: كرواية مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود.[3] وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ : «اشهدوا». وهكذا أخرجاه من حديث سفيان وهو ابن عيينة به.[4] ومن حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عبد الله بن سخبرة، عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى، فقال النبي ﷺ : «اشهدوا». وذهبت فرقة نحو الجبل. لفظ البخاري.[5] ثم قال البخاري: وقال أبو الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بمكة[6] وتابعه محمد بن مسلم، عن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه.

وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي الضحى، عن مسروق ذلك في مسنده فقال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار؟ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السفار فقالوا ذلك.[7]

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هشيم، حدثنا مغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله

---

(1) «الدلائل» (2/ 267).

(2) أخرجه مسلم (2801)، والترمذي (3288).

(3) أخرجه مسلم (2800).

(4) إسناده صحيح على شرطهما.

وهو في «المسند» (3583). وأخرجه البخاري (3636) (4865)، ومسلم (2800)، والترمذي (3287)، والنسائي «كبرى» (11553)، وأبو يعلى (4968)، والطحاوي «مشكل» (1/ 302)، والبيهقي «دلائل» (2/ 264) من طريق سفيان، به.

(5) أخرجه البخاري (3869) (3871) (4864)، ومسلم (2800)، والترمذي (3285)، وأبو يعلى (5070)، والطحاوي «مشكل» (1/ 302) من طرق عن الأعمش، به.

(6) رواه تعليقاً (3869).

(7) «المسند» (295)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 266) من طريقه، والبزار (1971)، والطبري (27/ 50)، والبيهقي (2/ 266) من طريق أبي عوانة، به. وإسناده صحيح.

قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش لأهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبى كبشة، انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به. قال فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا رأينا. وهكذا رواه ابن جرير من حديث المغيرة وزاد فأنزل الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ .[1] ورواه أبو نعيم: من حديث جرير، عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن عبد الله به.[2]

وقال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله هو ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين فرجتى القمر. وهكذا رواه ابن جرير: من حديث أسباط، عن سماك به. [3]

وقال الحافظ أبو نعيم: حدثنا أبو بكر الطلحى، حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعى، حدثنا يحيى الحمانى، حدثنا يزيد بن عطاء، عن سماك، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: كنا مع النبى ﷺ بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين فتوارت فرقة خلف الجبل، فقال النبى ﷺ : **«اشهدوا اشهدوا»**.[4] وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا جعفر بن محمد القلانسى، حدثنا آدم بن أبى إياس، ثنا الليث بن سعد، حدثنا هشام بن سعد، عن عتبة، عن عبد الله بن عتبة، عن ابن مسعود قال: انشق القمر ونحن بمكة، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذى بمنى ونحن بمكة.[5]

وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم، حدثنا محمد بن حاتم أبو سعيد، حدثنا معاوية ابن عمرو، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين. ثم روى من حديث على بن سعيد بن مسروق، حدثنا موسى بن عمير، عن منصور بن المعتمر، عن زيد ابن وهب، عن عبد الله بن مسعود قال: «رأيت القمر والله منشقاً باثنتين بينهما حراء»[6] وروى أبو نعيم من طريق السدى الصغير، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس قال: «انشق القمر فلقتين فلقة ذهبت، وفلقة بقيت».[7]

---

(1) «الدلائل» (2/ 66)، وأخرجه الشاشى فى «مسنده» (404) من طريق هشيم، به.

(2) أخرجه أبو نعيم (211) (212) من حديث المغيرة عن أبى الضحى السابق.

(3) أخرجه أحمد (3924)، وإسناده ضعيف لأجل مؤمل بن إسماعيل فإنه سيئ الحفظ.
وأخرجه عبد الرزاق فى «تفسيره» (2/ 257) والطحاوى «مشكل» (1/ 302)، والحاكم (2/ 471) عن إسرائيل، به.
وأخرجه الطيالسى (280) عن يزيد بن عطاء، والطبرى (27/ 85) عن أسباط، كلاهما عن سماك، به.

(4) أخرجه الطيالسى (280) من طريق يزيد بن عطاء، به. والإسناد به يحيى الحماتى وكان يسرق الحديث ضعف لذلك. وأخرجه الطبرانى (10009) من طريق إبراهيم، به.

(5) هذا إسناده وإن كان حسنًا لكن المحفوظ هو حديث شعبة عن الأعمش عن إبراهيم، كما قال الحافظ فى «الفتح» (7/ 183).

(6) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (9997) من طريق على بن سعيد وأخرجه (9996) من طريق يحيى بن عيسى عن الأعمش، به.

(7) إسناده لا يصح لأجل السُّدى والكلبى.

قال ابن مسعود: لقد رأيت جبل حراء من بين فلقتى القمر، فذهبت فلقة، فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا: هذا سحر مصنوع سيذهب.[1]

وقال ليث بن أبى سليم، عن مجاهد قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فقال النبى ﷺ لأبى بكر: «**اشهد يا أبا بكر**». وقال المشركون: سحر القمر حتى انشق.[2] فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها، وعرف عدالة رجالها، وما يذكره بعض القصَّاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل فى كم النبى ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له، وهو كذب مفترى ليس بصحيح. والقمر حين انشق لم يزايل السماء، غير أنه حين أشار إليه النبى ﷺ انشق عن إشارته فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك. وما وقع فى رواية أنس فى مسند أحمد: فانشق القمر بمكة مرتين[3] فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين، والله أعلم.

فصل في وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ ورضي الله عنها

وقيل: بل هى توفيت قبله والمشهور الأول، وهما المشفقان؛ هذاك فى الظاهر وهذه فى الباطن، هذاك كافر وهذه مؤمنة صديقة رضى الله عنها وأرضاها.

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا فى عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام يسكن إليها، وبهلك عمه أبى طالب وكان له عضداً وحرزاً فى أمره ومنعة وناصراً على قومه. وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً. فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال: فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسله وتبكى، ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك**». ويقول بين ذلك: «**ما نالتنى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب**».[4]

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك: أن أحدهم ربما طرح الأذى فى برمته ﷺ إذا نصبت له. قال:

---

(1) قلت: أغفل المؤلف طريق أبى معاوية عن الأعمش الذى رواه أحمد (4360)، ومسلم (2800)، وأبو يعلى (5196)، والطحاوى (1/ 302)، وابن حبان (6495).

(2) **مرسل إسناده ضعيف**: وهو فى «تفسير الطبرى» (27/ 87).

(3) سبق تخريجه.

(4) **مرسل إسناده حسن**: أخرجه ابن إسحاق (2/ 316)، وذكره الذهبى فى «تاريخه» (1/ 105)، وقال: غريب مرسل.

فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثنى عمر بن عبد الله، عن عروة يخرج بذلك الشىء على العود فيقف به على بابه ثم يقول: «يا بنى عبد مناف أى جوار هذا، ثم يلقيه فى الطريق».[1]

قال ابن إسحاق: لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثقله قالت قريش بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا، فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا.[2] قال ابن إسحاق: وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس قال: لما مشوا إلى أبى طالب وكلموه - وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل ابن هشام، وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب فى رجال من أشرافهم. فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ لنا منه، وخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه. فبعث إليه أبو طالب، فجاءه فقال يا بن أخى: هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم**». فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات. قال: «**تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه**». قال: فصفقوا بأيديهم ثم قالوا يا محمد: أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! إن أمرك لعجب. قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا. قال: فقال أبو طالب: والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططاً. قال: فطمع رسول الله ﷺ فيه فجعل يقول له: «**أى عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة**». قال: فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا بن أخى والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى، وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها. قال: فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنه، قال فقال: يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لم أسمع**».[3] قال: وأنزل الله تعالى فى أولئك الرهط: ﴿**صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**﴾ (ص:1،2) الآيات. وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير، ولله الحمد والمنة.

وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العباس

---

(1) ابن إسحاق (2/ 315) وعنه الطبري (1/ 553)، ورواه ابن سعد (1/ 201)، عن عائشة بسند فيه الواقدي وراجع ما رواه البخاري (240) (520) (2934)، ومسلم (1794) عن ابن مسعود.

(2) ابن إسحاق (2/ 316).

(3) **إسناده ضعيف** : وهو فى «السيرة» (2/ 317)، ورواه أحمد (1/ 227-228)، وابن أبى شيبة (3/ 359)، والترمذى (3232)، والنسائى «كبرى» (11436) (11437)، والطبرى (23/ 125)، وأبو يعلى (2583)، وابن حبان (6686) وضعفه الشيخ الألبانى.
وقال الحافظ فى «الفتح» (7/ 234): لا يصح، لأنه معارض بالحديث الصحيح - وقد ذكرته فى «السيرة».

هذا الحديث: «يا ابن أخي، لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها» يعني لا إله إلا الله، والجواب عن هذا من وجوه: أحدها: أن في السند مبهماً لا يعرف حاله وهو قوله عن بعض أهله وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد. وقد روى الإمام أحمد، والنسائي، وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة، عن الأعمش، حدثنا عباد، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره، ولم يذكر قول العباس. ورواه الثوري أيضاً عن الأعمش، عن يحيى بن عمارة الكوفي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس. رواه الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن جرير أيضاً.

ولفظ الحديث من سياق البيهقي فيما رواه من طريق الثوري، عن الأعمش، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءت قريش، وجاء النبي ﷺ عند رأس أبي طالب، مجلس رجل، فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك وشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ فقال: **«يا عم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها الجزية العجم، كلمة واحدة»**. قال: ما هي؟ قال: **«لا إله إلا الله»**. قال: فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ! قال: ونزل فيهم: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ (ص:1-7).[1] ثم قد عارضه -أعني سياق ابن إسحاق- ما هو أصح منه، وهو ما رواه البخاري رحمه الله قائلاً: حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبيه رضي الله عنه: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: **«أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»**. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: **«لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»**. فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة:113). ونزلت: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص:56).

ورواه مسلم: عن إسحاق بن إبراهيم، وعبد، عن عبد الرزاق.[2] وأخرجاه أيضاً من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه بنحوه، وقال فيه: فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: **«أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»**. فأنزل الله يعني بعد ذلك: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ .[3]

وهكذا روى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، من حديث يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال: **«يا عماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة»**. فقال: لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت

---

(1) ضعيف : كما سبق تخريجه.

(2) أخرجه البخاري (3884)، ومسلم (24).

(3) أخرجه البخاري (1360) (4772)، ومسلم (24).

لأقررت بها عينك، ولا أقولها إلا لأقر بها عينك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.(1) وهكذا قال عبد الله بن عباس، وابن عمر، ومجاهد، والشعبى، وقتادة: إنها نزلت فى أبى طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فأبى أن يقولها، وقال: هو على ملة الأشياخ، وكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب.(2)

ويؤكد هذا كله ما قال البخارى: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، حدثنى عبد الله بن الحارث، حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت للنبى ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: **«هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار»**. ورواه مسلم فى صحيحه: من طرق عن عبد الملك بن عمير به.(3) وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث: حدثنى ابن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبى سعيد أنه سمع النبى ﷺ وذكر عنده عمه فقال: **«لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه»**. لفظ البخارى. وفى رواية: **«تغلى منه أم دماغه»**.(4)

وروى مسلم: عن أبى بكر ابن أبى شيبة، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبى عثمان، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: **«أهون أهل النار عذابًا أبو طالب منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه»**(5). وفى مغازى يونس بن بكير **«يغلى منهما دماغه حتى يسيل على قدميه»**(6). ذكره السهيلى. وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده: حدثنا عمر -هو ابن إسماعيل ابن مجالد- حدثنا أبى، عن مجالد، عن الشعبى، عن جابر. قال: سئل رسول الله ﷺ أو قيل له هل نفعت أبا طالب؟ قال: **«أخرجته من النار إلى ضحضاح منها»**. تفرد به البزار.(7) قال السهيلى: وإنما لم يقبل النبى ﷺ شهادة العباس لأخيه أنه قال الكلمة وقال: **«لم أسمع»** لأن العباس كان إذ ذاك كافراً غير مقبول الشهادة.(8)

قلت: وعندى أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم. ومما يدل على ذلك: أنه سأل

(1) هو فى «المسند» (9687) وإسناده على شرط مسلم وأخرجه الطبرى (20/ 92) من طريق محمد بن عبيد، به. وأخرجه أحمد (9610)، ومسلم (25)، والترمذى (3188)، والطبرى (20/ 92)، وابن منده (38) من طريق يحيى عن يزيد، به.

(2) انظرها فى «تفسير الطبرى» (20/ 92-93)، و«الدر المنثور» (5/ 133).

(3) أخرجه البخارى (3883)، ومسلم (209).

(4) أخرجه البخارى (3885) (6564)، ومسلم (210)، وأحمد (3/ 9، 50)، وابن حبان (6271)، والبيهقى «دلائل» (2/ 347) من طرق عن يزيد بن الهاد، به.

(5) هو فى «الصحيح» (212) وقد أخرجه ابن أبى شيبة (13/ 157)، وعنه مسلم والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 348) بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد (2636)، وأبو عوانة (1/ 98)، والحاكم (4/ 581) من طريق حماد بن سلمة، به.

(6) انظر «السيرة» (ص 223)، و«الروض» (4/ 28).

(7) إسناده ضعيف جداً ؛ وانظر «المجمع» (10/ 395).

(8) «الروض» (4/ 27).

النبي ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم، وبتقدير صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق: سمعت ناجية بن كعب يقول: سمعت علياً يقول: لما توفى أبي أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن عمك قد توفى. قال: «**اذهب فواره**». فقلت: إنه مات مشركاً. فقال: «**اذهب فواره**» ولا تحدثن شيئاً حتى تأتني. ففعلت ثم أتيته، فأمرني أن أغتسل.[1] ورواه النسائي: عن محمد بن المثنى، عن غندر، عن شعبة به. ورواه أبو داود، والنسائي من حديث سفيان، عن أبي إسحاق، عن ناجية، عن علي: لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله: إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه؟ قال: «**اذهب فوار اباك ولا تحدثن شيئاً حتى تاتيني**». فأتيته فأمرني فاغتسلت ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء.[2]

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو سعد الماليني، حدثنا أبو أحمد ابن عدي، حدثنا محمد بن هارون بن حميد، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، حدثنا الفضل، عن إبراهيم بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ عارض جنازة أبي طالب فقال: «**وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عم**».[3] قال: وروى عن أبي اليمان الهوزني، عن النبي ﷺ مرسلاً، وزاد ولم يقم على قبره. قال: وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه.

قلت: قد روى عنه غير واحد منهم: الفضل بن موسى السيناني، ومحمد بن سلام البيكندي، ومع هذا قال ابن عدي: ليس بمعروف، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة. وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله ﷺ، والدفع عنه وعن أصحابه، وما قاله فيه من الممادح والثناء، وما أظهر له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها، وما تضمنته من العيب والتنقص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تداني ولا تسامي، ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها. وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه. وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:146)، وقال تعالى في قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (النمل:14)، وقال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ

---

(1) **صحيح**: هو في «المسند» (120)، وأخرجه أحمد (759)، والنسائي (1/ 110)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 348)، وابن الجارود (550) من طرق عن شعبة، به.

وله طريق أخرى أخرجه أحمد (769)، والبيهقي في «الدلائل» (1/ 304)، والبزار (592)، وإسناده ضعيف وصححه الألباني في «صحيح النسائي» (184).

(2) أخرجه أبو داود (4/ 32)، والنسائي وصححه الألباني.

(3) «الدلائل» (2/ 349)، وهو منكر.

مَثْبُوراً﴾ (الإسراء:102)، وقول بعض السلف فى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾ (الأنعام:26)، أنها نزلت فى أبى طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله ﷺ، وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق.

فقد روى عن ابن عباس، والقاسم بن مخيمرة، وحبيب بن أبى ثابت، وعطاء بن دينار، ومحمد ابن كعب، وغيرهم[1]، وفيه نظر والله أعلم. والأظهر والله أعلم: الرواية الأخرى عن ابن عباس؛ وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به. وبهذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وغير واحد وهو اختيار ابن جرير وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباع الحق ولا ينتفعون هم أيضاً به. ولهذا قال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام:25،26).

وهذا اللفظ وهو قوله ﴿وَهُمْ﴾ يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون فى سياق الكلام. وقوله: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يدل على تمام الذم، وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة، بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال، ونفس ومال، ولكن مع هذا لم يقدِّر الله له الإيمان لما له تعالى فى ذلك من الحكمة العظيمة، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الإيمان بها والتسليم لها. ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبى طالب وترحمنا عليه.

فصل

فى وفاة خديجة بنت خويلد وذكر شيء من فضائلها ومناقبها رضى الله عنها وأرضاها، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها، وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشَّرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثنى عقيل، عن ابن شهاب قال: قال عروة بن الزبير: «وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة».[2] ثم روى من وجه آخر عن الزهرى أنه قال: «توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقبل أن تفرض الصلاة».[3] وقال محمد بن إسحاق: ماتت خديجة وأبو طالب فى عام واحد.[4] وقال البيهقى: بلغنى أن خديجة توفيت بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام. ذكره أبو عبد الله بن منده فى كتاب (المعرفة)، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ.[5] قال البيهقى: وزعم الواقدى أن خديجة

(1) انظر: «تفسير الطبرى» (7/ 173).
(2) «المعرفة والتاريخ» (3/ 268) وإسناد صالح مع إرساله.
(3) «المعرفة والتاريخ» (3/ 268) وإسناده صحيح.
(4) سيرة ابن هشام (1/ 416).
(5) «الدلائل» (2/ 353).

وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب، وأن خديجة توفيت قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة. (1)

قلت: مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وكان الأنسب بنا أن نذكر وفاة أبى طالب وخديجة قبل الإسراء كما ذكره البيهقى وغير واحد، ولكن أخرنا ذلك عن الإسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك، فإن الكلام به ينتظم ويتسق السياق كما تقف على ذلك إن شاء الله.

وقال البخارى: حدثنا قتيبة، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن عمارة، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به.(2) وقال البخارى: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن إسماعيل قال: قلت لعبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما: بشَّر النبى ﷺ خديجة؟ قال: نعم ! ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب. ورواه البخارى أيضاً، ومسلم من طرق، عن إسماعيل بن أبى خالد به.(3)

قال السهيلى: وإنما بشَّرها ببيت فى الجنة من قصب يعنى قصب اللؤلؤ لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب لأنها لم ترفع صوتها على النبى ﷺ ولم تتعبه يوماً من الدهر فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً.(4) وأخرجاه فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ما غرت على امرأة للنبى ﷺ ما غرت على خديجة، وهلكت قبل أن يتزوجنى لما كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن. لفظ البخارى. (5)

وفى لفظ له عن عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها قالت وتزوجنى بعدها بثلاث سنين وأمره ربه عز وجل أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب(6). وفى لفظ له قالت: ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «**إنها كانت وكانت وكان لى منها ولد**»(7). ثم قال البخارى: حدثنا إسماعيل بن خليل، أخبرنا على بن مسهر، عن

(1) «الدلائل» (2/ 353).

(2) أخرجه البخارى (3820)، ومسلم (2432)، والنسائى «فضائل» (253)، وابن حبان (7009)، وأحمد (2/ 231)، وفى «الفضائل» (1588)، والحاكم (3/ 185) من طريق محمد بن فضيل، بهذا الإسناد.

(3) البخارى (3819)، و(1792)، ومسلم (2433).

(4) «الروض» (2/ 425).

(5) البخارى (3816)، ومسلم (2435).

(6) البخارى (3817).

(7) البخارى (3818).

هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع، فقال: «**اللهم هالة**». قالت: فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها.

وهكذا رواه مسلم، عن سويد بن سعيد، عن على بن مسهر به.[1] وهذا ظاهر فى التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلاً وإما عشرةً إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك، كما هو ظاهر سياق البخارى رحمه الله. ولكن قال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن، حدثنا حماد هو ابن سلمة عن عبد الملك هو ابن عمير، عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فأطنب فى الثناء عليها، فأدركنى ما يدرك النساء من الغيرة، فقلت: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين. قالت: فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحى أو عند المخيلة حتى يعلم رحمة أو عذاب.[2] وكذا رواه عن بهز بن أسد، وعفان بن مسلم، كلاهما عن حماد بن سلمة، عن عبد الملك بن عمير به. وزاد بعد قوله: حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر الأول. قالت: فتمعر وجهه تمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحى أو عند المخيلة حتى ينظر أرحمة أم عذاب؟[3] تفرد به أحمد، وهذا إسناد جيد.

وقال الإمام أحمد أيضاً: ثنا على بن إسحاق: أخبرنا عبد الله أخبرنا مجالد، عن الشعبى، عن مسروق، عن عائشة. قالت: كان النبى ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء. قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله خيراً منها. قال: «ما أبدلنى الله خيراً منها، قد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء»[4]. تفرد به أحمد أيضاً، وإسناده لا بأس به. ومجالد روى له مسلم متابعة، وفيه كلام مشهور، والله أعلم. ولعل هذا أعنى قوله: «**ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء**». كان قبل أن يولد إبراهيم ابن النبى ﷺ من مارية، وقبل مقدمها بالكلية وهذا متعين. فإن جميع أولاد النبى ﷺ كما تقدم وكما سيأتى من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية المصرية رضى الله عنها.

وقد استدل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضى الله عنهما وأرضاهما. وتكلم آخرون فى إسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عشرة وهو محتمل أو ظاهر. وسببه أن عائشة سمت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها، وليس مرادها بقولها: «قد أبدلك الله خيراً منها» أنها تزكى نفسها وتفضلها على خديجة؛ فإن هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما

(1) أخرجه البخارى (3821)، ومسلم (2437).
(2) **صحيح** : أخرجه أحمد (25276) (6/ 154) ومؤمل بن إسماعيل قد توبع عليه.
(3) إسناده صحيح على شرط مسلم : وهو فى «المسند» (6/ 150)، وأخرجه ابن حبان (7008) من طريق عفان، به.
(4) **صحيح** : وإسناده ضعيف لأجل مجالد وهو ابن سعيد وهو فى «المسند» (6/ 117-118).
وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (23) (22) من طريق الحمانى عن ابن المبارك، به.
وله طرق وشواهد يصح بها.

قال: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: 32). وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ (النساء:49) الآية. وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديماً وحديثاً، وتجاذبها طرفا نقيض أهل التشيع وغيرهم لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها، وكون ولد النبى ﷺ جميعهم إلا إبراهيم منها، وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها وتقدم إسلامها، وكونها من الصدِّيقات ولها مقام صدق فى أول البعثة، وبذلت نفسها ومالها لرسول الله ﷺ .

وأما أهل السنة فمنهم من يغلو أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق، ولكونها أعلم من خديجة؛ فإنه لم يكن فى الأمم مثل عائشة فى حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، ولم يكن الرسول ﷺ يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها، ونزلت براءتها من فوق سبع سموات، وروت بعده عنه عليه السلام علماً جماً كثيراً طيباً مباركاً فيه. حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء»[1]. والحق أن كلاً منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره، والأحسن التوقف فى ذلك ورد علم ذلك إلى الله عز وجل. ومن ظهر له دليل يقطع به، أو يغلب على ظنه فى هذا الباب فذاك الذى يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف فى هذه المسألة أو فى غيرها فالطريق الأقوم، والمسلك الأسلم أن يقول الله أعلم.

وقد روى الإمام أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى والنسائى، من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**»[2] أى: خير نساء زمانها. وروى شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قرة بن إياس رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ : «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». رواه ابن مردويه فى تفسيره وهذا إسناد صحيح إلى شعبة[3] وبعده. قالوا: والقدر المشترك بين هذه الثلاث نسوة؛ آسية ومريم وخديجة أن كلاً منهن كفلت نبياً مرسلاً، وأحسنت الصحبة فى كفالتها وصدقته. فآسية: ربت موسى وأحسنت إليه وصدقته حين بعث. ومريم: كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل. وخديجة: رغبت فى تزويج رسول الله ﷺ بها، وبذلت فى ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحى من الله عز وجل. وقوله: «**وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» هو ثابت فى الصحيحين من طريق شعبة أيضاً، عن عمرو بن مرة، عن

---

(1) ليس له أصل - وانظر «المنار المنيف» (ص 23)، و«كشف الخفاء» (1/ 374).

(2) تقدم تخريجه.

(3) إسناده صحيح إلى شعبة- ذكره المؤلف فى «تفسيره» (2/ 32)، من هذا الطريق، والحديث أصله فى «الصحيحين».

مرة الطيب الهمداني، عن أبي موسى الأشعري. قال: قال رسول الله ﷺ : **«كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**[1]. والثريد: هو الخبز واللحم جميعاً، وهو أفخر طعام العرب كما قال بعض الشعراء:

إذا ما الخبزُ تَأدِمُه بلحم * فذاكَ أمانةَ اللهِ الثَّريدُ

ويحتمل قوله: **«وفضل عائشة على النساء»** أن يكون عاماً فيعم النساء المذكورات وغيرهن، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوفًا يحتمل التسوية بينهن، فيحتاج مرجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج، والله أعلم.

فصل

في تزويجه ﷺ بعد خديجة ﵂ بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زمعة ﵄ والصحيح أن عائشة تزوجها أولاً لما سيأتي. قال البخاري في باب تزويج عائشة: حدثنا معلى بن أسد، حدثنا وهيب، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن النبي ﷺ قال لها: **«أريتك في المنام، مرتين أرى أنك في سرقة من حرير ويقول هذه امرأتك، فاكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول إن يك هذا من عند الله يُمْضِه»**.[2]

وقال البخاري باب نكاح الأبكار. وقال ابن أبي مليكة: قال ابن عباس لعائشة: لم ينكح النبي ﷺ بكراً غيرك.[3] حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني أخي، عن سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: **«في التي لم يرتع منها»** تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها. انفرد به البخاري[4] ثم قال: حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت: قال لي رسول الله ﷺ : **«أريتك في المنام مرتين إذا برجل يحملك في سرقة حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها فإذا هي أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه»**. ورواه مسلم من طريق هشام بن عروة به.[5] ورواه البخاري في «باب النظر إلى المرأة قبل التزويج» ثنا مسدد ثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ : **«أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي فقلت: إن يك هذا من عند**

---

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه ابن سعد (8/ 64)، وأحمد (6/ 41)، والبخاري (5125) (7012)، ومسلم (2438)، وأبو يعلى (4498)، والطبراني (23) (41) (42) (43) من طرق عن هشام، به.

(3) في البخاري (5077) معلقًا.

(4) وهو برقم (5077).

(5) رواه البخاري (5078)، ومسلم (2438).

الله يمضه. وفى رواية: «**أريتك فى المنام ثلاث ليال**».[1] وعند الترمذى: أن جبريل جاءه بصورتها فى خرقة من حرير خضراء فقال: هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة.[2]

وقال البخارى باب تزويج الصغار من الكبار؛ حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث عن يزيد، عن عراك، عن عروة: أن رسول الله ﷺ خطب عائشة إلى أبى بكر، فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك. فقال: «**أنت أخى فى دين الله وكتابه وهى لى حلال**»[3]. هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل، وهو عند البخارى والمحققين متصل لأنه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها. وهذا من أفراد البخارى رحمه الله. وقال يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: تزوج رسول الله ﷺ عائشة بعد موت خديجة بثلاث سنين، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين وبنى بها وهى ابنة تسع، ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانى عشرة سنة[4]، وهذا غريب. وقد روى البخارى، عن عبيد بن إسماعيل، عن أبى أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبى ﷺ بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ونكح عائشة وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين»[5]. وهذا الذى قاله عروة مرسل فى ظاهر السياق كما قدمنا، ولكنه فى حكم المتصل فى نفس الأمر.

وقوله: تزوجها وهى ابنة ست سنين وبنى بها وهى ابنة تسع ما لا خلاف فيه بين الناس، وقد ثبت فى (الصحاح) وغيرها وكان بناؤه بها عليه السلام فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة. وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر. فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال: حدثنا الحجاج، حدثنا حماد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة، وأنا ابنة سبع أو ست سنين فلما قدمنا المدينة جاءنى نسوة وأنا ألعب فى أرجوحة وأنا مجممة، فهيأننى وصنعننى، ثم أتين بى إلى رسول الله ﷺ وأنا ابنة تسع سنين.[6] فقوله فى هذا الحديث: متوفى خديجة يقتضى أنه على إثر ذلك قريباً، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفى ما ذكره يونس بن بكير، وأبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، والله أعلم.

وقال البخارى: حدثنا فروة بن أبى المغراء، حدثنا على بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت: تزوجنى النبى ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعرى، فوفى لى جميمة، فأتتنى أمى أم رومان، وإنى لفى أرجوحة ومعى

---

(1) البخارى (5125)، ومسلم (2438).

(2) الترمذى (3880)، وصححه الألبانى فى «الصحيح منه» (3041).

(3) البخارى (5081).

(4) «الدلائل» (2/ 410) وهو ضعيف.

(5) البخارى (3896).

(6) «المعرفة والتاريخ» (3/ 268) وإسناده صحيح.

صواحب لى، فصرخت بى فأتيتها ما أدرى ما تريد بى، فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار، وإنى لأنهج حتى سكن بعض نفسى، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهى ورأسى، ثم أدخلتنى الدار. فإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتنى إليهن فأصلحن من شأنى فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ ضحىً، فأسلمننى إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين. (1)

وقال الإمام أحمد فى مسند عائشة أم المؤمنين: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، ثنا أبو سلمة ويحيى قالا: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: «**من ؟**». قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال: «**فمن البكر؟**». قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبى بكر. قال: «**ومن الثيب؟**». قالت: سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول. قال: «**فاذهبى فاذكريهما على**». فدخلت بيت أبى بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قالت: انتظرى أبا بكر حتى يأتى، فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قال: وهل تصلح له إنما هى ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. قال: «**ارجعى إليه فقولى له: أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام وابنتك تصلح لى**». فرجعت فذكرت ذلك له. قال: انتظرى وخرج. قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد وعداً قط فأخلفه لأبى بكر، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الفتى فقالت: يا بن أبى قحافة لعلك مصب صاحبنا مدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدى: أقول هذه تقول ؟ قال: إنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان فى نفسه من عدته التى وعده، فرجع فقال لخولة: ادعى لى رسول الله ﷺ، فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين. ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطبك عليه. قالت: وددت، ادخلى إلى أبى فاذكرى ذلك له وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية. فقال: من هذه؟ قالت: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة. فقال: كفؤ كريم ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذاك. قال: ادعيها لى، فدعتها. قال: أى بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم، أتحبين أن أزوجك به؟ قالت: نعم. قال: ادعيه لى، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه، فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثى فى رأسه التراب. فقال بعد أن أسلم: لعمرك إنى لسفيه يوم أحثى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة. قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السنح. قالت: فجاء رسول الله ﷺ

---

(1) البخارى (3894) (5156) (5160).

فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتنى أمى وأنا لفى أرجوحة بين عذقين ترجح بى، فأنزلتنى من الأرجوحة ولى جميمة ففرقتها، ومسحت وجهى بشىء من ماء. ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب وإنى لأنهج حتى سكن من نفسى، ثم دخلت بى فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستنى فى حجرة ثم قالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك. فوثب الرجال والنساء فخرجوا، وبنى بى رسول الله ﷺ فى بيتنا ما نحرت على جزور، ولا ذبحت علىّ شاة، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين.(1)

وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقى من طريق أحمد بن عبد الجبار: حدثنا عبد الله بن إدريس الأودى، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قالت عائشة: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: ألا تزوج؟ قال: **«ومن؟»**. قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال: **«ومن البكر ومن الثيب؟»**. قالت: أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك: عائشة، وأما الثيب: فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك. قال: **«فاذكريهما علىّ»**.(2) وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم. وهذا يقتضى أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة، ولكن دخوله على سودة كان بمكة، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة فى السنة الثانية كما تقدم، وكما سيأتى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا شريك، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. قالت: لما كبرت سودة وهبت يومها لى، فكان رسول الله ﷺ يقسم لى بيومها مع نسائه. قالت: وكانت أول امرأة تزوجها بعدى(3). وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الحميد، حدثنى شهر، حدثنى عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة، وكانت مصبية كان لها خمسة صبية أو ستة من بعل لها مات. فقال رسول الله ﷺ: **«ما يمنعك منى؟»**. قالت: والله يا نبى الله ما يمنعنى منك أن لا تكون أحب البرية إلى، ولكنى أكرمك أن يضغو هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية. قال: **«فهل منعك منى شىء غير ذلك؟»**. قالت: لا والله. قال لها رسول الله ﷺ: **«يرحمك الله إن خير نساء ركبن أعجاز الإبل، صالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره، وأرعاه على بعل بذات يده»**(4).

---

(1) هو فى «المسند» (6/ 211-212) وإسناده حسن لأجل محمد بن عمرو، وأخرجه ابن أبى عاصم فى «الآحاد» (3006) (3061)، والطبرانى فى «الكبير» (23/ 57) (24/ 80) من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد عن أبيه، به.

(2) «الدلائل» (2/ 411).

(3) هو فى «المسند» (6/ 68)، وإسناده ضعيف فإن شريك هو النخعى وهو سيئ الحفظ، وقد تفرد بزيادة **«وكانت أول امرأة...»** إلخ.

(4) **حسن** : وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب - وهو فى «المسند» (2923) وقال الحافظ فى «الفتح» (9/ 512): حسن الإسناد. وقد أخرجه أبو يعلى (2686)، والطبرانى (13014) من طريق عبد الحميد بن بهرام، به. وله شاهد من حديث أبى هريرة عند مسلم.

قلت: وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم. ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه. فهذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدماً على العقد بسودة، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل. ورواه يونس، عن الزهري، واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة، وحكاه عن قتادة وأبي عبيدة. قال: ورواه عقيل عن الزهري.

فصل

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله ﷺ، وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال وفعال، فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ، ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه. كما قد رواه البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم: حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا يوسف بن بهلول، حدثنا عبد الله بن إدريس، حدثنا محمد بن إسحاق، عمن حدثه، عن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن جعفر. قال: لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش، فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: «**أي بنية لا تبكين فإن الله مانع أباك**». ويقول ما بين ذلك: «**ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب**»[1]. وقد رواه زياد البكائي، عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلاً[2]، فالله أعلم.

وروى البيهقي أيضاً، عن الحاكم وغيره، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما زالت قريش كاعين عني حتى مات أبو طالب**»[3]. ثم رواه عن الحاكم، عن الأصم، عن عباس الدوري، عن يحيى بن معين، حدثنا عقبة المجدر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ . قال: «**ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب**».[4]

وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صعير، وحكيم بن حزام أنهما قالا: لما توفي أبو طالب وخديجة -وكان بينهما شهر وخمسة أيام- اجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان، فلزّم بيته وأقل الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال: يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللات لا يوصل إليك حتى أموت. وسبَّ ابن الغيطلة رسول الله ﷺ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه، فولى يصيح يا معشر قريش صبأ أبو عتبة، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقت دين عبد المطلب، ولكني أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد. فقالوا: قد أحسنت

---

(1) «الدلائل» (2/ 350) وإسناده فيه انقطاع.

(2) «السيرة» (1/ 416) وعنه البيهقي «دلائل» (2/ 349)، وهو مرسل إسناده ضعيف.

(3) «الدلائل» (2/ 349)، وإسناده فيه انقطاع.

(4) «الدلائل» (2/ 349-350) ورجاله ثقات.

وأجملت ووصلت الرحم، فمكث رسول الله ﷺ كذلك أياماً يأتى ويذهب لا يعرض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب إلى أن جاء عقبة بن أبى معيط وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقال له أبو لهب: يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال: **«مع قومه»**. فخرج إليهما فقال: قد سألته فقال: مع قومه. فقالا: يزعم أنه فى النار. فقال: يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار»** فقال: أبو لهب -لعنه الله- والله لا برحت لك إلا عدواً أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار، واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه.(1) قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ فى بيته: أبو لهب، والحكم بن أبى العاص بن أمية، وعقبة بن أبى معيط، وعدى بن الحمراء، وابن الأصداء الهذلى وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص. وكان أحدهم -فيما ذكر لى- يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلى، وكان أحدهم يطرحها فى برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود، ثم يقف به على بابه، ثم يقول: **«يا بنى عبد مناف أى جوار هذا؟»**(2) ثم يلقيه فى الطريق.

قلت: وعندى أن غالب ما روى مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلى. كما رواه ابن مسعود(3)، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم، ثم لما انصرف رسول الله ﷺ دعا على سبعة منهم كما تقدم. وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً: أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟(4) وكذلك عزم أبى جهل -لعنه الله- على أن يطأ على عنقه وهو يصلى فحيل بينه وبين ذلك(5)، وما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبى طالب، والله أعلم. فذكرها ههنا أنسب وأشبه.

فصل في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى وإلى نصرة دينه فردوا عليه ذلك ولم يقبلوه منه فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق: فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تناله منه فى حياة عمه أبى طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى، فخرج إليهم وحده. فحدثنى يزيد بن أبى زياد، عن محمد بن كعب القرظى. قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف. وعند أحدهم امرأة من قريش من

---

(1) إسناده فيه انقطاع وضعف جداً، ففيه الواقدى وهو فى «المنتظم» (3/ 11-12) من طريق محمد بن سعد صاحب الطبقات الذى روى الخبر فى «طبقاته» (1/ 211) من طريق الواقدى.

(2) سيرة ابن هشام (1/ 415-416).

(3،4،5) تقدم تخريجهم.

بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه. فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً أرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم -فيما ذكر لي-: «**إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ**». وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وهما فيه. ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف. وقد لقي رسول الله ﷺ فيما ذكر لي المرأة التي من بني جمح، فقال لها: «**ماذا لقينا من أحمائك؟**».

-فلما اطمأن قال- فيما ذكر لي: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك**»[1]. هكذا أورد ابن إسحاق في كتابه «السيرة» هذا الدعاء من غير إسناد، بل ذكره معلقاً بصيغة البلاغ، فقال: فيما ذُكر لي.

وقد روى الحافظ ابن عساكر، في ترجمة القاسم بن الليث الرسعني، شيخ النسائي والطبراني وغير واحد، بسنده من حديثه، حدثني محمد بن أبي صفوان الثقفي، حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: لما توفي أبو طالب، خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه. قال: فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فانصرف إلى ظل شجرة فصلى ركعتين، ثم قال: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أرحم الراحمين، أنت أرحم بي، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو تحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**».[2]

قال ابن إسحاق: فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي، تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما

---

(1) «السيرة» (1/ 320)، وعنه ابن جرير (1/ 80-81) بسند مرسل ضعيف، وزياد ضعيف.

(2) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن عساكر (52/ 106) من طريق ابن عدي. وقد رواه في «الكامل» (6/ 111)، وعنه القاسم بهذا الإسناد ورواه ابن جرير في «تفسيره» (16/ 211) وقال ابن عدي وهذا حديث أبي صالح الراسبي لم يسمع أن أحداً حدث بهذا الحديث غيره، ولم نكتبه إلا عنه.

قلت: إسناده ضعيف لعنعنة ابن إسحاق.

نصرانياً يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس. ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل. فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: **«بسم الله»**. ثم أكل، فنظر عداس فى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ: **«ومن أهل أى بلاد أنت يا عداس وما دينك؟»**. قال: نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ: **«من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»**. فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ذاك أخى كان نبياً وأنا نبى»**. فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه. قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال: يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى. قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.[1]

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق إلا أنه لم يذكر الدعاء، وزاد: وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه، فلما مرَّ جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموه، فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى ظل حبلة وهو مكروب، وفى ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله. ثم ذكر قصة عداس النصرانى كنحو ما تقدم.[2]

وقد روى الإمام أحمد، عن أبى بكر ابن أبى شيبة: حدثنا مروان بن معاوية الفزارى، عن عبد الله ابن عبد الرحمن الطائفى، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى جبل العدوانى، عن أبيه: أنه أبصر رسول الله ﷺ فى مشرق ثقيف وهو قائم على قوس -أو عصى- حين أتاهم يبتغى عندهم النصر فسمعته يقرأ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (الطارق:1) حتى ختمها. قال: فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها فى الإسلام. قال: فدعتنى ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم. فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه.[3]

وثبت فى الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب: أخبرنى يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة حدثته: أنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال

---

(1) «السيرة» (1/ 320) وإسناده ضعيف.

(2) رواه من طريقه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 414) عن ابن شهاب مرسلاً.

(3) **إسناده ضعيف** : وهو فى «المسند» (4/ 335)، وفيه جهالة عبد الرحمن بن خالد العدوانى، والطائفى ضعيف- وأخرجه البخارى فى «التاريخ» (3/ 138)، وابن أبى عاصم فى «المثانى» (1275)، والطبرانى فى «الكبير» (4126) (4127) من طريق مروان بن معاوية بهذا الإسناد.

لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال فسلَّم عليّ ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».[1]

فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله ﷺ، وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى بأصحابه الصبح، فاستمع الجن الذين صرفوا إليه قراءته هنالك. قال ابن إسحاق: وكانوا سبعة نفر فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (الأحقاف:29).[2] قلت: وقد تكلمنا على ذلك مستقصى فى «التفسير»، وتقدم قطعة من ذلك فالله أعلم. ثم دخل رسول الله ﷺ مكة مرجعه من الطائف فى جوار المطعم بن عدى، وازداد قومه عليه حنقاً وغيظاً وجرأةً وتكذيباً وعناداً، والله المستعان وعليه التكلان.

وقد ذكر الأموى فى مغازيه: أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق، فطلب منه أن يجيره بمكة. فقال: إن حليف قريش لا يجير على صميمها، ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال: إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى، فبعثه إلى المطعم بن عدى ليجيره فقال: نعم قل له: فليأت. فذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة أو سبعة متقلدى السيوف جميعاً، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله ﷺ: طف واحتبوا بحمائل سيوفهم فى المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم فقال: أمجير أم تابع؟ قال: لا بل مجير. قال: إذاً لا تخفر، فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف انصرفوا معه وذهب أبو سفيان إلى مجلسه. قال: فمكث أياماً، ثم أذن له فى الهجرة فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة توفى المطعم بن عدى بعده بيسير. فقال حسان بن ثابت: والله لأرثينه فقال فيما قال:

فلو كان مجد يُخلد اليوم واحداً	*	من الناس نجى مجده اليوم مطعمَا
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا	*	عبادك ما لبى محل وأحرمَا
فلو سئلتْ عنه معدٌ بأسْرها	*	وقحطان أو باقي بقية جرهمَا
لقالوا هو الموفي بخُفرة جاره	*	وذمته يوماً إذا ما تذممَا
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم	*	على مثله فيهم أعز وأكرمَا
أبياً إذا يأبى وألين شيمة	*	وأنوم عن جار إذا الليل أظلمَا[3]

---

(1) رواه البخارى (3231)، ومسلم (1795).

(2) «السيرة» (1/ 320) وقال ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (1/ 181) بعد ذكره لهذا الخبر: والخبر ثابت من طريق عبد الله بن مسعود وقال فى موضع آخر: ولكن أصل الحديث مشهور عن ابن مسعود من طرق حسان متظافرة يشهد بعضها لبعض ويشد بعضها بعضًا.

قلت: وقد بيّنت ذلك فى «تحقيق السيرة» وهى قيد الطبع.

(3) أخرجه معلقًا الطبرى فى «تاريخه» (2/ 347).

قلت: ولهذا قال النبي ﷺ يوم أسارى بدر: «**لو كان المطعم بن عدى حياً ثم سألنى فى هؤلاء النتنى لوهبتهم له**». (1)

فصل

فى عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب فى مواسم الحج أن يؤووه وينصروه ويمنعوه ممن كذبه وخالفه فلم يجبه أحد منهم لما ذخره الله تعالى للأنصار من الكرامة العظيمة رضى الله عنهم.

قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى المواسم -إذا كانت- على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل، ويخبرهم أنه نبى مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به. (2)

قال ابن إسحاق: فحدثنى من أصحابنا من لا أتهم، عن زيد بن أسلم، عن ربيعة بن عباد الدؤلى أو من حدثه أبو الزناد عنه وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة ابن عباد يحدثه أبى قال: إنى لغلام شاب مع أبى بمنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: «**يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بى وتصدقوني وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به**». قال: وخلفه رجل أحول وضىء له غديرتان عليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه. قال: فقلت لأبى يا أبت من هذا الرجل الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب. (3)

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن إبراهيم بن أبى العباس: حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن أبيه: أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الدئل وكان جاهلياً فأسلم. قال: رأيت رسول الله ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله**

---

(1) أخرجه البخارى (3139) (4024).

(2) «السيرة» (1/ 322).

(3) **صحيح** : وهو فى «السيرة» (1/ 322)، وإسناده الأول فيه انقطاع، والثانى فيه ضعف، ورواه أحمد (4/ 341)، وقال الحافظ فى «أطراف المسند» (2/ 340) إن هذه الأحاديث من زيادات ابنه عبد الله.
ورواه ابن أبى عاصم فى «الآحاد» (962) بإسناد به. ورواه بالإسناد الثانى الطبرانى (4587) وفى «الأوسط» (1510) من طريق ابن إسحاق عمن حدثه عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد.
وعند الطبرانى المبهم هو: سعيد بن سلمة وهو ضعيف ولكن رواه أحمد وابن أبى عاصم بأسانيد صحيحة كما بينت ذلك فى «السيرة».

تفلحوا». والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب. فسألت عنه فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عمه أبو لهب.[1]

ورواه البيهقي من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري، عن محمد بن عمرو، عن محمد بن المنكدر، عن ربيعة الدؤلي: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قالوا: هذا أبو لهب. وكذا رواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن أبي ذئب، وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه.[2] ثم رواه البيهقي من طريق شعبة، عن الأشعث بن سليم، عن رجل من كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول: **«يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»**. وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب فإذا هو أبو جهل وإذا هو يقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى. كذا قال في هذا السياق أبو جهل. وقد يكون وهماً ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا، وتارة يكون ذا، وأنهما كانا يتناوبان على إيذائه ﷺ.[3]

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري: أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه.[4] قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: **«يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم»** فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.[5] وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله ابن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم.[6]

وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: **«الأمر لله يضعه حيث يشاء»**. قال: فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه. فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى

---

(1) انظر التخريج السابق.

(2) «الدلائل» (2/ 185)، وهو في «المسند» (2/ 492) وإسناده ضعيف كما مضى.

(3) «الدلائل» (2/ 186) وإسناده شبه الحسن.

(4) **مرسل إسناده حسن** : وهو في «السيرة» (1/ 323) وعنه الطبري في «تاريخه» (1/ 556) والبيهقي في «الدلائل» (2/ 418).

(5) «السيرة» (1/ 323) وإسناده مرسل حسن.

(6) **إسناده ضعيف جداً** : أخرجه في «السيرة» (1/ 323) وأخرجه ابن سعد (1/ 216)، وابن جرير (1/ 556)، وأبو نعيم (219)، من طريق الواقدي.

شيخ لهم، قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم الموسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم. فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بنى عامر هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذى نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلى قط، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم؟(1)

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى: فكان رسول الله ﷺ فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: **«لا أكره أحداً منكم على شىء من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ومن كره لم أكرهه إنما أريد أن تحرزونى مما يراد بى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء»**. فلم يقبله أحد منهم ولم يأت أحد من تلك القبائل إلا قال: قوم الرجل أعلم به، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟! وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به.(2)

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموى كلاهما عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن العباس قال: قال لى رسول الله ﷺ : **«لا أرى لى عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجى إلى السوق غداً حتى تعرفنى منازل قبائل الناس»**. وكانت -مجمع العرب- قال: فقلت: هذه كندة ولفها وهى أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة، فاختر لنفسك ؟ قال: فبدأ بكندة فأتاهم، فقال: **«ممن القوم؟»**. قالوا: من أهل اليمن. قال: **«من أى اليمن؟»**. قالوا: من كندة. قال: **«من أى كندة؟»**. قالوا: من بنى عمرو بن معاوية. قال: **«فهل لكم إلى خير؟»**. قالوا: وما هو؟ قال: **«تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله»**. قال عبد الله ابن الأجلح: وحدثنى أبى عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ : **«إن الملك لله يجعله حيث يشاء»**. فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به. وقال الكلبى: فقالوا: أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا وننابذ العرب، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك. فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال: **«ممن القوم ؟»**. قالوا: من بكر بن وائل. فقال: **«من أى بكر بن وائل؟»**. قالوا: من بنى قيس بن ثعلبة. قال: **«كيف العدد؟»**. قالوا: كثير مثل الثرى. قال: **«فكيف المنعة؟»**. قالوا: لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم. قال: **«فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين، وتكبروه أربعاً وثلاثين»**. قالوا: ومن أنت؟ قال: **«أنا رسول الله»**. ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبى: وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مر أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم هذا فى الذروة منا فعن أى

(1) **مرسل حسن** : وهو فى «السيرة» (1/ 323-324)، والطبرى (1/ 556) من طريق ابن إسحاق.
(2) «الدلائل» (2/ 414) من طريق موسى بن عقبة، وهو مرسل.

شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: زعم أنه رسول الله. قال: ألا لا ترفعوا بقوله رأساً فإنه مجنون يهذى أم رأسه. قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر.(1)

قال الكلبي: وأخبرنى عبد الرحمن العامرى عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ فقال: «**ممن القوم ؟**». قلنا: من بنى عامر بن صعصعة. قال: «**من أى بنى عامر ابن صعصعة ؟**». قالوا: بنو كعب بن ربيعة. قال: «**كيف المنعة؟**». قلنا: لا يرام ما قبلنا، ولا يصطلى بنارنا. قال: فقال لهم: «**إنى رسول الله وأتيتكم لتمنعونى حتى أبلغ رسالة ربى ولا أكره أحداً منكم على شىء**». قالوا: ومن أى قريش أنت؟ قال: «**من بنى عبد المطلب**». قالوا: فأين أنت من عبد مناف؟ قال: «**هم أول من كذبنى وطردنى**». قالوا: ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك. قال: فنزل إليهم والقوم يتسوقون، إذ أتاهم بيحرة بن فراس القشيرى فقال: من هذا الرجل أراه عندكم أنكره؟ قالوا: محمد بن عبد الله القرشى. قال: فما لكم وله؟ قالوا: زعم لنا أنه رسول الله ﷺ فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه. قال: ماذا رددتم عليه؟ قالوا: بالرحب والسعة نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما به أنفسنا. قال بيحرة: ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشىء أشر من شىء ترجعون به بدأتم لتنابذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به، أتعمدون إلى رهيق قوم قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه فبئس الرأى رأيتم. ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: قم فالحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومى لضربت عنقك. قال: فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها فغمز الخبيث بيحرة شاكلتها فقمصت برسول الله ﷺ فألقته. وعند بنى عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط، كانت من النسوة اللاتى أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة جاءت زائرة إلى بنى عمها فقالت: يا آل عامر ولا عامر لى أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم؟ فقام ثلاثة نفر من بنى عمها إلى بيحرة واثنين أعاناه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطماً، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء**» قال: فأسلم الثلاثة الذين نصروه وقتلوا شهداء وهم: غطيف، وغطفان ابنا سهل، وعروة -أو عذرة- ابن عبد الله بن سلمة رضى الله عنهم. وهلك الآخرون لعناً: وهم بيحرة بن فراس، وحزن ابن عبد الله بن سلمة بن قشير، ومعاوية بن عبادة أحد بنى عقيل لعنهم الله لعناً كبيراً، وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم. وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه عن أبيه به.(2)

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه فى قصة بني عامر بن صعصعة وقبيح ردهم عليه(3)، وأغرب من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقى -والسياق

---

(1) **إسناده ضعيف جداً** : محمد بن السائب متروك.

(2) **إسناده ضعيف وفيه انقطاع** : أخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» (215).

(3) «الدلائل» (219)، وابن سعد (1/ 216).

لأبى نعيم- رحمهم الله من حديث أبان بن عبد الله البجلى، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس حدثنى على بن أبى طالب قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه، وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبو بكر مقدماً فى كل خير، وكان رجلاً نسابة. فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأى ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها؟ قالوا: بل من هامتها العظمى. قال أبو بكر: فمن أى هامتها العظمى؟ قالوا: ذهل الأكبر. قال لهم أبو بكر: منكم عوف الذى كان يقال لا حر بوادى عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس بن مسعود أبو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامى الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال لهم أبو بكر رضى الله عنه: فلستم بذهل الأكبر بل أنتم ذهل الأصغر. قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلى حين بقل وجهه فأخذ بزمام ناقة أبى بكر وهو يقول:

إنَّ علَى سـائِلِنا أنْ نَسْـألَهْ * والعِبْءَ لا تَعْـرِفُـه أوْ تَحْـمِلَهْ

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً، ونحن نريد أن نسألك ممن أنت؟ قال: رجل من قريش. فقال الغلام: بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة وأزمة العرب وهداتها ممن أنت من قريش؟ فقال له: رجل من بنى تيم بن مرة. فقال له الغلام: أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة؟ أفمنكم قصى بن كلاب الذى قتل بمكة المتغلبين عليها وأجلى بقيتهم، وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة، ثم استولى على الدار، ونزل قريشاً منازلها فسمته العرب بذلك مجمعاً وفيه يقول الشاعر لبنى عبد مناف:

أليس أبُوكم كان يُدْعَى مُجَمِّعًا * به جَـمَّعَ اللهُ القبـائلَ مِن فِـهْـرِ

فقال أبو بكر: لا. قال: فمنكم عبد مناف الذى انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة؟ فقال أبو بكر: لا. قال: فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذى هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ففيه يقول الشاعر:

عَمْرُو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سنوا إليه الرحلتين كليهما * عند الشتاء ورحلة الأصياف
كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف
الرائشين وليس يعرف رائش * والقائلين هلم للأضياف
والضاربين الكبش يبرق بيضه * والمانعين البيض بالأسياف
لله درك لو نزلت بدارهم * منعوك من أزل ومن إقراف

فقال أبو بكر: لا. قال: فمنكم عبد المطلب شيبة الحمد، وصاحب عير مكة، ومطعم طير السماء والوحوش والسباع فى الفلا الذى كأن وجهه قمر يتلألأ فى الليلة الظلماء ؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الإفاضة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الندوة أنت؟

قال: لا. قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا. ثم جذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته من يده فقال له الغلام:

صَادَفَ دَرْءَ السَّيْلِ دَرْءٌ يَدْفَعُهْ * يَهِيضُهُ حِينًا وحِينًا يَصْدَعُهْ

ثم قال: أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب. قال: فأقبل إلينا رسول الله ﷺ يتبسم. قال عليّ. فقلت له: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابى على باقعة فقال: أجل يا أبا الحسن إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالقول. قال: ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم قال عليّ. وكان أبو بكر مقدماً فى كل خير فقال لهم أبو بكر: ممن القوم؟ قالوا: نحن بنو شيبان بن ثعلبة. فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: **«بأبى انت وأمى ليس بعد هؤلاء من عز فى قومهم»**. وفى رواية: **«ليس وراء هؤلاء غرر من قومهم وهؤلاء غرر الناس»**. وكان فى القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان أقرب القوم إلى أبى بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بياناً ولساناً، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره، فكان أدنى القوم مجلساً من أبى بكر. فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنا لنزيد على ألف ولن تغلب ألف من قلة. فقال له: فكيف المنعة فيكم؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد. فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا أشدُّ ما نكون غضباً حين نلقى وإن أشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا مرة لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك ثم التفت إلى رسول الله ﷺ، فقال له إلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه فقال ﷺ: **«أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله وأن تؤوونى وتمنعونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغنى الحميد»**. قال له: وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:153). فقال له مفروق: وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه. فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:90). فقال له مفروق: دعوت والله يا قرشى إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة. فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدقت قولك، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتِّباعنا إياك على دينك -لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر فى أمرك، وننظر فى عاقبة ما تدعو إليه- زلة

فى الرأى، وطيشة فى العقل، وقلة نظر فى العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر -وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة-. فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبنى ما تكلمت به. والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وتركنا ديننا واتِّباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا وإنا إنما نزلنا بين صيرين أحدهما اليمامة، والآخر السمامة. فقال له رسول الله ﷺ: **وما هذان الصيران؟** فقال له: أما أحدهما: فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر: فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً، ولا نؤوى محدثاً. ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعلنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه؟**». فقال له النعمان بن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش! فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (الأحزاب:45،46). ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدى أبى بكر. قال عليّ: ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال يا على: «**أية أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية ما أشرفها بها يتحاجزون فيما بينهم فى الحياة الدنيا**». قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبى ﷺ. قال عليّ: وكانوا صدقاً صبراً فسرَّ رسول الله ﷺ بما رأى من معرفة أبى بكر رضي الله عنه بأنسابهم. قال: فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال ادعوا لإخوانكم من ربيعة فقد أحاطتهم اليوم أبناء فارس ثم دخل منزله فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: «**احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبى نصروا**»[1]. قال: وكانت الوقعة بقراقر إلى جنب ذى قار، وفيها يقول الأعشى:

فِدًى لبنى ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ ناقتي * وراكبها عند اللقاء وقلتِ

هُمُو ضَرَبُوا بالحِنْوِ حِنْوِ قُراقِرٍ * مقدمةَ الهامَرْزِ حتى تولتِ

فللهِ عينا من رأى من فَوارس * كذهل بن شيبان بها حين وَلَّتِ

فثاروا وثرنا والمودة بيننا * وكانت علينا غمرة فتجلتِ

(1) «الدلائل» للبيهقى (2/ 422)، ولأبى نعيم (214)، وقال الحافظ فى «الفتح» (7/ 220): رواه الحاكم وإسناده حسن. قلت: فى الإسناد رجال لم أقف عليهم، وهو إلى الضعف أقرب، ولهذا قال المؤلف: غريب جداً.

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب، وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه: أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر - مكان قريب من الفرات- جعلوا شعارهم: اسم محمد ﷺ فنصروا على فارس بذلك، وقد دخلوا بعد ذلك فى الإسلام.

وقال الواقدى: أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسى عن أبيه عن جده قال: جاءنا رسول الله ﷺ فى منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التى تلى مسجد الخيف، وهو على راحلته مردفاً خلفه زيد بن حارثة، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا، قال: وقد كنا سمعنا به وبدعائه فى المواسم، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسى فقال لنا: أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأى. فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ. فقال القوم: دعنا عنك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به. وطمع رسول الله ﷺ فى ميسرة فكلمه. فقال ميسرة: ما أحسن كلامك وأنوره، ولكن قومى يخالفوننى وإنما الرجل بقومه، فإذا لم يعضدوه فالعدى أبعد. فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادرين إلى أهليهم. فقال لهم ميسرة: ميلوا بنا إلى فدك فإن بها يهود نسائلهم عن هذا الرجل. فمالوا إلى يهود فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ النبى الأمى العربى يركب الحمار ويجتزئ بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالجعد ولا بالسبط، فى عينيه حمرة مشرق اللون. فإن كان هو الذى دعاكم فأجيبوه وادخلوا فى دينه فإنا نحسده ولا نتبعه، ولنا منه فى مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه. فقال ميسرة: يا قوم ألا إن هذا الأمر بيِّن. فقال القوم: نرجع إلى الموسم فنلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً وحج حجة الوداع لقيه ميسرة فعرفه. فقال يا رسول الله: والله ما زلت حريصاً على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله إلا ما ترى من تأخر إسلامى، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معى فأين مدخلهم يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«كل من مات على غير دين الإسلام فهو فى النار»**. فقال الحمد لله الذى أنقذنى، فأسلم وحسن إسلامه، وكان له عند أبى بكر مكان. (1)

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدى قصص القبائل واحدة واحدة، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بنى عامر، وغسان، وبنى فزارة، وبنى مرة، وبنى حنيفة، وبنى سليم، وبنى عبس، وبنى نضر بن هوازن، وبنى ثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبنى الحارث بن كعب، وبنى عذرة، وقيس ابن الخطيم وغيرهم. وسياق أخبارها مطولة.(2) وقد ذكرنا من ذلك طرفاً صالحاً ولله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، أنا إسرائيل، عن عثمان يعنى: ابن المغيرة عن سالم ابن أبى الجعد، عن جابر بن عبد الله. قال: كان النبى ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول:

---

(1) أخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» (220) من طريق الواقدى وهو متروك.

(2) أبو نعيم (219) (220)، وابن سعد (1/ 216)، ولكن من طريق الواقدى.

«هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل؟»، فأتاه رجل من همدان، فقال: **«ممن أنت؟»** قال الرجل: من همدان. قال: **«فهل عند قومك من منعة؟»** قال: نعم! ثم إن الرجل خشي أن يحقره قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل ! قال: **«نعم!»** فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب. وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن إسرائيل به. وقال الترمذي: حسن صحيح.(1)

فصل في قدوم وفود الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعة بعد بيعة، ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول الله ﷺ إلى المدينة فنزل بين أظهرهم كما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة

حديث سويد بن صامت الأنصاري: وهو سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وأمه: ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم. فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ .

قال محمد بن إسحاق بن يسار: وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف، إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى، وعرض عليه ما عنده.(2)

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه. قالوا: قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً أو معتمراً وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وهو الذي يقول:

ألا رب من تدعو صديقاً ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفري

مقالته كالشهد ما كان شاهداً * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر

يسـرك باديه وتحت أديمه * نميمة غش تبتري عقب الظهر

تبين لك العينان ما هو كاتم * من الغل والبغضاء بالنظر الشزر

فرشني بخير طالما قد بريتني * وخير الموالي من يريش ولا يبري

قال: فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به فدعاه إلى الله والإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ : **«وما الذي معك؟»** قال: مجلة لقمان، يعني حكمة لقمان . فقال رسول الله ﷺ : **«اعرضها علي»**، فعرضها عليه. فقال: **«إن هذا الكلام حسن**

---

(1) **إسناده صحيح** : أخرجه أحمد (3/ 390)، وأبو داود (4734)، والترمذي (2925)، والنسائي «كبرى» (7727)، وابن ماجه (201)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3960).

(2) «السيرة» (1/ 324).

والذي معي أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله عليّ هو هدىً ونور. فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام. فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن. ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج. فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتله قبل بعاث.(1) وقد رواه البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا.

إســلام إيــاس بــن معــاذ

قال ابن إسحاق: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن لبيد، قال: لما قدم أبو الحيسر، أنس بن رافع، مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «**هل لكم في خير مما جئتم له؟**» قال: فقالوا: وما ذاك؟ قال: «**أنا رسول الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب**». ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: يا قوم هذا والله خير مما جئتم له. قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج. قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.(2)

قلت: كان يوم بعاث، وبعاث موضع بالمدينة كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل. وقد روى البخاري في صحيحه، عن عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: «كان يوم بعاث يوماً قدّمه الله لرسوله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم».(3)

---

(1) «السيرة» (1/ 326)، وعنه البيهقي في «الدلائل» (2/ 419)، وابن الأثير في «الأسد» (2/ 356)، وذكره الحافظ في «الإصابة» (3/ 189)، وقال: ذكره ابن شاهين وقال: شك في إسلامه.
وقال ابن عبد البر: وأنا أشك فيه كما شك غيري، ذكره بعضهم معتمداً على ما روى ابن إسحاق عن عاصم عن أشياخ من قومه.
قال الحافظ: فإن صح ما قالوا لم يُعد في الصحابة لأنه لم يلق النبي ﷺ مؤمناً.

(2) إسناده حسن: أخرجه في «السيرة» (1/ 327) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد (5/ 427)، والبخاري في «تاريخه الكبير» (1/ 442)، والطبراني (805)، والطبري (2/ 352)، وفي «التفسير» (4/ 34)، من طريق سلمة بن الفضل.
وأخرجه الحاكم (3/ 180)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 420)، وابن الأثير في «الأسد» (1/ 186) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، وصححه الحاكم على شرط مسلم وتعقبه الذهبي بأنه مرسل.
يعني مرسل صحابي لأنه من صغارهم وهذا لا يضر.

(3) البخاري (3930).

وقال أبو زرعة الرازي في كتابه «دلائل النبوة»: باب إسلام رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء، ثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجرى، ثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني عبيد بن يحيي، عن معاذ بن رفاعة بن رافع، عن أبيه، عن جده أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة، فلما هبطا من الثنية رأيا رجلاً تحت شجرة. قال: وهذا قبل خروج الستة من الأنصار. قال: فلما رأيناه كلمناه، قلنا: نأتي هذا الرجل نستودعه راحلتينا حتى نطوف بالبيت. فجئنا فسلمنا عليه تسليم أهل الجاهلية، فرد علينا تسليم أهل الإسلام، وقد سمعت بالنبيِّ. قال: فأنكرنا، فقلنا: من أنت؟ قال: «انزلوا». فنزلنا فقلنا: أين هذا الرجل الذي يدعي ما يدعي، ويقول ما يقول؟ قال: «أنا هو». قلنا: فاعرض علينا الإسلام. فعرض وقال: «من خلق السماوات والأرض والجبال؟» قلنا: خلقهن الله. قال: «من خلقكم؟» قلنا: الله. قال: «فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدون؟» قلنا: نحن. قال: «الخالق أحق بالعبادة أو المخلوق؟» قلنا: «الخالق». قال: «فأنتم أحقّ أن تعبدكم، وأنت عملتموها، والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه، وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وصلة الرحم، وترك العدوان، وإن غضب الناس». فقالا: والله لو كان هذا الذي تدعو إليه باطلاً، لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق، فأمسك راحلتينا حتى نأتي البيت. فجلس عنده معاذ بن عفراء. قال رافع: وجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة قداح، وجعلت له منها قدحًا فاستقبلت البيت فقلت: اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقًا فأخرج قدحه. سبع مرات، فضربت بها سبع مرات فصحت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فاجتمع الناس علي، وقالوا: مجنون، رجل صبأ. فقلت: بل رجل مؤمن. ثم جئت إلى النبي ﷺ بأعلى مكة، فلما رآني معاذ بن عفراء، قال: لقد جئت بوجه ما ذهبت به، رافع، فجئت وآمنت، وعلمنا رسول الله ﷺ سورة «يوسف» و ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فلما كنا بالعقيق قال معاذ: إني لم أطرق ليلاً قط، فبت بنا حتى نصبح. فقلت: أبيت ومعي ما معي من الخير؟! ما كنت لأفعل. وكان رافع إذا خرج سفرًا ثم قدم عرض قومه. إسناد حسن وسياق حسن.(1)

باب بدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم، فبينا هو عند العقبة لقى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً. فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: «**من أنتم؟**» قالوا: نفر من الخزرج. قال: «**أمن موالى يهود؟**» قالوا: نعم ! قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم؟**» قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

(1) هو فى «المستدرك» (4/ 149)، وقال: صحيح الإسناد وقال الذهبى: يحيى الشجرى صاحب مناكير. وفيه مجهول، فكيف يكون حسنًا بعد ذلك.

قال: وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلّم رسول الله أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه للنبى الذى توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا.[1]

قال ابن إسحاق: وهم فيما ذكر لى ستة نفر كلهم من الخزرج وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. قال أبو نعيم: وقد قيل: إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج. ومن الأوس: أبو الهيثم ابن التيهان. وقيل: إن أول من أسلم: رافع بن مالك، ومعاذ بن عفراء والله أعلم. وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار وهو ابن عفراء النجاريان، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرقى، وقطبة ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج السلمى. ثم من بنى سواد، وعقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم السلمى أيضاً، ثم من بنى حرام، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أيضاً، ثم من بنى عبيد رضى الله عنهم. وهكذا روى عن الشعبى والزهرى وغيرهما: أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج.[2]

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهرى، وعروة بن الزبير: أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان -وهو ابن عبد قيس- وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم ابن التيهان، وعويم ابن ساعدة. فأسلموا وواعدوه إلى قابل. فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام، وأرسلوا إلى رسول الله معاذ بن عفراء ورافع بن مالك: أن ابعث إلينا رجلاً يفقهنا. فبعث إليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة.[3] والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام

---

(1) «السيرة» (1/ 328)، وإسناده حسن، وأخرجه الطبرى فى «تاريخه» (1/ 588)، والبيهقى فى «الدلائل» (5/ 433)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (1/ 205)، ذكره من غير إسناد كلهم عن ابن إسحاق، به. وقال الألبانى فى «فقه السيرة» ص (172) حسن الإسناد.

(2) «السيرة» (1/ 329) وأبو نعيم فى «الدلائل» (226) عن الشعبى والزهرى مرسلاً.

(3) البيهقى فى «الدلائل» (2/ 430) من طريق موسى، به. وأخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» (227) من طريق عروة.

المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنى عشر رجلاً. وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره، وعوف بن الحارث المتقدم، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقى. -قال ابن هشام: وهو أنصارى مهاجرى.- وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم البلوى، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلانى، وعقبة بن عامر بن نابى المتقدم ذكره وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم، فهؤلاء عشرة من الخزرج. ومن الأوس: اثنان، وهما: عويم بن ساعدة، وأبو الهيثم مالك بن التيهان. قال ابن هشام: التيهان يخفف ويثقل كميت وميت.(1)

قال السهيلى: أبو الهيثم ابن التيهان: اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر ابن زعور بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. قال: وقيل: إنه إراشي. وقيل: بلوى. ولهذا لم ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام. قال: والهيثم فرخ العقاب، وضرب من النبات.(2)

والمقصود: أن هؤلاء الاثنى عشر رجلاً شهدوا الموسم عامئذ وعزموا على الاجتماع برسول الله ﷺ فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء، وهى: العقبة الأولى. وروى أبو نعيم: «أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله تعالى فى سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (إبراهيم:35)، إلى آخرها.(3)

وقال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى عن عبادة بن الصامت قال: «كنت ممن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشر رجلاً. فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف. فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر»(4). وقد روى البخارى ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب به نحوه.

---

(1) «السيرة» (1/ 330-331).
(2) «الروض» (4/ 94-96).
(3) سبق تخريجه.
(4) **صحيح**: وهو فى السيرة (1/ 331) وإسناده حسن. وأخرجه أحمد (22754)، والشاشى (1209) (1210)، والحاكم (2/ 624)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 436) من طريق محمد بن إسحاق، به. وإسناده حسن فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث. وتابعه الليث بن سعد، فقد أخرجه البخارى (3893) (6873)، ومسلم (179)، وأبو عوانة (6350) (6351)، وأحمد (22742) من طريقه عن يزيد، به. وله طرق تتبعتها فى «السيرة».

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهرى، عن عائذ الله بن عبد الله أبى إدريس الخولانى: أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.[1] وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهرى به نحوه. وقوله: «على بيعة النساء» يعنى: على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا بعجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب فى غير ما موطن كما بيناه فى «سيرته» وفى «التفسير»، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحى غير متلو فهو أظهر. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى. وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين.[2] وقد روى البيهقى، عن ابن إسحاق قال: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم[3]، وهو الذى ذكره موسى بن عقبة كما تقدم، إلا أنه جعل المرة الثانية هى الأولى.

قال البيهقى: وسياق ابن إسحاق أتم.[4] وقال ابن إسحاق: وكان عبد الله بن أبى بكر يقول: لا أدرى ما العقبة الأولى.ثم يقول ابن إسحاق: بلى لعمرى قد كانت عقبة وعقبة. قالوا كلهم: فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرئ. قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أنه كان يصلى بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضى الله عنهم أجمعين.[5]

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبى حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامة أسعد بن زرارة. قال: فمكث حيناً على ذلك لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له. قال: فقلت فى نفسى: والله إن هذا بى لعجز، ألا أسأله؟ فقلت: يا أبت ما لك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبى أمامة؟ فقال: أى بنى، كان أول من جمَّع بنا بالمدينة فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له: نقيع الخضمات. قال:

(1) **صحيح** : هو فى «السيرة» (1/ 332).

وأخرجه الحميدى (387)، وعبد الرزاق (9818) (21019)، وأحمد (22678) (22733)، والبخارى (18) (3892) (2999) (6784) (6801) (7213)، ومسلم (1709)، والترمذى (1439)، والنسائى (7/ 161)، والدارمى (2453)، وغيرهم عن الزهرى، به.

(2) «السيرة» (1/ 332).

(3) «الدلائل» (2/ 437) وإسناده حسن وهو مرسل.

(4) «الدلائل» (2/ 433).

(5) «السيرة» (1/ 332) وهو مرسل.

قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً[1]. وقد روى هذا الحديث أبو داود، وابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله. وقد روى الدارقطني، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة، وفي إسناده غرابة والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له: بئر مرق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه. فلما سمعا به، قال سعد لأسيد: لا أباً لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً. قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.[2] وقال موسى بن عقبة: فقال له غلام: أتيتنا في دورنا بهذا الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه.[3]

قال ابن إسحاق: فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، قال: ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهّد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في

---

(1) «السيرة» (1/ 333) وإسناده حسن فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه أبو داود (1056)، وابن ماجه (1082)، وابن خزيمة (1724)، والدارقطني (2/ 5-6)، والحاكم (1/ 281)، والبيهقي (3/ 176)، والطبراني (19/ 91/ 176).

وقال البيهقي: حسن الإسناد صحيح. وقال في «الخلافيات» رواته كلهم ثقات. وقال الحافظ في «التلخيص» (2/ 56)، وفي «الفتح» (7/ 264): إسناده حسن.

(2) «السيرة» (1/ 334-335)، وهو مرسل إسناده حسن. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (2/ 438) من طريق ابن إسحاق.

ورواه الطبراني في «الكبير» (2/ 362/ 849)، من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، فذكر نحوه. وإسناده ضعيف لأجل ابن لهيعة.

(3) «الدلائل» للبيهقي (2/ 431-432).

ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً. وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك.

قال: فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة، وأخذ الحربة فى يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً. ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى، أتغشانا فى دارينا بما نكره ؟ قال: وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد منْ ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رَضيت أمراً رُغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن. وذكر موسى بن عقبة[1]: أنه قرأ عليه أول الزخرف. قال: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين.

قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن الحضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الأشهل: كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة. ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد، وخطمة، ووائل، وواقف، وتلك أوس وهم من الأوس ابن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صيفى.[2] وقال الزبير بن بكار: اسمه الحارث، وقيل: عبد الله واسم أبيه الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك ابن الأوس. وكذا نسبه ابن الكلبى أيضاً. وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق.

قلت: وأبو قيس ابن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعاراً ربانية حسنة تقرب من أشعار أمية ابن أبى الصلت الثقفى.

قال ابن إسحاق فيما تقدم: ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ فى العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ -حين ذكر، وقبل أن يذكر- من هذا الحى من

(1) «الدلائل» (2/ 432).

(2) «السيرة» (1/ 334-335) وهو مرسل إسناده حسن كما سبق تخريجه.

الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار يهود. فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس ابن الأسلت أخو بنى واقف.[1] قال السهيلى: هو أبو قيس صرمة ابن أبى أنس واسم أبى أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار، قال: وهو الذى أنزل فيه وفى عمر ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة:187)[2]، الآية.

قال ابن إسحاق[3]: وكان يحب قريشاً، وكان لهم صهراً. كانت تحته أرنب بنت أسد بن عبد العزى ابن قصى وكان يقيم عندهم السنين بامرأته. قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشاً فيها عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ:

أيا راكبا إما عرضت فبلغن * مغلغلة عني لؤي بن غالب
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم * على النأى محزون بذلك ناصب
وقد كان عندي للهموم معرس * ولم أقض منها حاجتي ومآربي
نبيتكم شرجين كل قبيلة * لها أزمل من بين مذك وحاطب
أعيذكم بالله من شر صنعكم * وشر تباغيكم ودس العقارب
وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة * كوخز الأشافي وقعها حق صائب
فذكرهم بالله أول وهلة * وإحلال إحرام الظباء الشوازب
وقل لهم والله يحكم حكمه * ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هي الغول للأقصين أو للأقارب
تقطع أرحاماً وتهلك أمة * وتبري السديف من سنام وغارب
وتستبدلوا بالأتحمية بعدها * شليلاً وأصداء ثياب المحارب
وبالمسك والكافور غبرا سوابغا * كأن قتيريها عيون الجنادب
فإياكم والحرب لا تعلقنكم * وحوضا وخيم الماء مر المشارب
تزين للأقوام ثم يرونها * بعاقبة إذ بينت أم صاحب
تحرق لا تشوي ضعيفاً وتنتحي * ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس * فتعتبروا أو كان في حرب حاطب
وكم قد أصابت من شريف مسود * طويل العماد ضيفه غير خائب

(1) «السيرة» (1/ 282).
(2) «الروض» (4/ 389).
(3) «السيرة» (1/ 282-286).

عظيم رماد النار يحمد أمره * وذي شيمة محض كريم المضارب
وماء هريق في الضلال كأنما * أذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم * بأيامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب مَلْمُحارب واذكروا * حسابكم والله خير محاسب
وليُّ امرئ فاختار دينا فلا يكن * عليكم رقيب غير رب الثواقب
أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتم * لنا غاية قد يهتدي بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة * تؤمون والأحلام غير عوازب
وأنتم إذا ما حصل الناس جوهر * لكم سرة البطحاء شم الأرانب
تصونون أجساداً كراما عتيقة * مهذبة الأنساب غير أشائب
ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم * عصائب هلكى تهتدي بعصائب
لقد علم الأقوام أن سراتكم * على كل حال خير أهل الجباجب
وأفضله رأياً وأعلاه سنة * وأقوله للحق وسط المواكب
فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمسى ورجله * على القاذفات في رءوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعًا هاربين ولم يؤب * إلى أهله ملحبش غير عصائب
فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم * يعاش بها قول امرئ غير كاذب

وحرب داحس الذى ذكرها أبو قيس فى شعره كانت فى زمن الجاهلية مشهورة، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره: أن فرساً يقال له: داحس كانت لقيس بن زهير بن جذيمة ابن رواحة الغطفانى، أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية الغطفانى أيضاً يقال لها: الغبراء، فجاءت داحس سابقاً فأمر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالكاً. ثم إن أبا جنيدب العبسى لقى عوف بن حذيفة فقتله، ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكاً فقتله، فنشبت الحرب بين بنى عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعات آخرون. وقالوا فى ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها.

قال ابن هشام[1]: ويقال أرسل قيس داحساً والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء، والأول أصح. قال: وأما حرب حاطب [فيعني: حاطب] بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية

(1) «السيرة» (1/ 287).

ابن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. كان قتل يهودياً جاراً للخزرج، فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وهو الذى يقال له: ابن فسحم فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً وكان الظفر للخزرج. وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الأوسى، قتله المجذر بن ذياد حليف بنى عوف بن الخزرج، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً.

والمقصود: أن أبا قيس ابن الأسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار -أى: محلة- من دور المدينة إلا وفيها مسلمون ومسلمات غير دار بنى واقف قبيلة أبى قيس، ثبطهم عن الإسلام وهو القائل أيضاً:

أرب الناس أشياء ألمت	*	يلف الصعب منها بالذلول
أرب الناس أما إن ظللنا	*	فيسرنا لمعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهودا	*	وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى	*	مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا إذ خلقنا	*	حنيفاً ديننا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسف مذعنات	*	مكشفة المناكب في الجلول[1]

وحاصل ما يقول: أنه حائر فيما وقع من الأمر الذى قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ فتوقف الواقفى فى ذلك مع علمه ومعرفته. وكان الذى ثبطه عن الإسلام أولاً عبد الله بن أبيّ بن سلول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذى بشر به يهود فمنعه عن الإسلام. قال ابن إسحاق: ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وحوح، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم[2]، وكذا الواقدى. قال: كان عزم على الإسلام أول ما دعاه رسول الله ﷺ، فلامه عبد الله بن أبى فحلف لا يسلم إلى حول فمات فى ذى القعدة.[3] وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة: أنه لما حضره الموت دعاه النبى ﷺ إلى الإسلام فسمع يقول: لا إله إلا الله. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار، فقال: **«يا خال! قل لا إله إلا الله»**. فقال: أخال أم عم؟ قال: **«بل خال»**. قال: فخير لى أن أقول لا إله إلا الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«نعم!»**[4] تفرد به أحمد رحمه الله. وذكر عكرمة

(1) «السيرة» (1/ 335-336).

(2) أسد الغابة (3/ 40).

(3) «الطبقات» لابن سعد (3/ 40-41).

(4) **إسناده صحيح** : وهو فى «المسند» (12563)، وأخرجه أحمد (12544)، من طريق عبد الصمد حدثنا حماد، به. وإسناده على شرط مسلم.

وغيره: أنه لما توفى أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم، فسألت رسول الله ﷺ فى ذلك فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الآية (النساء:22). (1)

وقال ابن إسحاق، وسعيد بن يحيى الأموى فى (مغازيه): كان أبو قيس هذا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهر من الحائض من النساء، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب وقال: أعبد إله إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم فحسن إسلامه، وهو شيخ كبير وكان قوّالاً بالحق معظماً لله فى جاهليته. يقول فى ذلك أشعاراً حساناً(2) وهو الذى يقول:

يقول أبو قيس وأصبح غاديا * ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
فأوصيكم بالله والبر والتقى * وأعراضكم والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم * وإن كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم * فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن ناب غرم فادح فارفقوهم * وما حملوكم فى الملمات فاحملوا
وإن أنتم أمعرتم فتعففوا * وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضاً:

سبحوا الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان جميعاً * ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستريد وتأوي * في وكور من آمنات الجبال
وله الوحش بالفلاة تراها * في حقاف وفي ظلال الرمال
وله هودت يهود ودانت * كل دين مخافة من عضال
وله شمّس النصارى وقاموا * كل عيد لربهم واحتفال
وله الراهب الحبيس تراه * رهن بؤس وكان ناعم بال
يا بني الأرحام لا تقطعوها * وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى * وبما يستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتيم وليا * عالما يهتدي بغير سؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه * إن مال اليتيم يرعاه والي
يا بني التخوم لا تجزلوها * إن جزل التخوم ذو عقال

(1) راجع «تفسير الطبرى» (4/ 318) ففيه اختلاف.
(2) «السيرة» (1/ 510).

يا بني الأيام لا تأمنوها * واحذروا مكرها ومر الليالي
واعلموا أن مرها لنفاد * الخلق ما كان من جديد وبالي
واجمعوا أمركم على البر والتقـ * ـوى وترك الخنا وأخذ الحلال

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام، وما خصهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم:

ثَوَى في قُرَيشٍ بِضعَ عَشْرَةَ حِجَّةً * يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صديقًا مُواتيا[1]

وسيأتي ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة.

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أواسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه وإعزاز الإسلام وأهله، فحدثني معبد ابن كعب بن مالك: أن أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعباً حدثه وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها. قال: خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء: يا هؤلاء، إنى قد رأيت رأياً والله ما أدرى أتوافقوننى عليه أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية منى بظهر -يعنى: الكعبة- وأن أصلي إليها. قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلى إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه. فقال: إنى لمصلٍّ إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل.

قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة. قال: وقد كنا قد عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة، قال لى: يا بن أخى، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا فإنه قد وقع فى نفسى منه شيء لما رأيت من خلافكم إياى فيه. قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ قال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا. فقال: هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال: قلنا: نعم ! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس.

قال: فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه؛ فقال رسول الله ﷺ للعباس. «**هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟**» قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ «**الشاعر**»؟ قال: «**نعم!**» فقال له البراء بن معرور: يا نبى الله، إنى خرجت فى سفرى هذا قد هدانى الله تعالى

(1) «السيرة» (1/ 512).

للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت إليها وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء فماذا ترى؟ قال: «**قد كنت على قبلة لو صبرت عليها**» قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا: نحن أعلم به منهم.

قال كعب بن مالك: ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً. ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً.[1]

وقد روى البخارى: حدثنى إبراهيم، حدثنا هشام: أن ابن جريج أخبرهم: قال عطاء: قال جابر: أنا وأبى وخالى من أصحاب العقبة. قال عبد الله بن محمد: قال ابن عيينة: أحدهما: البراء بن معرور.[2] حدثنا على بن المدينى، حدثنا سفيان قال: كان عمرو يقول: سمعت جابر بن عبد الله يقول: شهد بى خالاى العقبة.[3]

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن خثيم، عن أبى الزبير، عن جابر قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم، بعكاظ ومجنة، وفى المواسم بمنى يقول: «**من يؤوينى؟ من ينصرنى؟ حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة**» حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر -كذا قال فيه- فيأتيه قومه. فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشى بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام. ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد فى جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه فى الموسم فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا. فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: «**تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، والنفقة فى العسر**

---

(1) «السيرة» (1/ 338)، وإسناده حسن.
ورواه أحمد (3/ 461)، والطبرى (2/ 360)، والطبرانى (19/ 174) (175)، وابن حبان (7011)، والحاكم (3/ 441)، وابن خزيمة (429)، والبيهقى «دلائل» (2/ 444)، من طريق ابن إسحاق، به.
وقال الحافظ فى «الفتح» (7/ 263) إسناده حسن وراجع «الصحيحة» (63).
(2) البخارى (3891).
(3) البخارى (3890).

واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا فى الله، لا تخافون فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة». فقمنا إليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم -وفى رواية البيهقى: وهو أصغر السبعين إلا أنا- فقال: رويداً يا أهل يثرب فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف. فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: أمط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً. قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة.(1)

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً، والبيهقى من طريق داود بن عبد الرحمن العطار، زاد البيهقى عن الحاكم بسنده إلى يحيى بن سليم، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبى الزبير به نحوه.(2) وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه. وقال البزار: ورواه غير واحد، عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه.(3)

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن موسى بن عقبة، عن أبى الزبير، عن جابر قال: كان العباس آخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله يواثقنا، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ : «**أخذت وأعطيت**»(4). وقال البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان هو الثورى، عن جابر يعنى: الجعفى وداود هو ابن أبى هند، عن الشعبى، عن جابر يعنى: ابن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ للنقباء من الأنصار: «**تؤونى وتمنعونى؟**» قالوا: نعم. قالوا: فما لنا؟ قال: «**الجنة**». ثم قال: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد عن جابر.(5)

ثم قال ابن إسحاق: عن معبد، عن عبد الله، عن أبيه كعب بن مالك قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب، أم عمارة، إحدى نساء بنى مازن بن النجار، وأسماء ابنة عمرو بن عدى بن نابى إحدى نساء بنى سلمة وهى: أم منيع.(6) وقد صرح ابن إسحاق فى رواية يونس بن

---

(1) **صحيح الإسناد** : وهو فى «المسند» (3/ 322-323)، و«الدلائل» للبيهقى (2/ 442-443)، وإسناده صحيح وقد سبق تخريجه.

(2) أحمد (3/ 323)، و«الدلائل» (2/ 443)، والحاكم (2/ 624)، وقال صحيح الإسناد، وقال الذهبى: صحيح.

(3) «كشف الأستار» (2/ 308).

(4) هو فى «المسند» (3/ 396) وإسناده حسن.

وأخرجه الحميدى (1277)، وأبو عوانة (4/ 486) من طريق ابن عيينة، به.

(5) **إسناده ضعيف** : أخرجه البزار «كشف» (2/ 307)، وأبو يعلى (1882) وإسناده فيه جابر الجعفى وهو رافض خبيث.

(6) «السيرة» (1/ 338) وهو حسن الإسناد كما سبق.

بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم قلت: وما ورد فى بعض الأحاديث: أنهم كانوا سبعين، فالعرب كثيراً ما تحذف الكسر. وقال عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة: كانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة، قال: منهم أربعون من ذوى أسنانهم، وثلاثون من شبابهم، قال: وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله.(1) وقول محمد بن إسحاق أنهم خمسةٌ وسبعون، أثبت. والله أعلم.

قال كعب بن مالك: فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج -قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها- إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عزة من قومه، ومنعة فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت: فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام. ثم قال: «**أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**».

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم! فوالذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر. قال: فاعترض القول، -والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله: إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها -يعنى: اليهود- فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «**بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم**». قال كعب: وقد قال رسول الله ﷺ : «**أخرجوا إلىَّ منكم اثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم**». فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. (2)

قال ابن إسحاق: وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة -المتقدم-، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، ورافع بن مالك بن العجلان -المتقدم-. والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وعبادة بن الصامت -المتقدم-. وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن

(1) «الدلائل» (2/ 453).

(2) «السيرة» (1/ 339) وهو حسن الإسناد كما سبق.

خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، والمنذر بن عمرو بن خنيس ابن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. فهؤلاء تسعة من الخزرج، ومن الأوس ثلاثة: وهم: أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس. ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.[1]

قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم ابن التيهان بدل رفاعة هذا[2]، وهو كذلك فى رواية يونس عن ابن إسحاق. واختاره السهيلى[3] وابن الأثير فى «الغابة»[4]. ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبى زيد الأنصارى فيما ذكره من شعر كعب بن مالك فى ذكر النقباء الاثنى عشر هذه الليلة -ليلة العقبة الثانية- حين قال:

فأبلغ أبياً أنه فال رأيه * وحان غداة الشعبِ والحين واقعُ
أبى الله ما منتك نفسك إنه * بمرصاد أمر الناس راء وسامع
وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترعين في حشد أمر تريده * وألب وجمّع كل ما أنت جامع
ودونك فاعلم أن نقض عهودنا * أباه عليك الرهط حين تتباعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما * وأسعد يأباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدي ومنذر * لأنفك إن حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع إن تناولت عهده * بمسلمه لا يطمعن ثَمَّ طامع
وأيضاً فلا يعطيكه ابن رواحة * وإخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلي بن صامت * بمندوحة عما تحاول يافع
أبو هيثم أيضاً وفيٌّ بمثلها * وفاء بما أعطى من العهد خانع
وما ابن حضير إن أردت بمَطْمَعَ * فهل أنت عن أحموقة الغي نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه * ضروح لما حاولت ملأمر مانع
أولاك نجوم لا يغبَّك منهم * عليك بنحس في دجى الليل طالع

(1، 2) «السيرة» (1/ 340).

(3) «الروض» (4/ 94-95).

(4) أسد الغابة (6/ 323).

قال ابن هشام: فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة.(1)

قلت: وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية فى هذه الليلة والله أعلم. وروى يعقوب بن سفيان عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك. قال: كان الأنصار ليلة العقبة سبعين رجلاً، وكان نقباؤهم اثنى عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.(2) وحدثنى شيخ من الأنصار أن جبريل كان يشير إلى لرسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة، رواه البيهقى.(3)

وقال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر: أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: «**أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومى**». قالوا: نعم!(4) وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس ابن عبادة بن نضلة الأنصارى أخو بنى سالم بن عوف: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم ! قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا انهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله -إن فعلتم- خزى الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «**الجنة**». قالوا: ابسط يدك فبسط يده فبايعوه.(5) قال عاصم ابن عمر بن قتادة: وإنما قال العباس بن عبادة ذلك ليشد العقد فى أعناقهم. وزعم عبد الله بن أبى بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى بن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم، فالله أعلم أى ذلك كان.(6)

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أول من ضرب على يده. وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم ابن التيهان.(7)

قال ابن إسحاق: وحدثنى معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك. قال: فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع القوم.(8) وقال ابن الأثير فى «أسد

---

(1) «السيرة» (1/ 341).
(2) «الدلائل» (2/ 453) من طريقه.
(3) «الدلائل» (2/ 453).
(4) «السيرة» (1/ 341)، وعن ابن جرير (1/ 562)، وهو مرسل حسن.
(5) «السيرة» (1/ 342) وهو مرسل، ورواه الطبرى (1/ 563)، من طريق ابن إسحاق، وله شاهد مرسل من حديث الشعبى رواه أحمد (17078)، والبيهقى (2/ 540)، وهو مرسل حسن.
وله شواهد يصح بها مسندة، قد بينّت ذلك فى «السيرة».
(6) «السيرة» (1/ 342).
(7) «السيرة» (1/ 343).
(8) «السيرة» (1/ 343) وإسناده حسن، ورواه الحاكم (3/ 181)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى. وراجع «الفتح» (3/ 262).

الغابة»: وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كعب بن مالك.[1] وقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك فى حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك. قال: ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر، وإن كانت بدراً أذكر فى الناس منها.[2]

وقال البيهقى: أخبرنا أبو الحسين ابن بشران أخبرنا عمرو ابن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا بن أبى زائدة، عن عامر الشعبى قال: انطلق رسول الله ﷺ مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: «**ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عيناً، وإن يعلموا بكم يفضحوكم**». فقال قائلهم وهو أبو أمامة: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت. ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك. قال: «**أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسى وأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه انفسكم**». قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «**لكم الجنة**». قالوا: فلك ذلك.[3] ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبى عن أبى مسعود الأنصارى فذكره قال: وكان أبو مسعود أصغرهم.[4] وقال أحمد: عن يحيى عن إسماعيل بن أبى خالد، عن الشعبى قال: فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها.[5]

وقال البيهقى: أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش أخبرنا محمد بن إبراهيم ابن الفضل الفحام، أخبرنا محمد بن يحيى الذهلى، أخبرنا عمرو بن عثمان الرقى، حدثنا زهير، ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه. قال: قدَّمت روايا خمر، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، والنفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أن نقول فى الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب بما نمنع به أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة. فهذه بيعة رسول الله ﷺ التى بايعناه عليها[6]، وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه. وقد روى يونس عن ابن إسحاق حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت. قال: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف فى الله لومة لائم.[7]

(1) «الأسد» (5/ 14).
(2) أخرجه البخارى (3889)، ومسلم (2769).
(3) «الدلائل» (2/ 450-451)، وهو مرسل حسن.
(4) «الدلائل» (2/ 451) وإسناده ضعيف.
(5) أحمد (4/ 120) وهو مرسل إسناده صحيح.
(6) «الدلائل» (2/ 451-452) وقوله المؤلف إسناد جيد ليس بجيد، ففيه مجهول.
(7) ابن إسحاق (1/ 348) وإسناده حسن وقد توبع محمد بن إسحاق عليه، فرواه مالك (2/ 445)، وعنه البخارى (7199) (7200)، والنسائى (7/ 138)، والبيهقى (8/ 145)، والبغوى (2456)، من هذا الطريق وأخرجه ابن أبى شيبة (15/ 57)، ومسلم (3/ 1470)، والنسائى (7/ 139)، وابن ماجه (2866) من طريق عبد الله بن إدريس عن يحيى بن سعيد عن عبادة، به.

قال ابن إسحاق فى حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن كعب بن مالك. قال: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب -والجباجب المنازل- هل لكم فى مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب»**. قال ابن هشام: ويقال ابن أزيب. **«اتسمع أى عدو الله؟ أما والله لا لأتفرعن لك»**. ثم قال رسول الله ﷺ **«ارفضوا إلى رحالكم»**. قال: فقال العباس بن عبادة بن نضلة: يا رسول الله والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: **«لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»**. قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاؤونا فى منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا، من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم. قال: فانبعث مَنْ هناك من مشركى قومنا يحلفون ما كان من هذا شىء وما علمناه، قال: وصدقوا لم يعلموا.

قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى، وعليه نعلان له جديدان، قال: فقلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلىَّ. قال: والله لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مه أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه. قال: قلت: والله لا أردهما، فأل والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلبنه.[1]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبى بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم: إن هذا الأمر جسيم ما كان قومى ليتفرقوا على مثل هذا وما علمته كان. قال: فانصرفوا عنه. قال: ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان، فخرجوا فى طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والمنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيباً. فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته، وكان ذا شعر كثير. قال سعد: فوالله إنى لفى أيديهم إذ طلع علىَّ نفر من قريش، فيهم رجل وضىء أبيض، شعشاع، حلو من الرجال، فقلت فى نفسى: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا. فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة، فقلت فى نفسى: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير، قال فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى لى رجل ممن معهم. فقال: ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى. وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس: فقال: ويحك فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة، فقال

(1) إسناده حسن: هو فى «السيرة» (1/ 343)، ورواه الحاكم (3/ 181) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وراجع «الفتح» (3/ 262).

لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن ليضرب بالأبطح ليهتف بكما قالا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة. قالا: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجارنا، ويمنعهم أن يظلموا ببلده، قال: فجاء فخلصا سعداً من أيديهم، فانطلق. وكان الذى لكم سعداً سهيل بن عمرو.(1) قال ابن هشام: وكان الذى أوى له أبو البخترى ابن هشام.(2) وروى البيهقى بسنده عن عبد الحميد عيسى بن أبى عبس بن جبر عن أبيه قال: سمعتْ قريش قائلاً يقول فى الليل على أبى قبيس:

فَإنْ يُسْلِمِ السَّعْدانِ يُصْبِحْ محمدٌ * بمكَّةَ لا يَخْشَى خِلافَ المُخالِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: من السعدان؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم؟

فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلاً يقول:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعى الهدى وتمنيا * على الله فى الفردوس منية عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى * جنان من الفردوس ذات رفارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.(3)

فصل

قال ابن إسحاق: فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها. وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم: عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة وكان عمرو بن الجموح من سادات بنى سلمة وأشرافهم، وكان قد اتخذ صنماً من خشب فى داره يقال له: مناة كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذه إلهاً يعظمه ويطهره. فلما أسلم فتيان بنى سلمة: ابنه معاذ ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة ؟ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه. فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه، ففعلوا مثل ذلك، فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوماً، فغسله وطهره وطيبه. ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال له: إنى والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة، فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم

(1) إسناده حسن كما سبق وهو فى «السيرة» (1/ 344-345).
(2، 3) «السيرة» (1/ 345).

يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه أبصر شأنه وكلّمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله، وحسن إسلامه. فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنتَ إلهـاً لم تكن	*	أنت وكلبٌ وسط بئـر في قَـرَن
أف لملقـاك إلهـا مستـدن	*	الآن فـتـشناك عن سـوء الغبن
الحـمـد لله العلي ذي المنن	*	الـواهـب الـرزاق ديـان الـدِّيَـن
هو الذي أنقـذني من قبـل ان	*	أكـون في ظلمـة قبـر مـرتهن[1]

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية وجملتهم على ما ذكره ابن إسحاق

ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان فمن الأوس أحد عشر رجلاً: أسيد بن حضير أحد النقباء وأبو الهيثم ابن التيهان بدري أيضاً، وسلمة بن سلامة بن وقش بدري أيضاً وظهير بن رافع، وأبو بردة ابن نيار بدري، ونهير بن الهيثم بن نابي بن مجدعة بن حارثة، وسعد بن خيثمة أحد النقباء بدري وقتل بها شهيداً. ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر نقيب بدري، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية ابن البرك بدري، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة. ومعن بن عدي بن الجد بن عجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوي حليف للأوس شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً، وعويم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها.

ومن الخزرج: اثنان وستون رجلاً: أبو أيوب خالد بن زيد، وشهد بدراً وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً، ومعاذ بن الحارث وأخواه عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدريون، وعمارة ابن حزم شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة. وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء مات قبل بدر. وسهل بن عتيك بدري، وأوس بن ثابت بن المنذر بدري، وأبو طلحة زيد بن سهل بدري. وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر. وعمرو بن غزية، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدراً وقتل يوم أحد، وخارجة ابن زيد شهد بدراً وقتل يوم أحد، وعبد الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدراً وأحد والخندق، وقتل يوم مؤتة أميراً. وبشير بن سعد بدري، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذي أُرى النداء وهو بدري. وخلاد بن سويد بدري أحدي خندقي. وقتل يوم بني قريظة شهيداً، طرحت عليه رحى فشدخته فيقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن له لأجر شهيدين**».[2]

---

(1) «السيرة» (1/ 346-347)، وعنه ابن الأثير في «الأسد» (4/ 207)، والذهبي في «السير» (1/ 253)، والحافظ في «الإصابة» (4/ 290) عن ابن إسحاق معلقًا.

(2) فيه ضعف كما قال الحافظ في «الفتح» (2/ 140).

وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدرى -قال ابن إسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سناً ولم يشهد بدراً- وزياد بن لبيد بدرى، وفروة بن عمرو بن ودفة بدري وخالد بن قيس بن مالك بدرى، ورافع ابن مالك أحد النقباء. وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، وهو الذى يقال له: مهاجرى أنصارى لأنه أقام عند رسول الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها، وهو بدرى قتل يوم أحد. وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدرى، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدرى أيضاً. والبراء بن معرور أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبى ﷺ المدينة، وأوصى له بثلث ماله فردّه رسول الله ﷺ على ورثته. وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدراً وأحداً والخندق ومات بخيبر شهيداً من أكله مع رسول الله ﷺ من تلك الشاة المسمومة رضي الله عنه.

وسنان بن صيفى بن صخر بدرى، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدرى، قتل يوم الخندق، ومعقل بن المنذر بن سرح بدرى، وأخوه يزيد بن المنذر بدرى، ومسعود بن زيد بن سبيع، والضحاك ابن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدرى. ويزيد بن خذام بن سبيع، وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد بدرى، والطفيل بن مالك بن خنساء بدرى، وكعب بن مالك، وسليم بن عمرو بن حديدة بدرى، وقطبة بن عامر بن حديدة بدرى، وأخوه أبو المنذر يزيد بدرى أيضاً. وأبو اليسر كعب بن عمرو بدرى، وصيفى بن سواد بن عباد، وثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابى بدرى واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدى. وعبس بن عامر بن عدى بدرى، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدرى واستشهد يوم أحد، وابنه جابر بن عبد الله. ومعاذ بن عمرو بن الجموح بدرى، وثابت بن الجذع بدرى وقتل شهيداً بالطائف، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بدرى، وخديج بن سلامة حليف لهم من بلى. ومعاذ بن جبل شهد بدراً وما بعدها ومات بطاعون عمواس فى خلافة عمر بن الخطاب، وعبادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدراً وما بعدها. والعباس بن عبادة بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له: مهاجرى أنصارى أيضاً وقتل يوم أحد شهيداً.

وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم حليف لهم من بلى، وعمرو بن الحارث ابن لبدة، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدرى. وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم بدرى، وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له: مهاجرى أنصارى أيضاً. وسعد بن عبادة بن دليم أحد النقباء، والمنذر بن عمرو نقيب بدرى أحدى وقتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذى يقال له: أعنق ليموت.

وأما المرأتان: فأم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية. قال ابن إسحاق: وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها حبيب وعبد الله، وابنها حبيب هذا هو الذى قتله مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم. فيقول: أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول: لا أسمع. فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يديه لا

يزيده على ذلك، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة ورجعت وبها اثنى عشر جرحاً من بين طعنة وضربة رضى الله عنها وأرضاها والأخرى: أم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة رضى الله عنها.[1]

باب بدء الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزهرى: عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ وهو يومئذ بمكة للمسلمين: «**قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين**». فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين. رواه البخارى[2] وقال أبو موسى: عن النبى ﷺ: «**رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب**». وهذا الحديث قد أسنده البخارى فى مواضع أخر بطوله. ورواه مسلم كلاهما: عن أبى كريب[3]، زاد مسلم وعبد الله بن براد كلاهما عن أبى أسامة، عن بريد بن عبد الله بن أبى بردة، عن جده أبى بردة، عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى، عن النبى ﷺ الحديث بطوله.[4]

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ املاء، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرو، حدثنا إبراهيم بن هلال، حدثنا على بن الحسن بن شقيق، حدثنا عيسى بن عبيد الكندى، عن غيلان بن عبد الله العامرى، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير: أن النبى ﷺ قال: «**إن الله أوحى إلى أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهى دار هجرتك، المدينة أو البحرين أو قنسرين**». قال أهل العلم: ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها. هذا حديث غريب جداً[5]، وقد رواه الترمذى فى المناقب من جامعه منفرداً به عن أبى عمار الحسين بن حريث، عن الفضل بن موسى، عن عيسى بن عبيد، عن غيلان بن عبد الله العامرى، عن أبى زرعة ابن عمرو بن جرير، عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أوحى إلىّ أى هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك، المدينة أو البحرين أو قنسرين**». ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار.

قلت: وغيلان بن عبد الله العامرى هذا ذكره ابن حبان فى الثقات إلا أنه قال: روى عن أبى زرعة حديثاً منكراً فى الهجرة.[6] والله أعلم.

---

(1) «السيرة» (1/ 252-253).
(2) أخرج البخارى (476) (2297) (3905) (5807)، وأحمد (6/ 198)، وابن حبان (6277) (6868).
(3) علقه البخارى برقم (7/ 226) فتح، وأسنده برقم (2622) (4081) (7035) (7041)، ومسلم (2272).
(4) مسلم (2272).
(5) «الدلائل» (2/ 458)، وإسناده فيه نكارة، بل هو منكر. كما قال ابن حبان فى «الثقات» (7/ 311) فى ترجمة: غيلان.
(6) الترمذى (3923)، وقال الألبانى: موضوع راجع «ضعيف الترمذى» (822).

وقال ابن إسحاق: لما أذن الله تعالى فى الحرب بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ الآية (الحج: 39، 40). فلما أذن الله فى الحرب وبايعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له، ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين. أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة، والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار. وقال: «**إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها**»، فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة. فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش: من بنى مخزوم: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها، ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها.(1)

قال ابن إسحاق: فحدثنى أبى، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة، عن جدته أم سلمة قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل لى بعيره ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى، ثم خرج يقود بى بعيره، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، فقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرق بينى وبين ابنى وبين زوجى. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح فما أزال أبكى حتى أمسى -سنة أو قريباً منها- حتى مرَّ بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بى فرحمنى، فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها. قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت.

قالت: فردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابنى، قالت: فارتحلتُ بعيرى، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة، قالت: وما معى أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة، أخا بنى عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبى أمية؟ قلت: أريد زوجى بالمدينة. قال: أوما معك أحد؟ قلت: ما معى أحد إلا الله وابني هذا. فقال: والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير، فانطلق معى يهوى بى، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحّله ثم استأخر عنى، وقال: اركبى فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه، فقادنى حتى ينزل بى، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء

(1) «السيرة» (1/ 357) وانظر التعليق عليه فى «السيرة».

قال: زوجك فى هذه القرية -وكان أبو سلمة بها نازلاً- فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً إلى مكة، فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة.

أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى هذا بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته: الحارث وكلاب ومسافع، وعمه عثمان بن أبى طلحة. ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بنى شيبة مفاتيح الكعبة أقرها عليهم فى الإسلام كما كانت فى الجاهلية، ونزل فى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية (النساء:58).

قال ابن إسحاق: ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة العدوية، ثم عبد الله بن جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، حليف بنى أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد أبى أحمد -اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق، وقيل: ثمامة.[1] قال السهيلى: والأول أصح-. وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب ابن هاشم. فغلقت دار بنى جحش هجرة، فمرَّ بها عتبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب، وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يبابا ليس بها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء، وقال:

وكل دارٍ وإن طَالَتْ سلامتُها * يومًا ستُدرِكُها النَّكْباءُ والحُوبُ

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبى داود الإيادى فى قصيدة له.[2] قال السهيلى[3]: واسم أبى داود حنظلة بن شرقى وقيل: جارية ثم قال عتبة: أصبحت دار بنى جحش خلاء من أهلها.

---

(1) «السيرة» (1/ 358) قال الحافظ فى «الإصابة» (4/ 95).
قال أبو نعيم: كان أول من هاجر إلى المدينة وزاد ابن منده وإلى الحبشة. وأخرج البغوى بسند صحيح إلى قبيصة بن ذئيب أن النبى ﷺ أتى أبا سلمة يعوده وهو ابن عمته، وأول من هاجر بظعينته إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة - وهكذا قال الطبرى (2/ 369)، لكن روى البخارى (7/ 208) فتح، عن البراء قال: أول مَن قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ثم قدم علينا عمار وبلال.
قال الحافظ (7/ 208) فيجمع بينه وبين حديث البراء بحمل الأولية فى أحدهما على صفة خاصة فقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقاً أو سلمة بن الأسد وكان رجع من الحبشة إلى مكة فأوذى بمكة فبلغه ما وقع للأثنى عشر من الأنصار فى العقبة الأولى فتوجه إلى المدينة فى أثناء السنة فيجمع بين ذلك وبين ما وقع هنا بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فراراً من المشركين بخلاف مصعب بن عمير خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبى ﷺ فلكل أولية من جهة.
(2) «السيرة» (1/ 360).
(3) «الروض» (4/ 163).

فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قل بن قل، ثم قال: -يعني للعباس- هذا من عمل ابن أخيك هذا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا.

قال ابن إسحاق: فنزل أبو سلمة، وعامر بن ربيعة، وبنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر، ثم قدم المهاجرون أرسالاً، قال: وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونساؤهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وعكّاشة بن محصن، وشجاع وعقبة ابنا وهب، وأربد بن حميرة، ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش، ومحرز بن نضلة، ويزيد بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو، وربيعة بن أكثم. والزبير بن عبيدة، وتمام بن عبيدة، وسخبرة بن عبيدة، ومحمد بن عبد الله بن جحش. ومن نسائهم: زينب بنت جحش، وحمنة بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجذامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رقيش، وسخبرة بنت تميم.
قال أبو أحمد ابن جحش في هجرتهم إلى المدينة:

ولما راتني أم أحمد غادياً * بذمة من أخشى بغيب وارهب
تقول فإما كنت لابد فاعلاً * فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب
فقلت لها ما يثرب بمظنة * وما يشأ الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومَنْ يُقِم * إلى الله يوماً وجهه لا يخيَّب
فكم قد تركنا من حميم مناصح * وناصحة تبكي بدمع وتندب
ترى أن وتراً نأينا عن بلادنا * ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دمائهم * وللحق لما لاح للناس ملحب
أجابوا بحمد الله لما دعاهم * إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى * أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجَين أما منهما فموفَّق * على الحق مَهْدِيّ وفوج معذَّب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم * عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا
ورعنا إلى قول النبي محمد * فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
نَمتِ بأرحام إليهم قريبةً * ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرِّب
فأي ابن أخت بعدنا يأمننكم * وأية صهر بعد صهري ترقب
ستعلم يوماً أينا إذ تزيلوا * وزيل أمر الناس للحق أصوب[1]

(1) «السيرة» (1/ 362).

قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبى ربيعة حتى قدما المدينة. فحدثنى نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه. قال: اتّعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص؛ التناضب من أضاة بنى غفار فوق سرف، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وفتن فافتتن. فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عياش -وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما- حتى قدما المدينة ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا له: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقّ لها. فقلت له: إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

قال: فقال: أبرّ قسم أمى ولى هنالك مال فآخذه. قال: قلت: والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما. قال: فأبى علىّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك. قلت: أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانجُ عليها. فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا أخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه ؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن. قال عمر: فكنا نقول: لا يقبل الله ممن افتتن توبة. وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الزمر: 53-55).

قال عمر: فكتبتها بيدى وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال هشام: فلما أتتنى جعلت أقرأها بذى طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، فألقى الله فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا، ويقال: فينا. قال: فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة.[1] وذكر ابن هشام: أن الذى قدم بهشام بن العاص، وعياش بن أبى ربيعة إلى المدينة، الوليد بن الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بهما يحملهما على بعيره وهو ماش معهما، فعثر فدميت أصبعه فقال:

هل أنتِ إلا أُصْبُعٌ دَمِيتِ * وفي سبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ[2]

---

(1) «السيرة» (1/ 263، 364)، وإسناده حسن وأخرجه البزار (2/ 370-371) كشف، وقال الهيثمى (6/ 61) رجاله ثقات.

ورواه الحاكم (2/ 435) وعنه البيهقى «دلائل» (2/ 461)، والسنن (9/ 14)، وابن جرير (30182) من طريق ابن إسحاق، به.

(2) سيرة ابن هشام (1/ 365)، وقال الحافظ فى «الفتح» (1/ 557) وهذا من زيادات ابن هشام فى «السيرة».

وقال البخارى: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء. قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمار وبلال[1]. وحدثنى محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبى إسحاق سمعت البراء بن عازب. قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثم قدم عمر ابن الخطاب فى عشرين من أصحاب النبى ﷺ، ثم قدم النبى ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ، فما قدم حتى قرأت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ (الأعلى:1) فى سور من المفصل[2]. ورواه مسلم فى صحيحه من حديث إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب بنحوه[3] وفيه التصريح بأن سعد بن أبى وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهرى أنه إنما هاجر بعد رسول الله ﷺ والصواب ما تقدم.

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد ابن الخطاب، وعمرو، وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمى زوج ابنته حفصة، وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وواقد بن عبد الله التميمى حليف لهم، وخولى بن أبى خولى، ومالك بن أبى خولى حليفان لهم من بنى عجل، وبنو البكير إياس، وخالد، وعاقل، وعامر وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر فى بنى عمرو بن عوف بقباء.

قال ابن إسحاق: ثم تتابع المهاجرون رضى الله عنهم: فنزل طلحة بن عبيد الله، وصهيب بن سنان على خُبيب بن إساف أخى بلحارث بن الخزرج بالسنح. ويقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة.[4]

قال ابن هشام: وذكر لى عن أبى عثمان النهدى أنه قال: بلغنى أن صُهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى؟ قالوا: نعم! قال: فإنى قد جعلت لكم مالى. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ربح صهيب، ربح صهيب**».[5]

وقد قال البيهقى: حدثنا الحافظ أبو عبد الله إملاء أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال، أخبرنا عبدان الأهوازى، حدثنا زيد بن الحريش، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى، حدثنا حصين بن حذيفة بن صيفى بن صهيب، حدثنى أبى وعمومتى عن سعيد بن

---

(1) البخارى (3924) وراجع الجمع الذى جمعه الحافظ سابقًا.

(2) رواه البخارى (3925).

(3) رواه البخارى (3925) فقط، وليس هو فى «مسلم» كما زعم المؤلف.

(4) «السيرة» (1/ 365-366).

(5) **صحيح** : وهو فى «السيرة» (1/ 366) معلقًا، ووصله الحاكم (3/ 398) من حديث ثابت عن أنس، ومن حديث أيوب عن عكرمة مرسلاً.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وهو كما قال، وله شاهد من حديث صهيب نفسه، رواه الطبرانى (7308)، وفيه ابن زبالة وهو ضعيف، وصححه الألبانى فى «فقه السيرة» (ص 184).

المسيب عن صهيب. قال: قال رسول الله ﷺ: **«أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرتين، فإما أن تكون هجر أو تكون يثرب»**.

قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدنى فتيان من قريش، فجعلت ليلتى تلك أقوم لا أقعد. فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه ولم أكن شاكياً فناموا. فخرجت ولحقنى منهم ناس بعد ما سرت بريداً ليردونى فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلى وتوفوا لى، ففعلوا فتبعتهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها أواقى، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها، فلما رآنى قال: **«يا أبا يحيى ربح البيع»** ثلاثاً. فقلت يا رسول الله ﷺ: ما سبقنى إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام.(1)

قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مرثد كناز بن الحصين، وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة، وأنسة، وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء. وقيل: على سعد بن خيثمة. وقيل: بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم. قال: ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين ومسطح بن أثاثة وسويبط بن سعد بن حريملة أخو بنى عبد الدار وطليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصى، وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخى بلعجلان بقباء ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع. ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة ابن أبى رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة ابن الجلاح بالعصبة، دار بنى جحجبى، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ، ونزل أبو حذيفة ابن عتبة وسالم مولاه على -شك ابن إسحاق: وقال الأموى: على خبيب بن إساف أخى بنى حارثة- ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش فى بنى عبد الأشهل، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار. قال ابن إسحاق: ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزباً والله أعلم أى ذلك كان.(2)

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنى أحمد بن أبى بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال: قدمنا من مكة فنزلنا العصبة، عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبى حذيفة، فكان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً.(3)

---

(1) «الدلائل» (2/ 522)، والحاكم (3/ 400) بهذا الإسناد وإسناده ضعيف، حصين بن حذيفة مجهول ويعقوب ضعيف، وزيد بن الحريش مجهول. ورواه الطبرانى (7296) من طريقه.
لكن له شواهد كما سبق.

(2) «السيرة» (1/ 366-367).

(3) «المعرفة والتاريخ» (3/ 273) وإسناده ضعيف لضعف العمرى.

فصل في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ (الإسراء:80). أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً، فأذن له تعالى فى الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب، فصارت له داراً وقراراً، وأهلها له أنصاراً.

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة: عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأمر بالهجرة وأنزل عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾.[1] قال قتادة: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ المدينة، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: الهجرة من مكة، ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾: كتاب الله وفرائضه وحدوده.[2]

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أو فتن، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فيقول له: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً**» فيطمع أبو بكر أن يكونه. فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة. فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له فى دار الندوة -وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها- يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.[3]

قال ابن إسحاق: فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبى نجيح، عن مجاهد بن جبر، عن عبد الله بن عباس، وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس. قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله ﷺ ، غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس لعنه الله فى هيئة شيخ جليل عليه بت له فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحًا. قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش عتبة، وشيبة، وأبو سفيان، وطعيمة بن عدى، وجبير بن مطعم بن عدى، والحارث بن عامر بن نوفل، والنضر بن الحارث وأبو البخترى ابن هشام،

---

(1) فى «المسند» (1948) وإسناده ضعيف لضعف قابوس. وأخرجه من طريقه: الدارمى (3306)، والترمذى (3/ 29)، والطبرانى (9/ 126)، وابن عدى (6/ 2072)، والحاكم (1/ 554)، والبغوى (1185) بهذا الإسناد. وضعفه الذهبى بقابوس.

(2) أخرجه عبد الرزاق فى «تفسيره» (1620) (1621)، وابن جرير (15/ 149) وإسناده صحيح.

(3) «السيرة» (1/ 368) معلقًا، ولكن معناه صحيح كما فى «الصحيح» (7/ 183-197) من حديث عائشة الطويل فى «الهجرة» وقد سبق.

وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، وأبو جهل ابن هشام، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف، ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فاجمعوا فيه رأياً.

قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: -قيل إنه أبو البخترى ابن هشام- احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدى: لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأى. فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. قال الشيخ النجدى: لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأيا غير هذا.

فقال أبو جهل ابن هشام: والله إن لى فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً. فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم، قال: يقول الشيخ النجدى: القول ما قال الرجل هذا الرأى ولا رأى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: «**نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم**» وكان رسول الله ﷺ ينام فى برده ذلك إذا نام. (1)

وهذه القصة التى ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدى بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلى وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم فى بعض فذكر نحو ما تقدم.(2)

---

(1) «السيرة» (1/ 370) ورجاله ثقات، ورواه من طريق ابن إسحاق، ابن جرير (2/ 370) والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 468) بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبرى (2/ 370) من طريق ضعيف جداً وله شواهد يتقوى بها كما بينت ذلك فى «السيرة».

(2) راجع الطبقات (2/ 175).

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها. قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «**نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدهم**» وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: 1-9). ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً. فقال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته! أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علىٌّ عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذى كان حدثنا.[1]

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: 30)، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (الطور: 30) قال ابن إسحاق: فأذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة.[2]

باب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وذلك أول التاريخ الإسلامى كما اتفق عليه الصحابة فى الدولة العمرية كما بيناه فى سيرة عمر رضى الله عنه وعنهم أجمعين. قال البخارى: حدثنا مطر بن الفضل، ثنا روح، ثنا هشام، ثنا عكرمة عن ابن عباس. قال: «بُعث النبى ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين».[3] وقد كانت هجرته عليه السلام فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك فى يوم الاثنين كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال: «ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ونبئ يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفى يوم الاثنين».[4]

---

(1) «السيرة» (1/ 371) وهو مرسل إسناده ضعيف لكن لبعضه شواهد كما سيأتى.

(2) «السيرة» (1/ 371).

(3) البخارى (3902).

(4) «المسند» (2506)، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وقد أخرجه الطبرانى (12984)، والبيهقى فى «الدلائل» (7/ 233) من طريق ابن لهيعة، به.

قال محمد بن إسحاق: وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له: «**لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً**». قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعنى نفسه، فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما إعداداً لذلك.(1) قال الواقدى: اشتراهما بثمانمائة درهم.

قال ابن إسحاق: فحدثنى من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار، إما بكرة، وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه رسوله ﷺ فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث! قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره. فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبى بكر أحد إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر، فقال رسول الله ﷺ: «**أخرج عنى مَنْ عندك**». قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاى، وما ذاك فداك أبى وأمى؟ قال: «**إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة**». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «**الصحبة**».

قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى. ثم قال: يا نبى الله إن هاتين راحلتان كنت أعددتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أرقط، قالَ ابن هشام: ويقال عبد الله بن أريقط، رجلاً من بنى الديل بن بكر، وكانت أمه من بنى سهم بن عمرو، وكان مشركاً يدلهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر، أما على، فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس. وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته.

قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبى قحافة فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته.(2) وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق. قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال: «**الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئاً، اللهم أعنى على هول الدنيا، وبوائق الدهر، ومصائب الليالى والأيام، اللهم اصحبنى فى سفرى، واخلفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللنى، وعلى صالح خلقى فقومنى، وإليك رب فحببنى، وإلى الناس فلا تكلنى، رب المستضعفين وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن تحل علىَّ غضبك، وتنزل بى سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك، وتحول عافيتك وجميع سخطك، لك العتبى عندى خير ما استطعت، لا حول ولا قوة إلا بك**».(3)

(1) «السيرة» (1/ 372) وهو معلق.

(2) هو فى «السيرة» (1/ 373-374) وهو مرسل وفيه انقطاع.

(3) ذكره بلاغاً وأخرجه عبد الرزاق (9234) عن طاووس وفيه إعضال.

قال ابن إسحاق: ثم عمدا إلى غار بثور -جبل بأسفل مكة- فدخلاه، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر. وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار. فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فهيرة يرعى فى رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا. فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه.[1] وسيأتى فى سياق البخارى ما يشهد لهذا وقد حكى ابن جرير عن بعضهم: أن رسول الله ﷺ سبق الصديق فى الذهاب إلى غار ثور، وأمر علياً أن يدله على مسيره ليلحقه، فلحقه فى أثناء الطريق، وهذا غريب جداً[2] وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً.

قال ابن إسحاق: وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما. قالت أسماء: ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ابن هشام فوقفوا على باب أبى بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبى بكر؟ قالت: قلت: لا أدرى والله أين أبى. قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا.[3] قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء. قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم فانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره. فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت: قلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة فى البيت كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه. فقال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك.[4]

وقال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن البصرى. قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية، يقى رسول الله ﷺ بنفسه[5]، وهذا فيه انقطاع من طرفيه. وقد قال أبو القاسم البغوى:

---

(1) «السيرة» (1/ 374) بلاغًا.

(2) «تاريخ الطبرى» (2/ 374).

(3) «السيرة» (1/ 375).

(4) إسناده حسن : وهو فى «السيرة» (1/ 377)، وأخرجه أحمد (6/ 350)، والطبرانى فى «الكبير» (24/ ق 23)، والحاكم (3/ 5-6)، وأبو نعيم فى «الحلية» (2/ 55-56) من طرق عن ابن إسحاق، به. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى، ولكن هو حسن فقط.

(5) «السيرة» (1/ 374)، وهو من زيادات ابن هشام على السيرة كما قال الحافظ (7/ 279) «فتح».

حدثنا داود بن عمرو الضبى، ثنا نافع بن عمر الجمحى، عن ابن أبى مليكة: أن النبى ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور، فجعل أبو بكر يكون أمام النبى ﷺ مرة، وخلفه مرة. فسأله النبى ﷺ عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك. حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدى فأحسه وأقصه فإن كانت فيه دابة أصابتنى قبلك. قال نافع: فبلغنى أنه كان فى الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شىء يؤذى رسول الله ﷺ، وهذا مرسل[1] وقد ذكرنا له شواهد أخر فى سيرة الصديق رضى الله عنه.

وقال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، أنا موسى بن الحسن بن عباد، ثنا عفان بن مسلم، ثنا السرى بن يحيى، ثنا محمد بن سيرين. قال: ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبى بكر. فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر، وليوم من أبى بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: **«يا أبا بكر ما لك تمشى ساعة بين يدى وساعة خلفى؟»**. فقال: يا رسول الله أذكر الطلب، فأمشى خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشى بين يديك. فقال: **«يا أبا بكر لو كان شىء لأحببت أن يكون بك دونى ؟»**. قال: نعم، والذى بعثك بالحق.

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان فى أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة. فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ. فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذى نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر.[2] وقد رواه البيهقى من وجه آخر عن عمر وفيه: أن أبا بكر جعل يمشى بين يدى رسول الله ﷺ تارة، وخلفه أخرى، وعن يمينه وعن شماله. وفيه: أنه لما حفيت رجلا رسول الله حمله الصديق على كاهله، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الجحرة كلها. وبقى منها جحر واحد، فألقمه كعبه فجعلت الأفاعى تنهشه ودموعه تسيل. فقال له رسول الله ﷺ: **«لا تحزن إن الله معنا»**[3]. وفى هذا السياق غرابة ونكارة. ثم قال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد ابن أبى عمرو. قالا: ثنا أبو العباس الأصم، ثنا عباس الدورى، ثنا أسود بن عامر شاذان، ثنا إسرائيل، عن الأسود، عن جندب بن عبد الله. قال: كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ فى الغار، فأصاب يده حجر فقال:

إنْ أَنْتِ إلا أُصْـبُعٌ دَمِـيتِ ❊ وفي سَبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ[4]

---

(1) أخرجه ابن عساكر فى «تاريخه» (30/ 81) من طريق أبى القاسم البغوى، وهو مرسل.

(2) «الدلائل» (2/ 476)، وأخرجه الحاكم (3/ 6)، وقال صحيح الإسناد على شرطهما، لولا إرسال فيه. ووافقه الذهبى، وهو كما قالا.

(3) «الدلائل» (2/ 476-477) وهو منكر، لأجل فرات السائب الذى فى إسناده وهو منكر الحديث.

(4) «الدلائل» (2/ 480) وإسناده يُحسن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ (الأنفال:30). قال: تشاورت قريش ليلة بمكة. فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ. وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ. فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً ردّ الله مكرهم. فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدري. فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت. فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال. وهذا إسناد حسن وهو من أجود ما روى في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ.(1)

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر: حدثنا بشار الخفاف، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا أبو عمران الجوني، حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري. قال: انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار. وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد، وكان النبي ﷺ قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب. فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أبكي ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ: **«يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا»**.(2) وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد، وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار. وقد كان عليه السلام إذا حزبه أمر صلى.(3) وروى هذا الرجل -أعني أبا بكر أحمد بن علي القاضي- عن عمرو الناقد، عن خلف ابن تميم، عن موسى بن مطير، عن أبيه، عن أبي هريرة أن أبا بكر. قال لابنه: يا بني إذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه فإنه سيأتيك رزقك فيه بكرةً وعشياً.(4) وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول:

نسجُ داودَ ما حمَى صاحب الغا * رِ وكان الفخارُ للعنكبوتِ

وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضاً.

وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول:

فغمّى عليه العنكبوتُ بنَسْجِه * وظلّ على الباب الحَمامُ يَبيضُ

---

(1) أخرجه أحمد (3251)، وعبد الرزاق (9743)، والطبراني (12155)، والخطيب في «تاريخه» (13/ 191)، من طريق معمر، به.

وعثمان الجزري منكر الحديث، ومع هذا حسن المؤلف إسناده، والحافظ في «الفتح» (7/ 278) وليس كذلك.

(2) أخرجه في «مسند أبي بكر» (73) وهو مرسل إسناده حسن.

(3) أخرجه أبو داود (1319) وحسنه الألباني.

(4) مسند أبي بكر (56) وهو موضوع، موسى بن مطير كذاب.

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا عمرو بن على، ثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسى- ويلقب عويناً-، حدثنى أبو مصعب المكى، قال: أدركت زيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة، وأنس بن مالك، يذكرون أن النبى ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فخرجت فى وجه النبى ﷺ تستره، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله ﷺ وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة، وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قدر مائتى ذراع قال الدليل: وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى هذا الحجر ثم لا أدرى أين وضع رجله. فقال الفتيان: أنت لم تخطئ منذ الليلة. حتى إذا أصبحنا قال: انظروا فى الغار، فاستقدم القوم حتى إذا كانوا من النبى ﷺ قدر خمسين ذراعاً، فإذا الحمامتان، فرجع. فقالوا: ما ردك أن تنظر فى الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد. فسمعها النبى ﷺ فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما، فسمّت عليهما أى: برّك عليهما وأحدرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى. وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.(1) وقد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو -وهو الملقب بعوين- بإسناده مثله. وفيه: أن جميع حمام مكة من نسل تينك الحمامتين، وفى هذا الحديث: أن القائف الذى اقتفى لهم الأثر: سراقة بن مالك المدلجى. وقد روى الواقدى عن موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه أن الذى اقتفى لهم الأثر كرز بن علقمة.

قلت: ويحتمل أن يكونا جميعاً، اقتفيا الأثر والله أعلم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:40). يقول تعالى مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول ﷺ: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ﴾ أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبى بكر ليس معه غيره؛ ولهذا قال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: أى وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما. وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا فى طلبهما كل مذهب من سائر الجهات، وجعلوا لمن ردهما أو أحدهما مائة من الإبل، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم. وكان الذى يقتص الأثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم كما تقدم، فصعدوا الجبل الذى هما فيه وجعلوا يمرون على باب الغار، فتحاذى أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما، حفظاً من الله لهما.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا همام أنا ثابت، عن أنس بن مالك، أن أبا بكر حدثه. قال: قلت للنبى ﷺ ونحن فى الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه؟ فقال: «يا

(1) وهو مع غرابته منكر وإسناده ضعيف. وقد رواه ابن سعد (1/ 177) من هذا الطريق.
وأخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» (229) وفيه الضعف والنكارة مثله سواء.

أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».[1] وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث همام به. وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك، قال النبى ﷺ : «**لو جاءونا من ههنا لذهبنا من ههنا**». فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه. وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به، والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الفضل بن سهل، ثنا خلف بن تميم، ثنا موسى بن مطير القرشى، عن أبيه عن أبى هريرة أن أبا بكر قال لابنه: يا بنى إن حدث فى الناس حدث فأت الغار الذى رأيتنى اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية.[2] ثم قال البزار: لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم.

قلت: وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك، كذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه. والله أعلم.
وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن الصديق قال فى دخولهما الغار، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سراقة كما سيأتى شعراً. فمنه قوله:

قال النبيُّ ولم أجزعْ يُوَقِّرُني * **ونحنُ في سُدَفٍ مِن ظُلمةِ الغارِ**
لا تَخْشَ شيئًا فإنَّ اللهَ ثالثُنا * **وقَدْ تَوَكَّلَ لي منهُ بإظْهارِ**

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطولة جداً، وذكر معها قصيدة أخرى[3]، والله أعلم.

وقد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير. قال: فمكث رسول الله ﷺ بعد الحج يعنى: الذى بايع فيه الأنصار بقية ذى الحجة والمحرم وصفراً، ثم إن مشركى قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، أو يحبسوه أو يخرجوه. فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنفال:30). الآية. فأمر علياً فنام على فراشه، وذهب هو وأبو بكر، فلما أصبحوا ذهبوا فى طلبهما فى كل وجه يطلبونهما.[4] وهكذا ذكره موسى بن عقبة فى «مغازيه» وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً.[5] وقد تقدم عن الحسن البصرى -فيما ذكره ابن هشام- التصريح بذلك أيضاً. وقد قال البخارى: حدثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث عن عقيل. قال ابن شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: لم أعقل أبويّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار: بكرة وعشية.

---

(1) «المسند» (1/ 4) وإسناده على شرطهما.
وأخرجه البخارى (3653) (3922) (4663)، ومسلم (2381).
(2) **موضوع** : أخرجه البزار (1178) كشف. وفيه موسى بن مطير كذاب.
(3) «الدلائل» (237).
(4) **مرسل إسناده ضعيف** : وهو فى «الدلائل» للبيهقى (2/ 465) من طريق ابن لهيعة.
(5) «دلائل» البيهقى (2/ 466).

فلما ابتلى المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فذكرت ما كان من ردِّه لأبى بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة، إلى قوله فقال أبو بكر: فإنى أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله.

قالت: والنبى ﷺ يومئذ بمكة فقال النبى ﷺ للمسلمين: «**إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين: وهما الحرتان**». فهاجر من هاجر قبَل المدينة، ورجع بعض من كان هاجر قبَل الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر مهاجراً قبَل المدينة. فقال له رسول الله ﷺ: «**على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى**». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر -وهو الخبط- أربعة أشهر، وذكر بعضهم: أنه علفهما ستة أشهر. قال ابن شهاب، قال عروة، قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة، فقال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً فى ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال النبى ﷺ: «**أخرج من عندك**». فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله. قال: فإنه قد أذن لى فى الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة بأبى أنت وأمى. قال النبى ﷺ: «**نعم**». قال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين. فقال رسول الله ﷺ: «**بالثمن**». قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فلذلك سميت ذات النطاقين.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، لا يسمع أمراً يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان فى رسل -وهو لبن منحتهما ورضيفهما- حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الديل وهو من بنى عبد بن عدى هادياً خريتاً- والخريت الماهر بالهداية- قد غمس حلفاً فى آل العاص بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال. وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب: فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى -وهو ابن أخى سراقة- أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم. يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس. فقال: يا سراقة إنى رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً

وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت فى المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى، وهى من وراء أكمة فتحبسها علىَّ، وأخذت رمحى فخرجت من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم، فعثرت بى فرسى، فخررت عنها فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا. فخرج الذى أكره، فركبت فرسى -وعصيت الأزلام- تقرب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمت الأزلام فخرج الذى أكره. فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ . فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يرزآنى ولم يسألانى إلا أن قال: أخف عنا. فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ .[1]

وقد روى محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذى يكره لا يضره، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات، وكل ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذى يكره لا يضره، حتى ناداهم بالأمان. وسأل أن يكتب له كتاباً يكون أمارة ما بينه وبين رسول الله ﷺ ، قال: فكتب لى كتاباً فى عظم أو رقعة أو خرقة وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف، فقال له: «**يوم وفاء وبر، ادنه**»، فدنوت منه وأسلمت.[2] قال ابن هشام: هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم[3] وهذا الذى قاله جيد.

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحداً من الطلب إلا ردَّه وقال: كفيتم هذا الوجه، فلما ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة، جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبى ﷺ وما كان من قضية جواده، واشتهر هذا عنه. فخاف رؤساء قريش معرته، وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم، وكان سراقة أمير بنى مدلج ورئيسهم، فكتب أبو جهل لعنه الله إليهم:

بني مدلج إني أخاف سفيهكم * سراقة مستغوٍ لنصر محمد

عليكم به ألا يفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

---

(1) أخرجه البخارى (3905)، وهو فيه بهذه الأرقام (476) (2138) (2497) (4093) (5807) (6079)، وأخرجه أحمد (6/ 212)، وعبد الرزاق (9743)، وأبو داود (4083)، وابن خزيمة (265) (2518)، وابن حبان (6277) (6279) من طرق عن عائشة.

(2) «السيرة» (1/ 379) ورواه موسى بن عقبة كما قال الذهبى فى «تاريخه» (1/ 146-147)، والحافظ فى «الفتح» (7/ 191)، ورواه الطبرانى فى «الكبير» (6602)، وهو فى «الدلائل» للبيهقى (2/ 487) بسند صحيح. ورواه الطبرانى (6603) من طريق صالح بن كيسان عن ابن شهاب، به.

(3) «السيرة» (1/ 379).

قال: فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل في قوله هذا:

أبا حكم والله لو كنت شـاهداً * لأمـر جـوادي إذ تسـوخ قـوائمـه
عـجبت ولم تشكك بأن محـمـداً * رسـول وبرهان فـمـن ذا يقـاومـه
عليك بكف القـوم عنه فـإنني * إخال لنا يوماً ستبدو معـالمـه
بأمـر تود النصـر فـيـه فـإنهـم * وإن جـمـيـع الناس طرّاً مسـالمـه

وذكر هذا الشعر: الأموى فى مغازيه بسنده عن ابن إسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق، وزاد فى شعر أبى جهل -لعنه الله- أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً. (1)

وقال البخارى بسنده إلى ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسى الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم. فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه. فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ، ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين. وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: **«هذا إن شاء الله المنزل»**. ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً. فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبن فى بنيانه، ويقول وهو ينقل اللَّبن:

«هذا الحِمـالُ لا حِمـالَ خَـيْبَـرْ * هَـذا أبَـر ربنـا وأطْـهَـرْ»

ويقول:

«اللَّهُمَّ إنَّ الأجْـرَ أجْـرُ الآخِـرَهْ * فَـارْحَم الأنصـارَ والمُهَـاجِـرَهْ»

(1) «الدلائل» (237).

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسَمّ لى. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات[1]. هذا لفظ البخارى وقد تفرد بروايته دون مسلم، وله شواهد من وجوه أخر، وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية، ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أولاً فأولاً.

قال الإمام أحمد: حدثنا عمرو بن محمد، أبو سعيد العنقزى، ثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب. قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى منزلى. فقال: لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فأحثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت بصرى هل أرى ظلاً نأوى إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة وقلت: اضطجع يا رسول الله فاضطجع. ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعى غنم، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال لرجل من قريش فسماه فعرفته فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم ! قلت: هل أنت حالب لى؟ قال: نعم ! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعى إداوة على فمها خرقة فحلب لى كثبة من اللبن فصببت -يعنى الماء- على القدح حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ. فقلت: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت.

ثم قلت: هل آن الرحيل؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له. فقلت يا رسول الله: هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال: «**لا تحزن إن الله معنا**» حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة. قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت. قال: «**لم تبكى؟**» قلت: أما والله ما على نفسى أبكى، ولكن أبكى عليك. فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم اكفناه بما شئت**» فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادعُ الله أن ينجينى مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائى من الطلب، وهذه كنانتى فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلى وغنمى بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك قال: فقال رسول الله ﷺ : «**لا حاجة لى فيها**». قال: ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا فى الطرق وعلى الأجاجير واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد. قال: وتنازع القوم أيهم ينزل عليه. قال: فقال رسول الله ﷺ : «**أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك**» فلما أصبح، غدا حيث أمر.

قال البراء: «أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بنى فهر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً. فقلنا: ما فعل

(1) البخارى (3906).

رسول الله؟ قال: هو على أثرى، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه. قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل»[1]. أخرجاه فى الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا إلخ. فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به.

وقال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ فى الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم. فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاماً فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام، فحلت نطاقها فجعلته عصاماً، ثم علقتها به، فكان يقال لها ذات النطاق لذلك.[2]

قال ابن إسحاق: فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال: اركب فداك أبى وأمى. فقال رسول الله ﷺ: «**إنى لا اركب بعيراً ليس لى**». قال: فهى لك يا رسول الله بأبى أنت وأمى. قال: «**لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به**». قال: كذا وكذا. قال: «**أخذتها بذلك**». قال: هى لك يا رسول الله.[3]

وروى الواقدى بأسانيده أنه عليه السلام أخذ: القصواء، قال: وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم.[4] وروى ابن عساكر من طريق أبى أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: وهى الجدعاء.[5] وهكذا حكى السهيلى عن ابن إسحاق أنها: الجدعاء[6] والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فركبا وانطلقا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه، ليخدمهما فى الطريق فحدثت عن أسماء أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم: أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم. قالت: فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحا * فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

---

(1) إسناده صحيح على شرط مسلم، وهو فى «المسند» (3)، وأخرجه ابن أبى شيبة (14/ 327)، والبخارى (3615) (3652)، ومسلم (4/ 2310)، والمروزى (62) (65)، والبزار (51)، وأبو يعلى (116)، وابن حبان (6281) (6870) من طرق عن إسرائيل، به.

وأخرجه البخارى (3615)، ومسلم (4/ 2309) من طريق زهير بن معاوية عن أبى إسحاق مختصرًا.

(2) جزء من حديث عائشة السابق – السيرة (1/ 374).

(3) جزء من حديث عائشة السابق.

(4) رواه ابن سعد (1/ 227–228).

(5) هو فى البخارى (4093) من طريق أبى أسامة.

(6) «الروض» (4/ 205).

قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة.[1]

قال ابن إسحاق: وكانوا أربعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبد الله ابن أرقد، كذا يقول ابن إسحاق، والمشهور عبد الله بن أريقط الدئلي وكان إذ ذاك مشركاً.

قال ابن إسحاق: ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار، ثم أجاز بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لقفاً، ثم أجاز بهما مدلجة لقف. ثم استبطن بهما مدلجة مجاج، ثم سلك بهما مرجح مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين، ثم بطن ذي كشر، ثم أخذ بهما على الجداجد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم، من بطن أعداء مدلجة تعهن، ثم على العبابيد، ثم أجاز بهما القاحة. ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له: أوس بن حجر على جمل يقال له: ابن الرِّداء إلى المدينة وبعث معه غلاماً له يقال له: مسعود بن هنيدة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة -ويقال: ثنية الغائر فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما بطن ريم. ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل.[2]

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحواً من ذكر هذه المنازل، وخالفه في بعضها.[3] والله أعلم.
قال أبو نعيم: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، هو السراج، حدثنا محمد بن عباد بن موسى العجلي، حدثني أخي موسى بن عباد، حدثني عبد الله بن سيار، حدثني إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه. قال: لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مروا بإبل لنا بالجحفة. فقال رسول الله ﷺ: **«لمن هذه الإبل؟»**. فقال: لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر. فقال: **«سلمت إن شاء الله، فقال: ما اسمك؟»**. قال: مسعود، فالتفت إلى أبي بكر. فقال: **«سعدت إن شاء الله»**. قال: فأتاه أبي فحمله على جمل يقال له: ابن الرداء.[4]

قلت: وقد تقدم عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين».[5] والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً،

(1) «السيرة» (1/ 376)، ورواه الحاكم (3/ 9، 10)، وصححه ووافقه الذهبي، وفيما قالاه نظر.
(2) «السيرة» (1/ 380)، وهذا هو التاريخ موافق لما في «الصحيح» وقال الحافظ في «الفتح» (7/ 194)، وهذا هو المعتمد، وشذ من قال يوم الجمعة، وهذا الحديث وإن كان معلقًا لكن وصله الحاكم (3/ 8) وقال صحيح على شروط مسلم.
(3) رواه ابن سعد (2/ 232) من طريق الواقدي.
(4) أخرجه ابن قانع في «معجم الصحابة» (3/ 49)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (6081) من هذا الطريق. وفيه «جمل يقال له ابن الراوي» وإسناده ضعيف.
(5) سبق تخريجه.

لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام، ثم سلك طريق الساحل وهى أبعد من الطريق الجادة واجتاز فى مروره على أم معبد بنت كعب من بنى كعب بن خزاعة قاله ابن هشام. وقال يونس عن ابن إسحاق: اسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم.[1] وقال الأموى: هى عاتكة بنت تبيع حليف بنى منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبى معبد، واسمه أكثم بن عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.

وهذه قصة أم معبد الخزاعية: قال يونس عن ابن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم فأرادوا القرى. فقالت: والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله، وحلب فى العس حتى أرغى وقال: «**اشربى يا أم معبد**». فقالت: اشرب فأنت أحق به، فرده عليها فشربت، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك بها فشربه، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً، ثم تروح. وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه. فقالوا: أرأيت محمداً من حليته كذا كذا؟ فوصفوه لها. فقالت: ما أدرى ما تقولون، قد ضافنى حالب الحائل. قالت قريش: فذاك الذى نريد.[2]

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، ثنا أبى عن أبيه عن جابر. قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار، إذا فى الغار جحر فألقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شيء. فأقاما فى الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد فأرسلت إليه أم معبد إنى أرى وجوهاً حساناً، وإن الحى أقوى على كرامتكم منى، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة، فقال رسول الله ﷺ : «**اردد الشفرة وهات لى فرقاً**» يعنى: القدح. فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد. قال: «**هات لى فرقاً**» فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فحلب فملأ القدح فشرب وسقى أبا بكر، ثم حلب فبعث به إلى أم معبد. ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد. وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدث عنه إلا يعقوب بن محمد وإن كان معروفاً فى النسب.[3]

وروى الحافظ البيهقى من حديث يحيى بن زكريا بن أبى زائدة، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى، ثنا عبد الرحمن بن الأصبهانى، سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى يحدث عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه. قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فانتهينا إلى حى من أحياء العرب، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت متنحياً فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت: يا عبد الله! إنما

(1) «الدلائل» للبيهقى (2/ 493).

(2) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 493) معلقاً.

(3) هو فى كشف الأستار (1742) وإسناده فيه مجهولان.

أنا امرأة وليس معى أحد، فعليكما بعظيم الحى إن أردتم القرى، قال: فلم يجبها وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز يسوقها، فقالت: يا بنى انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمي: اذبحا هذه وكلا وأطعمانا. فلما جاء قال له النبى ﷺ: «**انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح**». قال: إنها قد عزبت وليس بها لبن.

قال: «**انطلق**». فجاء بقدح فمسح النبى ﷺ ضرعها، ثم حلب حتى ملأ القدح. ثم قال: «**انطلق به إلى أمك**». فشربت حتى رويت، ثم جاء به فقال: «**انطلق بهذه وجئنى بأخرى**». ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب النبى ﷺ، فبتنا ليلتنا، ثم انطلقنا، فكانت تسميه المبارك. وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة، فمر أبو بكر فرآه ابنها فعرفه، فقال: يا أمه هذا الرجل الذى كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبد الله مَنْ الرجل الذى كان معك؟ قال: أو ما تدرين من هو؟ قالت: لا. قال: هو نبى الله. قالت: فأدخلنى عليه. قال: فأدخلها فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاها. زاد ابن عبدان فى روايته قالت: فدلنى عليه. فانطلقت معى وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط ومتاع الأعراب. قال: فكساها وأعطاها. قال: ولا أعلمه إلا قال: وأسلمت، إسناد حسن.(1)

وقال البيهقى: هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد، والظاهر أنها هى والله أعلم. وقال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى. قالا ثنا أبو العباس الأصم، ثنا الحسن بن مكرم، حدثنى أبو أحمد بشر بن محمد السكرى، ثنا عبد الملك بن وهب المذحجى، ثنا الحر بن الصياح عن أبى معبد الخزاعى أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى، فمروا بخيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك. وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوذكم القرى، وإذا القوم مرملون مسنتون. فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة فى كسر خيمتها، فقال: «**ما هذه الشاةَ يا أم معبد ؟**». فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: «**فهل بهاَ من لبن**». قالت: هى أجهد من ذلك. قال: «**تأذنين لى أن أحلبها؟**». قالت: إن كان بها حلب فاحلبها. فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله، ومسح ضرعها وذكر اسم الله، ودعا بإناء لها يربض الرهط فتفاجت واجترت فحلب فيه ثجاً حتى علاه البهاء فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل، حتى إذا رووا شرب آخرهم وقال: «**ساقى القوم آخرهم**». ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا.

قال: فقل ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزلى لا نقَى بهن، مخهن قليل فلما رأى اللبن عجب وقال: من أين هذا اللبن يا أم معبد، ولا حلوبة فى البيتَ والشاء عازب؟ فقالت: لا والله إنه مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. فقال: صفيه لى فوالله

(1) «الدلائل» (2/ 491) وكيف يكون حسنًا، وابن أبى ليلى سيئ الحفظ ولم يدرك أبو بكر ولا حتى عمر ولا عثمان.

إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب. فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة قسيم وسيم، فى عينيه دعج، وفى أشفاره وطف، وفى صوته صحل. أحور أكحل أزج أقرن فى عنقه سطع وفى لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب. ربعة لا تشنئوه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قداً له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند، فقال -يعنى: بعلها-: هذا والله صاحب قريش الذى تطلب، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، قال: وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه، ولا يرون من يقول، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به * فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهناً لديها لحالب * يدر لها في مصدر ثم مورد

قال: وأصبح الناس -يعنى: بمكة- وقد فقدوا نبيهم، فأخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ قال: وأجابه حسان بن ثابت:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمى وهداة يهتدون بمهتد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهنَ أبا بكر سعادة جدِّه * بصحبته من يسعد الله يسعد
ويهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمسلمين بمرصد

قال: -يعنى: عبد الملك بن وهب- فبلغنى أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبى ﷺ. وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجى فذكر مثله سواء وزاد فى آخره قال عبد الملك: بلغنى أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ.[1] ثم رواه أبو نعيم من

(1) أخرجه ابن عساكر (3/ 319-322)، والحاكم (3/ 9-11)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (238)، وفى «معرفة الصحابة» (7043) (7044)، وهو حديث منكر، بشر بن محمد السكرى. قال الأزدى: منكر الحديث.

طرق، عن مكرم بن محرز الكعبي الخزاعي، عن أبيه محرز بن مهدي، عن حزام بن هشام بن حبيش بن خالد، عن أبيه، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمة أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء القبة وذكر مثل ما تقدم سواء.

قال: وحدثناه فيما أظن محمد بن أحمد بن علي بن مخلد، ثنا محمد بن يونس بن موسى يعني: الكديمي ثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب، ثنا محمد بن سليمان بن سليط الأنصاري، حدثني أبي، عن أبيه سليط البدري. قال: لما خرج رسول الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق، مر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها: «**يا أم معبد هل عندك من لبن ؟**» **قالت: لا والله إن الغنم لعازبة. قال:** «**فما هذه الشاة؟**» قالت: خلّفها الجهد عن الغنم. ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم.[1]

ثم قال البيهقي: يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية[2]، فقال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن غالب، ثنا أبو الوليد، ثنا عبيد الله بن إياد بن لقيط، ثنا إياد بن لقيط، عن قيس بن النعمان، قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين، مروا بعبد يرعى غنماً فاستسقياه اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء، وقد أخدجت وما بقي لها لبن، فقال: «**ادع بها**» فدعا بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب. فقال الراعي: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: «**أو تراك تكتم عليَّ حتى أخبرك؟**» قال: نعم! قال: «**فإني محمد رسول الله**». فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ قال: «**إنهم ليقولون ذلك؟**». قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك. قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا**»[3]. ورواه أبو يعلى الموصلي، عن جعفر بن حميد الكوفي، عن عبيد الله بن إياد بن لقيط به.

وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال: حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود. قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة، فأتى رسول الله ﷺ وأبو بكر وقد فرّا من المشركين فقال: «**يا غلام عندك لبن تسقينا؟**» فقلت: إني مؤتمن ولست بساقيكما. فقالا: «**هل**

---

(1) «الدلائل» (238)، ومعرفة الصحابة (7044)، من هذا الطريق وإسناده ضعيف، فيه مجهولان.
(2) «الدلائل» (2/ 492).
(3) «الدلائل» (2/ 497)، وأخرجه أبو يعلى كما في «المطالب» (4239)، و«الإتحاف» (6461) من طريق جعفر بن حميد الكوفي ثنا عبيد الله بن إياد، به.
وقال البوصيري: إسناده صحيح.

عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد؟» قلت: نعم ! فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر، وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع، وجاء أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها. ثم شرب هو وأبو بكر وسقيانى، ثم قال للضرع: **«اقلص فقلص»**. فلما كان بعدُ أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمنى من هذا القول الطيب -يعنى: القرآن- فقال رسول الله ﷺ : **«إنك غلام معلم»** فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد.[1] فقوله فى هذا السياق: وقد فرًّا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة، إنما ذلك فى بعض الأحوال قبل الهجرة. فإن ابن مسعود ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم، وقصته هذه صحيحة ثابتة فى الصحاح وغيرها.[2] والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله هو الزبيرى، حدثنى أبى، عن فائد مولى عبادل قال: خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد وسعد هو الذى دل رسول الله ﷺ على طريق ركوبة فقال إبراهيم: أخبرنى ما حدَّثك أبوك؟ قال ابن سعد: حدثنى أبى أن رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر وكانت لأبى بكر عندنا بنت مسترضعة وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار فى الطريق إلى المدينة، فقال له سعد: هذا الغائر من ركوبة وبه لصان من أسلم يقال لهما: المهانان. فإن شئت أخذنا عليهما، فقال النبى ﷺ : **«خذ بنا عليهما»** قال سعد: فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه هذا اليمانى. فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان. فقال: **«بل أنتما المكرمان»** وأمرهما أن يقدما عليه المدينة فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله ﷺ : **«أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟»** فقال سعد بن خيثمة: إنه أصاب قبلى يا رسول الله أفلا أخبره ذلك؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء، فالتفتَ رسول الله إلى أبى بكر فقال: **«يا أبا بكر هذا المنزل رأيتنى أنزل إلى حياض كحياض بنى مدلج»**[3] انفرد به أحمد.

فصل في دخوله عليه السلام المدينة وأين استقر منزله بها وما يتعلق بذلك

قد تقدم فيما رواه البخارى، عن الزهرى، عن عروة: أن النبى ﷺ دخل المدينة عند الظهيرة.[4]

قلت: ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت فى الصحيحين من حديث إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن البراء بن عازب، عن أبى بكر فى حديث الهجرة قال: فقدمنا ليلاً فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ : **«أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك»**[5]. وهذا والله

(1) «الدلائل» (233) وإسناده حسن. وقد تقدم تخريجه.

(2) انظر: صحيح البخارى (2439) (3615) (3917)، ومسلم (75/ 2009) وغيرهما.

(3) هو فى «المسند» (4/ 74) وإسناده ضعيف عبد الله بن مصعب ضعفه ابن معين.

(4) سبق تخريجه.

(5) البخارى (2439)، ومسلم (2009) وقد سبق.

أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان فى حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلاً، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً، فإن العشى من الزوال، وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء -كما سيأتى- فسار فما انتهى إلى بنى النجار إلا عشاء كما سيأتى بيانه والله أعلم.

وذكر البخارى، عن الزهرى، عن عروة: أنه نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء وأقام فيهم بضع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء فى تلك الأيام، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته فى مكان مسجده، وكان مربداً لغلامين يتيمين وهما: سهل وسهيل، فابتاعه منهما واتخذه مسجداً. وذلك فى دار بنى النجار رضى الله عنهم.[1]

وقال محمد بن إسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن ابن عويم بن ساعدة قال: حدثنى رجال من قومى من أصحاب النبى ﷺ قالوا: لما بلغنا مخرج النبى ﷺ من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبى ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا وذلك فى أيام حارة حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته: يا بنى قيلة ! هذا جدكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو فى ظل نخلة، ومعه أبو بكر فى مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وركبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك.[2] وقد تقدم مثل ذلك فى سياق البخارى[3] وكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه.[4]

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، ثنا سليمان، عن ثابت، عن أنس بن مالك. قال: إنى لأسعى فى الغلمان يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئًا، ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر. فكمنا فى بعض حرار المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية ليؤذن بهما الأنصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به يومئذ قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض. فلم أر يومين مشبهاً بهما.[5]

ورواه البيهقى، عن الحاكم، عن الأصم، عن محمد بن إسحاق الصغانى، عن أبى النضر هاشم

---

(1) البخارى (3906) وقد سبق مطولاً.

(2) «السيرة» (1/ 381) وهو مرسل صحيح، وقد خرجته مطولاً فى «السيرة».

(3) تقدم تخريجه.

(4) «الدلائل» (2/ 498-499).

(5) «المسند» (3/ 222)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه عبد بن حميد (1269) من طريق هاشم، به.

ابن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس بنحوه أو مثله.[1] وفي الصحيحين من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، عن أبي بكر في حديث الهجرة. قال: وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله. فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر.[2] وقال البيهقي: أخبرنا أبو عمرو الأديب، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي: سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ علينا * من ثنيات الوداعْ
وجَب الشكرُ علينا * ما دَعا لله داعْ[3]

قال محمد بن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ فيما يذكرون يعني: حين نزل بقباء على كلثوم ابن الهدم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد، ويقال: بل نزل على سعد بن خيثمة. ويقول: من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم: إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له، وكان يقال لبيته: بيت العزاب.[4] والله أعلم. ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح وقيل: على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده، ثم لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهدم. فكان عليّ ابن أبي طالب -وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين-. يقول: كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه، فاستربت بشأنه فقلت لها: يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت: هذا سهل بن حنيف، وقد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال: احتطبي بهذا، فكان علي رضي الله عنه يأثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق.[5]

---

(1) «الدلائل» (2/ 507).

(2) تقدم تخريجه.

(3) «الدلائل» (2/ 506-507) وإسناده معضل، ولا يصح.

(4) «السيرة» (1/ 382)، وقال الحافظ (7/ 194) وكان نزوله على كلثوم بن الهدم وقيل: كان يومئذ مشركًا وجزم به محمد بن الحسن بن زبالة في «أخبار مكة».
قلت: ذكر هو في «الإصابة» (5/ 311) ومن قبله ابن الأثير «الأسد» (4/ 184-185) ونقل عن أبي نعيم في «معرفة الصحابة» وروى بسنده أن النبي ﷺ نزل عليه وكان قد أسلم قبل وصول النبي إلى المدينة. وراجع السيرة.

(5) «السيرة» (1/ 383) وهو مرسل إسناده ضعيف.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك.[1] وقال عبد الله بن إدريس: عن محمد بن إسحاق قال: وبنو عمرو بن عوف يزعمون: أنه عليه السلام أقام فيهم ثماني عشرة ليلة.

قلت: وقد تقدم فيما رواه البخاري من طريق الزهري، عن عروة: أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة.[2] وحكى موسى بن عقبة، عن مجمع بن يزيد بن جارية أنه قال: أقام رسول الله ﷺ فينا -يعني: في بني عمرو بن عوف- بقباء اثنتين وعشرين ليلة.[3] وقال الواقدي: ويقال: أقام فيهم أربع عشرة ليلة.[4]

قال ابن إسحاق: فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي -وادي رانوناء- فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة. فأتاه عتبان بن مالك وعباس ابن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة.

قال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**» لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا: يا رسول الله: هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**» فخلوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**». فخلوا سبيلها.

فانطلقت حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**». فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي ابن النجار -وهم أخواله دنيا أم عبد المطلب، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم-، اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدي بن النجار فقالوا: يا رسول الله، هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة قال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**». فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم، وكان يومئذ مربداً لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار وهما: سهل وسهيل ابنا عمرو، وكانا في حجر معاذ بن عفراء.[5]

---

(1) «السيرة» (1/ 383).

(2) تقدم تخريجه.

(3) «الدلائل» (2/ 501).

(4) «الطبقات» (1/ 236).

(5) «السيرة» (1/ 384-385) وهو مرسل. وأخرجه البخاري (3906) عقب حديث سراقة برواية ابن شهاب عن عروة، وقد رواه البخاري (3911) (3932)، ومسلم (524)، وأبو داود (453) (454)، وابن ماجه (742)، وأحمد (3/ 211-212) من حديث أنس.

قلت: وقد تقدم فى رواية البخارى من طريق الزهرى عن عروة: أنهما كانا فى حجر أسعد بن زرارة فالله أعلم.

وذكر موسى بن عقبة: أن رسول الله ﷺ مرَّ فى طريقه بعبد الله بن أُبىّ بن سلول وهو فى بيت. فوقف رسول الله ﷺ ينتظر أن يدعوه إلى المنزل وهو يومئذ سيد الخزرج فى أنفسهم فقال عبد الله: انظر الذين دعوك فانزل عليهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لنفر من الأنصار. فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه: لقد منَّ الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا.(1)

قال موسى بن عقبة: وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله ﷺ من بنى عمرو ابن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحاً على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيماً له، وكلما مرَّ بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ : **«دعوها فإنها مأمورة، فإنما أنزل حيث أنزلنى الله»**. فلما انتهت به إلى باب أبى أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبى أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه.(2)

وقال ابن إسحاق: لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله ﷺ . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى ونزل رسول الله ﷺ فى دار أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار.(3)

وستأتى قصة بناء المسجد قريباً إن شاء الله. وقال البيهقى فى الدلائل: وقال أبو عبد الله: أخبرنا أبو الحسن على بن عمر الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدورى، ثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبى الورد، ثنا إبراهيم بن صرمة، ثنا يحيى بن سعيد، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس. قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا: إلينا يا رسول الله. فقال: **«دعوا الناقة فإنها مأمورة»**. فبركت على باب أبى أيوب فخرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف، وهن يقلن:

نحن جَـوارٍ من بني النَّجَّـارِ * يا حَـبَّـذا مـحـمـدٌ من جـارِ

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: **«اتحبونى؟»** فقالوا: إى والله يا رسول الله. فقال: **«وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم»**(4). هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من

(1) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 499)، وإسناده ضعيف.

(2) أخرجه فى «الدلائل» (2/ 501) وإسناده ضعيف.

(3) «السيرة» (1/ 384) وقد سبق.

(4) «الدلائل» (2/ 508) وإسناده ضعيف.

أصحاب السنن، وقد خرجه الحاكم في مستدركه كما ترى. ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد، ثنا عمر بن الحسن الحلبي، حدثنا أبو خيثمة المصيصي، ثنا عيسى بن يونس، عن عوف الأعرابي، عن ثمامة، عن أنس قال: مرَّ النبي ﷺ بحي من بني النجار، وإذا جوار يضربن بالدفوف يقلن:

نحن جَــــوارٍ مِن بني النَّجَــــارِ * يا حَــبَّــذا مـحـمـدٌ مِن جــارِ

فقال رسول الله ﷺ : «**يعلم الله أن قلبي يحبكن**». ورواه ابن ماجه، عن هشام بن عمار، عن عيسى بن يونس به.[1] وفي صحيح البخاري عن أبي معمر، عن عبد الوارث، عن عبد العزيز، عن أنس قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين -حسبت أنه قال من عرس- فقام النبي ﷺ ممثلاً فقال: «**اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ**» قالها ثلاث مرار.[2] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثني عبد العزيز بن صهيب، ثنا أنس بن مالك قال: أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله ﷺ شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنه إنما يهديه الطريق، وإنما يعني: سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم اصرعه**». فصرعته فرسه ثم قامت تحمحم، ثم قال: يا نبي الله مرني بما شئت. قال: «**قف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا**».

قال: فكان أول النهار جاهداً على رسول الله ﷺ ، وكان آخر النهار مسلحة له. قال: فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا فسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مطمئنين. فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ينظرون إليه ويقولون: جاء نبي الله. قال: فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب، قال: فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم، فعجل أن يضع الذي يخترف فيها فجاء وهي معه، فسمع من نبي الله ﷺ ورجع إلى أهله، وقال: نبي الله: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي قال: فانطلق فهيئ لنا مقيلاً، فذهب فهيأ لهما مقيلاً.

ثم جاء فقال يا رسول الله: قد هيأت لكما مقيلاً قوما على بركة الله فقيلا، فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك نبي الله حقاً، وإنك جئت بحق، ولقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم. فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ : «**يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً**

(1) «الدلائل» (2/ 508)، وأخرجه ابن ماجه (1899)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (1541).
(2) أخرجه البخاري (3785).

وانى جئت بحق اسلموا. فقالوا: ما نعلمه، ثلاثاً. وكذا رواه البخارى منفرداً به[1] عن محمد غير منسوب، عن عبد الصمد به.

وقال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن مرثد بن عبد الله اليزنى، عن أبى رهم السماعى، حدثنى أبو أيوب. قال: لما نزل علىَّ رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفل، وأنا وأم أيوب فى العلو، فقلت له: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، إنى أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل، فقال: «**يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون فى سفل البيت**». فكان رسول الله ﷺ فى سفله وكنا فوقه فى المسكن. فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شىء فيؤذيه.

قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه فإذا ردَّ علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً فردَّه رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً. قال: فجئته فزعاً فقلت: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟ فقال: «**إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجى فأما أنتم فكلوه**». قال: فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد.[2] وكذلك رواه البيهقى من طريق الليث ابن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الحسن أو أبى الخير مرثد بن عبد الله اليزنى، عن أبى رهم، عن أبى أيوب فذكره. ورواه أبو بكر ابن أبى شيبة، عن يونس بن محمد المؤدب، عن الليث.

وقال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عمرو الحيرى، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أحمد بن سعيد الدارمى، ثنا أبو النعمان، ثنا ثابت بن يزيد، ثنا عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث، عن أفلح مولى أبى أيوب، عن أبى أيوب: أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل فى السفل وأبو أيوب فى العلو فانتبه أبو أيوب ليلته فقال: نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ ! فتنحوا فباتوا فى جانب، ثم قال للنبى ﷺ -يعنى: فى ذلك- فقال: «**السفل أرفق بنا**». فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول رسول الله ﷺ فى العلو، وأبو أيوب فى السفل فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاماً فإذا جىء به سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابع رسول الله ﷺ فصنع له طعاماً فيه ثوم، فلما ردَّ إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه فقال: أحرام؟ فقال النبى ﷺ : «**لا، ولكنى اكرهه**». قال: فإنى أكره ما تكره -أو ما كرهت- قال: وكان النبى ﷺ يؤتى يعنى يأتيه الملك.[3] ورواه مسلم عن أحمد بن سعيد به.

---

(1) أحمد (3/ 211) وإسناده على شرطهما.
وأخرجه البخارى (3911)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 528) من طريق عبد الصمد، به.

(2) «السيرة» (1/ 387-388) وإسناده حسن، وأخرجه أحمد (23517) مطولاً ورواه مختصرًا (23504) (23507)، ومسلم (2053)، وأبو عوانة (8390)، والطبرانى (3984)، من طريق عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبى أيوب عن أبى أيوب.

(3) «الدلائل» (2/ 409) راجع التخريج السابق. وهو فى «صحيح مسلم» (2053) كما سبق.

وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: جيء رسول الله ﷺ ببدر -وفي رواية: بقدر- فيه خضرات من بقول، قال: فسأل فأخبر بما فيها من البقول فلما رآه كره أكلها، قال: «**كل فإني أناجي من لا تناجي**»(1). وقد روى الواقدي: أن أسعد بن زرارة -لما نزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب- أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده.(2) وروى عن زيد بن ثابت أنه قال: أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها، قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن، فقلت: أرسلت بهذه القصعة أمي، فقال: بارك الله فيك ودعا أصحابه فأكلوا، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام يتناوبون، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر.

قال: وبعث رسول الله ﷺ وهو نازل في دار أبي أيوب مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص ابن الربيع، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله ﷺ. (3)

وقال البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا خلف بن عمرو العكبري، ثنا سعيد بن منصور، ثنا عطاف بن خالد، ثنا صديق بن موسى، عن عبد الله بن الزبير: أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنزل. فانبعثت به راحلته فقال: «**دعوها فإنها مأمورة**». ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تخللت الناس، وثَمَّ عريش كانوا يرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب، فقال: يا رسول الله: إن منزلي أقرب المنازل إليك فأنقل رحلك إليّ؟ قال: «**نعم**»، فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه رجل، فقال: يا رسول الله، أين تحل؟ قال: «**إن الرجل مع رحله حيث كان**». وثبت رسول الله ﷺ في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بني المسجد، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه، حيث نزل في داره رسول الله ﷺ. (4)

وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أنه لما قدم أبو أيوب البصرة -وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه- فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله ﷺ في داره، وملكه كل ما أغلق عليه بابها. ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفاً، وأربعين عبداً. وقد صارت دار أبي أيوب

(1) البخاري (855)، ومسلم (564) عن جابر.
(2) «الطبقات» (1/ 237).
(3) «الطبقات» (1/ 237-238) وفيه الواقدي.
(4) «الدلائل» (2/ 509) وإسناده ضعيف.

بعده إلى مولاه أفلح. فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلح ما وَهَى من بنيانها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة.[1] وكذلك نزوله عليه السلام فى دار بنى النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة لهم وقد كان فى المدينة دور كثيرة تبلغ تسعاً كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا فى محلتهم وهى كالقرى المتلاصقة، فاختار الله لرسول الله ﷺ دار بنى مالك بن النجار.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة: سمعت قتادة، عن أنس بن مالك عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفى كل دور الأنصار خير**». فقال سعد بن عبادة: ما أرى النبى ﷺ إلا قد فضل علينا. فقيل: قد فضلكم على كثير. هذا لفظ البخارى.[2] وكذلك رواه البخارى ومسلم من حديث أنس، وأبى سلمة، عن أبى أسيد مالك بن ربيعة، ومن حديث عباس بن سهل، عن أبى حميد عن النبى ﷺ بمثله سواء. زاد فى حديث أبى حميد؛ فقال: أبو أسيد لسعد بن عبادة: ألم تر أن النبى ﷺ خيّر الأنصار فجعلنا آخراً، فأدرك سعد النبى ﷺ فقال: يا رسول الله خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخراً؟ قال: «**أوليس بحسبكم ان تكونوا من الخيار**»[3]. بل قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرف والرفعة فى الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (التوبة:100). وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر:9). وقال رسول الله ﷺ: «**لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبهم، الأنصار شعار والناس دثار**»[4]. وقال: «**الأنصار كرشى وعيبتى**»[5]. وقال: «**انا سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم**».[6]

وقال البخارى: حدثنا حجاج بن منهال، ثنا شعبة، حدثنى عدى بن ثابت قال: سمعت البراء بن عازب يقول: سمعت رسول الله ﷺ أو قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**». وقد أخرجه بقية الجماعة إلا

(1) أخرجه الحاكم (3/ 461)، والطبرانى (3876) وابن عساكر (16/ 55) وإسناده منقطع.

(2) البخارى (3789) (3807)، ومسلم (2511).

(3) انظر البخارى (3791)، ومسلم (1392).

(4) أخرجه البخارى (4330) (7245) من حديث عبد الله بن زيد مطولاً. وجاء من حديث أبى هريرة وأنس.

(5) أخرجه أحمد (3/ 176)، والبخارى (3801)، ومسلم (2510)، والترمذى (3907)، وابن حبان (7265) عن أنس.

(6) أخرجه أحمد (3/ 461-462) من حديث كعب الطويل، وإسناده حسن، وأخرجه ابن حبان (1/ 70)، والطبرانى (19/ 175).

أبا داود من حديث شعبة به.[1] وقال البخارى أيضاً: حدثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا شعبة، عن عبد الله ابن عبد الله بن جبر، عن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**». ورواه البخارى أيضاً، عن أبى الوليد، الطيالسى ومسلم، من حديث خالد بن الحارث، وعبد الرحمن بن مهدى أربعتهم عن شعبة به[2]. والآيات والأحاديث فى فضائل الأنصار كثيرة جداً. وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس -المتقدم ذكره أحد شعراء الأنصار- فى قدوم رسول الله ﷺ إليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولأصحابه رضى الله عنهم أجمعين.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة بن أبى أنس أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه * فلم ير مَنْ يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه * وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وألفى صديقاً واطمأنت به النوى * وكان له عوناً من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه * وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً * قريباً ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من حِلّ مالنا * وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم * جميعاً ولو كان الحبيب المواسيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره * وأن كتاب الله أصبح هاديا
أقول إذا صليت في كل بيعة * حنانيك لا تظهر علينا الأعاديا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخيفة * تباركت اسم الله أنت المواليا
فطأ مُعْرِضاً إن الحتوف كثيرة * وإنك لا تبقي لنفسك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف سعيه * إذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تحفل النخل المعيمة ربها * إذا أصبحت رياً وأصبح ثاويا

ذكرها ابن إسحاق وغيره.[3] ورواها عبد الله بن الزبير الحميدى وغيره، عن سفيان بن عيينة، عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن عجوز من الأنصار قالت: رأيت عبد الله بن عباس يختلف إلى صرمة بن قيس يروى هذه الأبيات رواه البيهقى.[4]

---

(1) البخارى (3783)، ومسلم (75)، والترمذى (3900)، وابن ماجه (163).
(2) أخرجه البخارى (3784)، و(17)، ومسلم (74).
(3) «السيرة» (2/ 122).
(4) «الدلائل» (2/ 513).

فصل

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين، ومعقلاً وحصناً منيعاً للمسلمين ودار هدى للعالمين. والأحاديث فى فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردها فيه إن شاء الله. وقد ثبت فى الصحيحين من طريق خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف، عن جعفر بن عاصم، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[1]. ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع، عن شبابة، عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ نحوه[2]. وفى الصحيحين أيضاً من حديث مالك، عن يحيى بن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهى: المدينة، تنفى الناس كما تنفى الكير خبث الحديد**»[3] وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة.

وقد قال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنى أبو الوليد، وأبو بكر ابن عبد الله، قالا: ثنا الحسن بن سفيان، ثنا أبو موسى الأنصارى، ثنا سعيد بن سعيد، حدثنى أخى، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم إنك أخرجتنى من أحب البلاد إلىَّ فأسكنى أحب البلاد إليك**»[4]. فأسكنه الله المدينة. وهذا حديث غريب جداً، والمشهور عن الجمهور: أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذى ضم جسد رسول الله ﷺ وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ههنا ومحلها فى كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى. وأشهر دليل لهم فى ذلك ما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، ثنا شعيب، عن الزهرى، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن عبد الله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبى ﷺ وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة يقول: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت**».[5]

---

(1) أخرجه البخارى (1876)، ومسلم (147)، وابن ماجه (3111)، وأحمد (2/ 422)، وابن حبان (3728) من طريق خبيب، به.

(2) أخرجه بنحوه مسلم (146)، وأخرجه بلفظه البزار (1182)، وابن حبان (3727) وإسناده ضعيف.

(3) أخرجه البخارى (1871)، ومسلم (1382)، وأخرجه البخارى (7209) (7211) (7322)، ومسلم (1383)، والترمذى (3920)، والنسائى (7/ 151) عن جابر بنحوه.

(4) «الدلائل» (2/ 519)، والحاكم (3/ 3)، وقال الذهبى: هو موضوع. وقد ثبت أن أحب البلاد إلى الله هى مكة، وسعد ليس بثقة. قلت: سعد هو بن سعيد ووقع تصحيف هنا وفى جميع النسخ بأنه سعيد بن سعيد، وهو فى المستدرك والدلائل «سعد» وهو الصواب.

(5) هو فى «المسند» (4/ 305) وإسناده صحيح.
وأخرجه من طريقه ابن عبد البر فى «التمهيد» (2/ 288) وفى «الاستذكار» (26/ 15-16).
وأخرجه الدارمى (2510)، والترمذى (3925)، والنسائى فى «الكبرى» (4252)، وابن ماجه (3108)، وابن حبان (3708)، والحاكم (3/ 7)، وابن عبد البر (2/ 289)، والمزى فى «تهذيبه» (15/ 292) من طرق عن الزهرى، به.
وخالف الجماعة الذين رووه عنه الزهرى، معمر بن راشد فرواه عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة، وقال الترمذى: وحديث الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن حمراء عندى أصح.
وهو قول أبو حاتم فى «العلل» (1/ 280) والحافظ فى «الإصابة» فى ترجمة: عبد الله بن عدى.

وكذا رواه أحمد، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن الزهرى به. وهكذا رواه الترمذى، والنسائى، وابن ماجه من حديث الليث، عن عقيل، عن الزهرى به. وقال الترمذى: حسن صحيح. وقد رواه يونس، عن الزهرى به. ورواه محمد بن عمرو، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن، عن أبى هريرة، وحديث الزهرى عندى أصح.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزهرى، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة قال: وقف رسول الله ﷺ على الحزورة فقال: «**علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت**».[1] وكذا رواه النسائى من حديث معمر به. قال الحافظ البيهقى: وهذا وهم من معمر. وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة[2] وهو أيضاً وهم، والصحيح: رواية الجماعة.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا إبراهيم بن خالد، ثنا رباح، عن معمر، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، عن أبى سلمة، عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال وهو فى سوق الحزورة: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت**»[3]. ورواه الطبرانى، عن أحمد بن خليد الحلبى، عن الحميدى، عن الدراوردى، عن ابن أخى الزهرى، عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم، عن عبد الله بن عدى بن الحمراء به. فهذه طرق هذا الحديث، وأصحها ما تقدم والله أعلم.

ذكر ما وقع في السنة الأولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة

اتفق الصحابة رضى الله عنهم فى سنة ست عشرة -وقيل: سنة سبع عشرة، أو ثمانى عشرة- فى الدولة العمرية على جعل ابتداء التأريخ الإسلامى من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه صك أى: حجة لرجل على آخر، وفيه: إنه يحل عليه فى شعبان. فقال عمر: أى شعبان؟ أشعبان هذه السنة التى نحن فيها أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم فى وضع تأريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك. فقال قائل: أرخوا كتأريخ الفرس فكره ذلك وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد. وقال قائل: أرخوا بتأريخ الروم. وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فيليبس المقدونى فكره ذلك. وقال آخرون: أرخوا بمولد رسول الله ﷺ ، وقال آخرون: بل بمبعثه، وقال آخرون: بل بهجرته. وقال آخرون: بل بوفاته عليه الصلاة والسلام. فمال عمر رضي الله عنه إلى التأريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره واتفقوا معه على ذلك.

---

(1) أخرجه أحمد (4/ 305)، والنسائى فى «الكبرى» (4254).
(2) «الدلائل» (2/ 518).
(3) أخرجه أحمد (4/ 305)، والطبرانى فى «الأوسط» (457)، وأصح الطرق ما ذكرناه.

وقال البخارى فى صحيحه: التاريخ ومتى أرخوا التاريخ. حدثنا عبد الله بن مسلمة، ثنا عبد العزيز، عن أبيه، عن سهل بن سعد قال: ما عدوا من مبعث النبى ﷺ ولا من وفاته، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة.(1) وقال الواقدى: حدثنا ابن أبى الزناد، عن أبيه قال: استشار عمر فى التأريخ فأجمعوا على الهجرة.

وقال أبو داود الطيالسى، عن قرة بن خالد السدوسى، عن محمد بن سيرين قال: قام رجل إلى عمر فقال: أرخوا. فقال: ما أرخوا؟ فقال: شىء تفعله الأعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر: حسن فأرخوا. فقالوا: من أى السنين نبدأ؟ فقالوا: من مبعثه، وقالوا: من وفاته. ثم أجمعوا على الهجرة. ثم قالوا: وأى الشهور نبدأ؟ فقالوا: رمضان. ثم قالوا: المحرم، فهو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم.(2)

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا قتيبة، ثنا نوح بن قيس الطاحى، عن عثمان بن محصن: أن ابن عباس كان يقول فى قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر:1،2): هو المحرم فجر السنة.(3) وروى عن عبيد بن عمير قال: إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى به البيت، ويؤرخ به الناس، ويضرب فيه الورق.(4)

وقال أحمد: حدثنا روح بن عبادة، ثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار قال: إن أول من أرّخ الكتب يعلى بن أمية باليمن، وإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فى ربيع الأول وإن الناس أرخوا لأول السنة.(5)

وروى محمد بن إسحاق، عن الزهرى، وعن محمد بن صالح، عن الشعبى أنهما قالا: أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت، ثم أرخوا من موت كعب ابن لؤى، ثم أرخوا من الفيل، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة،(6) وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيده وطرقه فى السيرة العمرية ولله الحمد.

والمقصود: أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة.

وحكى السهيلى وغيره عن الإمام مالك أنه قال: أول السنة الإسلامية ربيع الأول لأنه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله ﷺ .

---

(1) أخرجه البخارى (3934).
(2) رواه الطبرى فى «تاريخه» (2/ 389) من طريق الطيالسى، وإسناده فيه انقطاع.
(3) أخرجه الطبرى (2/ 390) وإسناده فيه انقطاع.
(4) أخرجه الطبرى (2/ 390).
(5) أخرجه الطبرى (2/ 390) وفيه انقطاع.
(6) أخرجه الطبرى (2/ 390) وإسناده ضعيف.

وقد استدل السهيلى على ذلك فى موضع آخر بقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (التوبة:108)(1) أى: من أول يوم حلول النبى ﷺ المدينة، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سنى التاريخ عام الهجرة. ولا شك أن هذا الذى قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب، ولكن العمل على خلافه، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة، وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام والله أعلم.

فنقول -وبالله المستعان-: استهلت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا فى أوسط أيام التشريق وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة قبل سنة الهجرة. ثم رجع الأنصار وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ، وحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه فى الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذى تقدم بسطه. وتأخر على بن أبى طالب بعد النبى ﷺ بأمره ليؤدى ما كان عنده عليه الصلاة والسلام من الودائع، ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريباً من الزوال وقد اشتد الضحاء.

قال الواقدى وغيره: وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول.(2) وحكاه ابن إسحاق إلا أنه لم يعرج عليه ورجَّح أنه لثنتي عشرة ليلة خلت منه(3)، وهذا هو المشهور الذى عليه الجمهور. وقد كانت مدة إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة فى أصح الأقوال، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبى جمرة الضبعى عن ابن عباس. قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة.(4) وهكذا روى ابن جرير، عن محمد بن معمر، عن روح بن عبادة، عن زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة.(5) وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبى أنس بن قيس:

ثَوَى في قريش بضع عشرة حجَّةً * يُذكر لو يلقى صديقًا مواتيا

وقال الواقدى: عن إبراهيم بن إسماعيل، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: أنه استشهد بقول صرمة.

ثَوَى في قريش بضع عشرة حجَّةً * يُذكر لو يلقى صديقًا مواتيا

وهكذا رواه ابن جرير، عن الحارث، عن محمد بن سعد، عن الواقدى خمس عشرة حجة(6)،

(1) «الروض الأنف» (4/ 254).
(2) أخرجه ابن سعد (1/ 233) وفيه الواقدى.
(3) «السيرة» (1/ 492).
(4) الطبرى فى «تاريخه» (2/ 384) من طريق حماد، وفيه انقطاع.
(5) رواه ابن جرير (2/ 385) وإسناده صحيح.
(6) أخرجه الطبرى (2/ 386) وفيه الواقدى.

وهو قول غريب جداً. وأغرب منه ما قال ابن جرير: حدثت عن روح بن عبادة، ثنا سعيد، عن قتادة قال: نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانى سنين بمكة، وعشراً بالمدينة.[1] وكان الحسن يقول: عشراً بمكة، وعشراً بالمدينة، وهذا القول الآخر الذى ذهب إليه الحسن البصرى من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم.[2] وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل، عن يحيى بن سعيد، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: أنزل على النبى ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشراً.[3] وقد قدمنا عن الشعبى أنه قال: قرن إسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يُلقى إليه الكلمة والشيء[4]، وفى رواية: يسمع حسه ولا يرى شخصه، ثم كان بعد ذلك جبريل.[5] وقد حكى الواقدى عن بعض مشايخه: أنه أنكر قول الشعبى هذا[6]، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه الصلاة والسلام أقام بمكة عشراً، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذى ذكره الشعبى والله أعلم.

فصل

ولما حل الركاب النبوى بالمدينة، كان أول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف وهى قباء كما تقدم فأقام بها أكثر ما قيل : ثنتين وعشرين ليلة، وقيل: ثمانى عشرة ليلة. وقيل: بضع عشرة ليلة. وقال موسى بن عقبة: ثلاث ليال. والأشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة.[7] وقد أسس فى هذه المدة المختلف فى مقدارها – على ما ذكرناه – مسجد قباء. وقد ادعى السهيلى: أن رسول الله ﷺ أسسه فى أول يوم قدم إلى قباء[8] وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾. ورد قول من أعربها: من تأسيس أول يوم، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة:108)، كما تكلمنا على تقرير ذلك فى التفسير وذكرنا الحديث الذى فى صحيح مسلم[9] أنه مسجد المدينة والجواب عنه.

وذكرنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، ثنا أبو أويس، ثنا شرحبيل،

(1) أخرجه الطبرى (2/ 387) وهو مردود سنداً ومتنًا.
(2) انظر تاريخ الطبرى (2/ 383-384).
(4،3) تقدم تخريجه.
(5) تاريخ الطبرى (2/ 386).
(6) تاريخ الطبرى (2/ 386) وهو مردود.
(7) السيرة (1/ 494) وراجع الدلائل للبيهقى (2/ 500).
(8) «الروض» (4/ 254).
(9) حديث أبى سعيد قال دخلت على رسول الله ﷺ به. فقلت: يا رسول الله أى المسجدين الذى أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًا من حصباءَ يضرب به الأرض ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة رواه مسلم (1398)، وأحمد (3/ 8)، والترمذى (3099)، والنسائى (2/ 36)، وابن حبان (1605) (1606) وغيرهم.

عن عويم بن ساعدة: أنه حدثه أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: «**إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟**». قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا.[1] وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه وله شواهد أخر. وروى عن خزيمة بن ثابت، ومحمد بن عبد الله بن سلام، وابن عباس.[2] وقد روى أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث، عن إبراهيم بن أبي ميمونة، عن أبي صالح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾. قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية. ثم قال الترمذي: غريب من هذا الوجه.[3]

قلت: ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم. وممن قال: بأنه المسجد الذي أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير.[4] ورواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس[5]، وحكى عن الشعبي، والحسن البصري، وقتادة، وسعيد بن جبير، وعطية العوفي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم.[6] وقد كان النبي ﷺ يزوره فيما بعد ويصلي فيه، وكان يأتي قباء كل سبت تارة راكباً وتارةً ماشياً.[7] وفي الحديث: «**صلاة في مسجد قباء كعمرة**»[8]. وقد ورد في حديث: أن جبريل عليه السلام هو الذي أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبلة مسجد قباء[9]، فكان هذا المسجد أول مسجد بني في الإسلام بالمدينة، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة. واحترزنا بهذا عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لأن ذاك

---

(1) **حسن** : وهذا إسناد ضعيف أبو أويس وشيخه ضعيفان وهو في «المسند» (3/ 422)، وأخرجه الطبراني (17/ 348) من طريق حسين بن محمد، به.
وأخرجه الطبري (17231)، وابن خزيمة (83)، والحاكم (1/ 155) من طريق أبي أويس، به.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي!
وله شاهد بنحوه من حديث ابن عباس رواه الطبراني (11065) وإسناده ضعيف.
وشاهد من حديث أبي هريرة بنحوه عند أبي داود (44)، والترمذي (3100)، وابن ماجه (357)، وإسناده ضعيف. وله شواهد أخرى يتقوى بها الحديث والله أعلم.

(3،2) راجع التخريج السابق.

(4) **إسناده صحيح موقوف** : الطبري (11/ 27).

(5) **إسناده ضعيف** : الطبري (11/ 27).

(6) راجع «تفسير الطبري» (11/ 27-28).

(7) روى ذلك مسلم (1399) عن ابن عمر.

(8) **صحيح** : أخرجه الترمذي (324)، وابن ماجه (1411)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (267).

(9) أخرجه الطبراني في «الكبير» (24/ 317) (801، 802) من طريقين عن شموس بنت النعمان بن عامر في بناء المسجد وهو قباء- وفيه إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة. قالت: «فكان يقال إنه أقوم مسجد قبلة».
وقال الهيثمي في «المجمع» (4/ 11): رجاله ثقات.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد» (3488)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (7756) (7757).

كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم. وقد تقدم إسلام سلمان في البشارات، أن سلمان الفارسي لما سمع بقدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقباء قال: هذا صدقة، فكفَّ رسول الله ﷺ فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال: هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا. تقدم الحديث بطوله.

فصل في إسلام عبد الله بن سلام

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا عوف، عن زرارة، عن عبد الله بن سلام. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن انجفل، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته يقول: **«أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»**[1]. ورواه الترمذي، وابن ماجه، من طرق عن عوف الأعرابي، عن زرارة بن أبي أوفى به عنه. وقال الترمذي: صحيح. ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبي ﷺ ورآه أول قدومه حين أناخ بقباء في بني عمرو بن عوف. وتقدم في رواية عبد العزيز ابن صهيب، عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبي أيوب بعد ارتحاله من قباء إلى دار بني النجار كما تقدم. فلعله رآه أول ما رآه بقباء، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار، والله أعلم.

وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس. قال: فلما جاء النبي ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ. فأرسل نبي الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه. فقال لهم: **«يا معشر اليهود ويلكم، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فاسلموا»**. قالوا: ما نعلمه. قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار. قال: **«فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟»** قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: **«أفرايتم إن أسلم ؟»** قالوا: حاش لله ما كان ليسلم. قال: **«يا ابن سلام اخرج عليهم»** فخرج فقال: يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق. فقالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ، هذا لفظه.

وفي رواية: فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق. قالوا: شَرُّنا وابن شَرِّنا، وتنقصوه فقال: يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف[2]. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا الأصم،

---

(1) **صحيح** : أخرجه في «المسند» (5/ 451)، وأخرجه ابن أبي شيبة (8/ 536)، وعبد بن حميد (496)، والدارمي (1460) (2632)، والترمذي (2485)، وابن ماجه (1334) (3251)، وابن السني في «عمل اليوم» (215)، والقضاعي (719)، والبيهقي (2/ 502)، وفي «الشعب» (8749)، والبغوي (926) من طريق عوف الأعرابي، به. وإسناده صحيح.

(2) أخرجه البخاري (3911)،(3938)، والنسائي «كبرى» (9074)، وأحمد (3/ 211)، والبيهقي في «الدلائل» (2/ 526).

حدثنا محمد بن إسحاق الصفاني، ثنا عبد الله بن أبى بكر، ثنا حميد، عن أنس. قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبى ﷺ وهو فى أرض له فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: **«أخبرنى بهن جبريل آنفاً»**. قال: جبريل؟ قال: **«نعم!»** قال: عدو اليهود من الملائكة. ثم قرأ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ .

قال: **«أما أول أشراط الساعة: فنار تخرج على الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد»**. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى. فجاءت اليهود فقال: **«أى رجل عبد الله فيكم؟»** قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: **«أرأيتم إن أسلم؟»** قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه. قال: هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله. ورواه البخارى، عن عبد الله ابن منير، عن عبد الله بن بكر به. ورواه عن حامد بن عمر، عن بشر بن المفضل، عن حميد به.(1)

قال محمد بن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن يحيى بن عبد الله، عن رجل من آل عبد الله بن سلام قال: كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حبراً عالماً قال: لما سمعت برسول الله ﷺ وعرفت صفته واسمه وهيئته الذى كنا نتوكف له، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما قدم نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف. فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبَّرتُ، فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت. قال: قلت لها: أى عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به. قال: فقالت له: يا بن أخى أهو الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت لها: نعم ! قالت: فذاك إذاً. قال: فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا وكتمت إسلامى من اليهود، وقلت: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك فتغيبنى عنهم، ثم تسألهم عنى فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى، فإنهم إن يعلموا بذلك بهتونى وعابونى، وذكر نحو ما تقدم. قال: فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى وأسلمت عمتى خالدة بنت الحارث.(2)

وقال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحاق، حدثنى عبد الله بن أبى بكر، حدثنى محدث، عن صفية بنت حيى قالت: لم يكن أحد من ولد أبى وعمى أحب إليهما منى، لم ألقهما فى ولد لهما قط أهش إليهما إلا أخذانى دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء -قرية بنى عمرو بن عوف- غدا

(1) هو فى «الدلائل» (2/ 528-529)، ورواه البخارى (3938) (4480)، وسيأتى فى «وصف الجنة».
(2) أخرجه فى «الدلائل» (2/ 530-531) من طريقه، وإسناده ضعيف لجهالة الرجل. ولبعضه شواهد من سبق.

إليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس. فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلىَّ واحد منهما، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: تعرفه بعينه وصفته؟ قال: نعم والله! قال: فماذا فى نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.[1] وذكر موسى بن عقبة، عن الزهرى: أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه، ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون، فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيى بن أخطب -وهوَ يومئذ سيد اليهود، وهما من بنى النضير- فجلس إلى رسول الله وسمع منه، ثم رجع إلى قومه وكان فيهم مطاعاً فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً. فقال له أخوه أبو ياسر: يا بن أم أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لا تهلك. قال: لا والله لا أطيعك أبداً، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه.[2]

قلت: أما أبو ياسر بن أخطب فلا أدرى ما آل إليه أمره، وأما حيى بن أخطب والد صفية بنت حيى فشرب عداوة النبى ﷺ وأصحابه، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبراً بين يدى رسول الله ﷺ يوم قتل مقاتلة بنى قريظة كما سيأتى، إن شاء الله.

فصل

ولما ارتحل عليه الصلاة والسلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو فى دار بنى سالم بن عوف، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك، فى واد يقال له: وادى رانوناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة، أو مطلقاً لأنه -والله أعلم- لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له، وأذيتهم إياه.

ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ

قال ابن جرير: حدثنى يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحى: أنه بلغه عن خطبة النبى ﷺ فى أول جمعة صلاها بالمدينة فى بنى سالم بن عوف رضى الله عنهم: «**الحمد لله أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادى من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فتْرة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من**

(1) «الدلائل» (2/ 5303) من طريقه وإسناد فيه انقطاع.

(2) «الدلائل» (2/ 532-533) من طريق موسى بن عقبة، وفيه انقطاع.

ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرى. وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً فى عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. والذى صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلْفَ لذلك فإنه يقول تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (ق:29)**، واتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله توقى مقته، وتوقى عقوبته، وتوقى سخطه. وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضى الرب، وترفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحى من حى عن بينة ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»**(1). هكذا أوردها ابن جرير وفى السند إرسال.

وقال البيهقى: باب أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثنى المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان بن الأخنس بن شريق، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: **«أما بعد: أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه -ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه- ألم يأتك رسولى فبلغك، وآتيتك مالاً، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته».**

ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال: **«إن الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم فإنه من كل يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الأعمال، وخيرته من العباد.**

(1) **معضل إسناده ضعيف**، لضعف سعيد وهو فى «تاريخ الطبرى» (2/ 394-396).

والصالح من الحديث ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1]. وهذه الطريق أيضاً مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

فصل في بناء مسجده الشريف في مدة مقامه بدار أبي أيوب رضي الله عنه

وقد اختُلف فى مدة مقامه بها، فقال الواقدى: سبعة أشهر، وقال غيره: أقل من شهر والله أعلم.

قال البخارى: حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا عبد الصمد، قال: سمعت أبى يحدث: حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبعى، حدثنا أنس بن مالك. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار فجاؤوا متقلدى سيوفهم، قال: وكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه، وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب، قال: فكان يصلى حيث أدركته الصلاة، ويصلى فى مرابض الغنم، قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاؤوا فقال: «**يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا**». فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل، قال: فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع.

قال: فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه حجارة، قال: فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم يقول:

«**اللَّهُمْ إنَّه لا خيرَ إلاَّ خيرُ الآخِرَهْ * فانصُر الأنصارَ والمُهاجِرَهْ**»[2]

وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم من حديث أبى عبد الصمد عبد الوارث بن سعيد.

وقد تقدم فى صحيح البخارى عن الزهرى عن عروة أن المسجد كان مربداً -وهو بيدر التمر- ليتيمين كانا فى حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً. قال: وجعل رسول الله ﷺ وهو ينقل معهم التراب يقول:

«**هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ * هذا أَبَرُّ رَبَّنا وَأَطْهَرْ**»

ويقول:

«**اللَّهُمْ إن الأجرَ أجرُ الآخِرَهْ * فارحم الأنصارَ والمُهاجِرَهْ**»[3]

---

(1) هو فى «الدلائل» (2/ 524-525)، وهو مرسل إسناده فيه المغيرة لم أعثر له على ترجمة.

(2) صحيح: البخارى (3932)، وأخرجه أحمد (3/ 211)، والطيالسى (2085)، والبخارى (428) (1868) (2106) (2771) (2774)، ومسلم (524)، وأبو داود (453)، والنسائى (2/ 39) من طريق عبد الوارث، به.

(3) راجع التخريج السابق.

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلاً له في بني بياضة، قال: وقيل: ابتاعه منهما رسول الله ﷺ . (1)

قلت: وذكر محمد بن إسحاق أن المربد كان لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما: سهل وسهيل ابنا عمرو.(2) فالله أعلم.

وروى البيهقي: من طريق أبي بكر ابن أبي الدنيا، حدثنا الحسن بن حماد الضبي، ثنا عبد الرحيم ابن سليمان، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللَّبن حتى اغبر صدره، فقال: «**ابنوه عريشاً كعريش موسى**». فقلت للحسن: ما عريش موسى؟ قال: إذا رفع يديه بلغ العريش يعني: السقف.(3) وهذا مرسل. وروى من حديث حماد بن سلمة، عن أبي سنان عن يعلى بن شداد بن أوس، عن عبادة: أن الأنصار جمعوا مالاً فأتوا به النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله: ابن هذا المسجد وزينه، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد؟ فقال: «**ما بي رغبة عن اخي موسى، عريش كعريش موسى**»(4) وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن فراس، عن عطية العوفي، عن ابن عمر: «أن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها نخرت في خلافة أبي بكر، فبناها بجذوع وبجريد النخل، ثم إنها نخرت في خلافة عثمان فبناها بالآجر، فما زالت ثابتة حتى الآن»(5) وهذا غريب. وقد قال أبو داود أيضاً: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثني أبي، عن صالح، ثنا نافع عن ابن عمر أخبره: «أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللَّبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر، وبناه على بنائه في عهد النبي ﷺ باللَّبن والجريد وأعاد عمده خشباً. وغيَّره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المَنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج» وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم به.(6)

قلت: زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولاً قوله ﷺ : «**من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة**»(7). ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده، فيستدل بذلك على الراجح من قولي العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد فتدخل الزيادة في حكم

(1) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (2/ 538) من طريق موسى بن عقبة، به.

(2) تقدم ذكره.

(3) في «الدلائل» (2/ 541-542) وهو مرسل إسناده ضعيف، عبد الرحيم فيه لين، وإسماعيل ضعيف.

(4) «الدلائل» (2/ 542) وإسناده ضعيف أيضًا، أبو سناد ضعيف الحديث.

(5) سنن أبي داود (452) وضعفه الألباني في «الضعيفة» (84).

(6) أبو داود (451)، وصححه الألباني في «الصحيح منه» (433)، وأخرجه البخاري (446).

(7) أخرجه ابن ماجه (738) من حديث جابر وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (446).

سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال إليه، وقد زيد فى زمان الوليد بن عبد الملك بانى جامع دمشق زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتى بيانه فى وقته. ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم.

قال ابن إسحاق: ونزل رسول الله ﷺ على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه، وعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغّب المسلمين فى العمل فيه. فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه. فقال قائل من المسلمين:

لَئِنْ قَعَدْنا والنبيُّ يَعْمَلُ * لَذاكَ مِنَّا العملُ المُضَلِّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عَيْشَ إلاَّ عيشُ الآخِرَهْ * اللَّهُمَّ ارْحَم الأنصارَ والمُهاجِرَهْ

فيقول رسول الله ﷺ: «**لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار**». قال: فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللَّبن فقال: يا رسول الله: قتلونى يحملون علىَّ ما لا يحملون. قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده وكان رجلاً جعداً وهو يقول: «**ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية**»[1]. وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة وقد وصله مسلم فى صحيحه من حديث شعبة، عن خالد الحذاء، عن سعيد والحسن يعنى: ابنى أبى الحسن البصرى عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»[2]. ورواه من حديث ابن علية، عن ابن عون، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار وهو ينقل الحجارة: «**ويح لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية**».[3]

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الحسن يحدث، عن أمه، عن أم سلمة قالت: لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، جعل أصحاب النبى ﷺ يحمل كل واحد لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبى ﷺ فمسح ظهره. وقال: «**ابن سمية، للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لَبن وتقتلك الفئة الباغية**». وهذا إسناد على شرط الصحيحين.[4] وقد أورد البيهقى وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن أبى سعيد الخدرى، قال: كنا نحمل فى بناء المسجد لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين. فرآه النبى ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». قال:

---

(1) «السيرة» (1/ 496) وهو منقطع.

(2، 3) صحيح مسلم (2916) (72) (73).

(4) هو فى «المصنف» (20426) وهو على شرط مسلم فقط، فإن أم الحسن اسمها خيره قد روى لها مسلم. وقد خرجته مطولاً فى «السيرة».

يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن.[1] لكن روى هذا الحديث الإمام البخارى، عن مسدد، عن عبد العزيز بن المختار، عن خالد الحذاء، وعن إبراهيم بن موسى، عن عبد الوهاب الثقفى، عن خالد الحذاء به إلا أنه لم يذكر قوله: «**تقتلك الفئة الباغية**».

قال البيهقى: وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبى نضرة، عن أبى سعيد قال: أخبرنى من هو خير منى أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، جعل يمسح رأسه ويقول: «**بؤس ابن سمية تقتله فئة باغية**»[2]. وقد رواه مسلم أيضاً من حديث شعبة، عن أبى مسلمة، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد قال: حدثنى من هو خير منى أبو قتادة أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر: «**بؤساً لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية**».[3] وقال أبو داود الطيالسى: حدثنا وهيب عن داود بن أبى هند، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة، وعمار ناقه من وجع كان به فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد: فحدثنى بعض أصحابى أن رسول الله ﷺ كان ينفض التراب عن رأسه ويقول: «**ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية**»[4]. قال البيهقى: فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه. قال: ويشبه أن يكون قوله: الخندق وهماً أو أنه قال له ذلك فى بناء المسجد وفى حفر الخندق والله أعلم.

قلت: حمل اللَّبن فى حفر الخندق لا معنى له، والظاهر أنه اشتبه على الناقل.[5] والله أعلم. وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام فى وقعة صفين وعمار مع علىٍّ وأهل العراق كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه. وقد كان علىٌّ أحق بالأمر من معاوية. ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم لأنهم وإن كانوا بغاة فى نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيباً بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر. ومن زاد فى هذا الحديث بعد قوله تقتلك الفئة الباغية: «**لا أنالها الله شفاعتى يوم القيامة**» فقد افترى فى هذه الزيادة على رسول الله ﷺ، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل، والله أعلم.

وأما قوله: «**يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**»، فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام

---

(1) **صحيح**: أخرجه أحمد (11861)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 546)، وأخرجه البخارى (447) (2812)، وابن حبان (7078) (7079) من طرق عن خالد، به.

(2) أخرجه مسلم (2915) (70)، وانظر: «الدلائل» (2/ 548).

(3) أخرجه مسلم (2915) (71)، وأحمد (3/ 28)، وابن حبان (7078).

(4) هو فى «المسند» (2168)، وعنه البيهقى فى «الدلائل» (2/ 548) وهو صحيح.

قلت: والحديث متواتر كما قال الذهبى فى «السير» والحافظ فى «الفتح» (1/ 543) والسيوطى فى «نظم المتناثر» (ص 126).

(5) لم ينفرد حديث أبى سعيد بذكر الخندق، بل جاء فى حديث أم سلمة عند أحمد (6/ 289)، ومسلم (2916)، وأبو يعلى (1645)، والطبرانى (23) (855) وغيرهم. ولقد ترجّح لى أن النبى ﷺ قال ذلك مرتين، مرة عند بناء المسجد ومرة عند حفر الخندق كما بينت ذلك فى «السيرة» (1/ 386).

إلى الألفة واجتماع الكلمة. وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر إمام برأسه، وهذا يؤدى إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكهم، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم. وسيأتى تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه، والمقصود ههنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوى على بانيه أفضل الصلاة والتسليم.

وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل: حدثنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً، ثنا أبو بكر ابن إسحاق، أخبرنا عبيد بن شريك، ثنا نعيم بن حماد، ثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا حشرج بن نباتة، عن سعيد ابن جمهان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ . قال: جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه. فقال رسول الله ﷺ : «**هؤلاء ولاة الأمر بعدى**».[1] ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحمانى، عن حشرج، عن سعيد، عن سفينة. قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع حجراً. ثم قال: «**ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجرى، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبى بكر، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر**» فقال رسول الله ﷺ : «**هؤلاء الخلفاء من بعدى**»[2]، وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً. والمعروف ما رواه الإمام أحمد، عن أبى النضر، عن حشرج بن نباتة العبسى، وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد عن حماد بن سلمة كلاهما، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون من بعد ذلك الملك**». ثم قال سفينة: أمسك؛ خلافة أبى بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة عليّ ست سنين، هذا لفظ أحمد. ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق، عن سعيد بن جمهان، وقال الترمذى: حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه «**الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عضوضاً**»[3] وذكر بقيته.

---

(1) «الدلائل» (2/ 553) وأخرجه أبو يعلى كما فى «المطالب» (3825)، وفى «الإتحاف» (4151) والحارث ابن أبى أسامة (591) كما فى «البغية»، و«الإتحاف» (4151)، من طريق يحيى بن عبد الحميد الحمانى، وإسناده ضعيف وأخرجه الحاكم (3/ 13) ومن طريقه البيهقى كما سبق. وقال صحيح الإسناد.
وأخرجه البزار (1234) من طريق مؤمل ثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان عن سفينة، به.
وقال الحافظ: إسناده حسن. قلت: أنّى له الحسن ومؤمل سيء الحفظ وضعفه البخارى وقال البوصيرى: إسناده صحيح.

(2) الحمانى وحشرج ضعيفان - وهو فى «الدلائل» (2/ 553).

(3) **حسن - وهذا إسناده حسن** : وهو فى «المسند» (5/ 220)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (1181)، وفى «الآحاد» (113) (139)، والبزار (3828)، والطحاوى (3349)، وابن حبان (6943)، والطبرانى (13)، والحاكم (3/ 71) وغيرهم من طريق حماد بن سلمة، به.
وأخرجه أبو داود (4647)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (1185)، وفى «الآحاد» (140)، والنسائى «كبرى» (8155)، والطبرانى (136) (6443)، من طريق العوام بن حوشب وأخرجه أبو داود (4646)، وابن حبان (6657)، والطبرانى (6444)، وابن عدى (3/ 1237)، والحاكم (3/ 145)، من طريق عبد الوارث بن سعيد، كلاهما عن سعيد بن جمهان، به.
وله طرق استقصيتها فى «الفتن».

قلت: ولم يكن فى مسجد النبى ﷺ أول ما بنى منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبى ﷺ يخطب الناس وهو مستنداً إلى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتى بيانه فى موضعه وعدل إليه ليخطب عليه. وجاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحنَّ حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده، فرجع إليه النبى ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذى يسكت كما سيأتى تفصيل ذلك من طرق عن سهل ابن سعد الساعدى، وجابر وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأم سلمة رضى الله عنهم. وما أحسن ما قال الحسن البصرى بعد ما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك: يا معشر المسلمين: الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟[1]

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن أنيس بن أبى يحيى، حدثنى أبى. قال: سمعت أبا سعيد الخدرى قال: اختلف رجلان -رجل من بنى خدرة ورجل من بنى عمرو بن عوف- فى المسجد الذى أسس على التقوى، فقال الخدرى: هو مسجد رسول الله ﷺ، وقال العَمْرى: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: «**هو هذا المسجد**» لمسجد رسول الله ﷺ وقال: «**فى ذلك خير كثير**» يعنى مسجد قباء. ورواه الترمذى، عن قتيبة، عن حاتم بن إسماعيل، عن أنيس بن أبى يحيى الأسلمى به وقال: حسن صحيح.[2] وروى الإمام أحمد، عن إسحاق بن عيسى، عن الليث ابن سعد والترمذى والنسائى جميعاً، عن قتيبة، عن الليث، عن عمران بن أبى أنس، عن عبد الرحمن ابن أبى سعيد عن أبيه قال: تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى وذكر نحو ما تقدم.[3]

وفى صحيح مسلم من حديث حميد الخراط، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن ابن أبى سعيد: كيف سمعت أباك يذكر فى المسجد الذى أسس على التقوى؟ قال: قال أبى: أتيت رسول الله ﷺ فسألته عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض. ثم قال: «**هو مسجدكم هذا**»[4]. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا ربيعة بن عثمان التيمى، عن عمران بن أبى أنس، عن سهل بن سعد. قال: اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ فى المسجد فى الذى أسس على التقوى. فقال أحدهما: هو مسجد رسول الله ﷺ وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه، فقال: «**هو مسجدى هذا**»[5]. وقال الإمام أحمد:

---

(1) أخرجه أحمد (3/ 226)، وأبو القاسم فى «الجعديات» (1/ 334)، وابن خزيمة (1776)، وابن حبان (6507)، والترمذى (3631)، وابن ماجه (1415) وغيرهم وهو صحيح.

(2) **صحيح** : أخرجه أحمد (3/ 23)، والترمذى (323)، وصححه الألبانى، وقد سبق تخريجه من غير هذا الطريق.

(3) **صحيح** : أخرجه أحمد (11046)، والترمذى (3099)، والنسائى (696)، وابن حبان (1606)، والطبرى (17220)، وصححه الألبانى.

(4) صحيح مسلم (1398).

(5) **صحيح** : وهذا إسناده جيد، وهو فى «المسند» (22805)، وعبد بن حميد (467)، وابن حبان (1604) (1605)، والطبرانى فى «الكبير» (6025) من طريق وكيع بن الجراح بهذا الإسناد.

حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمى، عن عمران بن أبى أنس، عن سهل بن سعد، عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال: «**المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا**».[1]

فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول ﷺ وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله، وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب واختاره ابن جرير. وقال آخرون: لا منافاة بين نزول الآية فى مسجد قباء -كما تقدم بيانه- وبين هذه الأحاديث، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة من ذلك، لأن هذا أحد المساجد الثلاثة التى تشد الرحال إليها كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ مسجدى هذا، والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس**»[2] وفى صحيح مسلم، عن أبى سعيد، عن النبى ﷺ قال: «**لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[3] وذكرها. وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[4]. وفى مسند أحمد بإسناد حسن زيادة حسنة وهى قوله: «**فإن ذلك أفضل**».[5]

وفى الصحيحين من حديث يحيى القطان، عن عبد الله عن خبيب، عن حفص بن عاصم، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى**»[6]. والأحاديث فى فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها فى كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناه إبراهيم، وهذا بناه محمد ﷺ، ومعلوم أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام. وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لأنه فى بلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، وحرمه إبراهيم الخليل عليه السلام، ومحمد خاتم المرسلين، فاجتمع فيه من الصفات ما ليس فى غيره، ولبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان.

---

(1) هو فى «المسند» (21107)، وإسناده ضعيف وعبد الله بن عامر الأسلمى متفق على ضعفه.
وأخرجه عبد بن حميد (116)، والطبرى (11/ 28) والشاشى (1422) (1423)، والحاكم (2/ 334) من طريق أبى نعيم الفضل بن دُكين بهذ الإسناد.
لكن الحديث صحيح بشواهده.

(2) أخرجه الحميدى (943)، وأحمد (2/ 238)، والبخارى (1189)، ومسلم (1397)، وأبو داود (2033)، والنسائى (2/ 37)، وابن حبان (1619) من طريق الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة، به.

(3) أخرجه أحمد (3/ 7)، والحميدى (750)، والبخارى (1197) (1995)، ومسلم (827) (415)، والترمذى (326)، وابن حبان (1617) من طريق عبد الملك بن عمير عن قزعة عن أبى سعيد، به.

(4) أخرجه البخارى (1190)، ومسلم (1394).

(5) أخرجه أحمد (4838)، وأبو يعلى (5787)، والبيهقى (5/ 246)، وابن عبد البر فى «التمهيد» (6/ 28) من طريق عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء عن ابن عمر بهذه الزيادة «فهو أفضل» وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(6) البخارى (1196) (1888)، ومسلم (1391).

فصل

وبنى لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حُجَر لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبى الحسن البصرى وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة : لقد كنت أنال أطول سقف فى حُجَر النبى ﷺ بيدى.

قلت: إلا أنه قد كان الحسن البصرى شكلاً ضخماً طوالاً رحمه الله.

وقال السهيلى فى الروض: كانت مساكنه عليه الصلاة والسلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة وسقوفها كلها من جريد. وقد حكى عن الحسن البصرى ما تقدم. وقال: وكانت حُجَره من شعر مربوطة بخشب من عرعر. قال: وفى تاريخ البخارى أن بابه عليه الصلاة والسلام كان يقرع بالأظافير[1]، فدلَّ على أنه لم يكن لأبوابه حلق. قال: وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله ﷺ إلى المسجد.

قال الواقدى وابن جرير وغيرهما: ولما رجع عبد الله بن أريقط الديلى إلى مكة بعث معه رسول الله ﷺ وأبو بكر زيدَ بن حارثة، وأبا رافع مولىي رسول الله ﷺ ليأتوا بأهاليهم من مكة وبعثا معهم بحملين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلاً من قديد، فذهبوا فجاؤوا ببنتى النبى ﷺ ، فاطمة وأم كلثوم، وزوجتيه: سودة وعائشة، وأمها أم رومان، وأهل النبى ﷺ ، وآل أبى بكر صحبة عبد الله بن أبى بكر. وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل فى أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول: واعروساه، وابنتاه ! قالت عائشة: فسمعت قائلاً يقول: أرسلى خطامه، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسلَّمنا الله عز وجل. فتقدموا فنزلوا بالسنح، ثم دخل رسول الله ﷺ بعائشة فى شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتى، وقدمت معهم أسماء بنت أبى بكر امرأة الزبير بن العوام وهى حامل متم بعبد الله بن الزبير[2] كما سيأتى بيانه فى موضعه من آخر هذه السنة.

فصل فيما أصاب المهاجرين من حُمَّى المدينة رضي الله عنهم أجمعين وقد سلم الرسول ﷺ منها بحول الله وقوته ودعا الله فأزاحها عن المدينة

قال البخارى: حدثنا عبد الله بن يوسف، ثنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبهْ كيف تجدك ؟ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ في أهلِهِ * والموتُ أدْنَى من شِراكِ نَعْلِهِ

---

(1) صحيح ؛ أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (1080)، وفى «التاريخ» (1/ 228)، وأبو نعيم فى «أخبار أصفهان» (2/ 110، 365) عن أنس، وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (2092).

(2) انظر: «الطبقات» (8/ 62)، و«تاريخ الطبرى» (2/ 400).

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليتَ شعري هَلْ أبيتَنَّ ليلةً * بوادٍ وحولي إذْخرٌ وجَليلُ
وهل أرِدَنْ يومًا مياهَ مَجَنَّةٍ * وهَلْ يَبْدُوَنْ لي شامةٌ وطفيلُ

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة**». ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عبيدة عن هشام[1] مختصراً. وفى رواية البخارى له عن أبى أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول: اللهم العن عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة**». وقدمنا إلى المدينة وهى أوبأ أرض الله وكان بطحان يجرى نجلاً، تعنى: ماء آجناً.[2] وقال زياد عن محمد بن إسحاق حدثنى هشام بن عروة وعمر بن عبد الله عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ. قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبى بكر فى بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبى بكر فقلت: كيف تجدك يا أبه؟ فقال:

كُلُّ امرئ مُصَبَّحٌ في أهلهِ * والموتُ أدْنَى من شِراكِ نعلهِ

قالت: فقلت: والله ما يدرى أبى ما يقول، قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ قال:

لقد وجَدْتُ الموتَ قبلَ ذوقِهِ * إنَّ الجَبانَ حَتْفُه من فوقِهِ
كُلُّ امرئ مجاهدٌ بطوقِهِ * كالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَه بِرَوْقِهِ

قالت: فقلت: والله ما يدرى عامر ما يقول.

قالت: وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليتَ شعري هَلْ أبيتَنَّ ليلةً * بفَخٍّ وحولي إذْخرٌ وجَليلُ
وهل أرِدَنْ يومًا مياهَ مَجَنَّةٍ * وهَلْ يَبْدُوَنْ لي شامَةٌ وطَفيلُ

قالت عائشة: فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم وقلت: إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى. فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة، كما حببت إلينا مكة أو أشد، وبارك لنا فى مدها وصاعها،**

---

(1) أخرجه البخارى (3926)، ومسلم (10376).
(2) أخرجه البخارى (1889).

وانقل وباءها إلى مهيعة»[1] ومهيعة: هي الجحفة. وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، ثنا ليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي بكر ابن إسحاق بن يسار، عن عبد الله بن عروة، عن عروة، عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة اشتكى أصحابه واشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال، فاستأذنت عائشة رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذن لها، فقالت لأبي بكر: كيف تجدك؟ فقال:

كُلُّ امـرئٍ مُـصَـبَّحٌ في أهلِهِ ∗ والموتُ أدْنَى من شِـراكِ نعلِهِ

وسألت عامراً فقال:

إنّى وجَـدْتُ الموتَ قـبلَ ذَوْقِـه ∗ إنَّ الجَـبانَ حَـتْفُـه من فـوقِـه

وسألت بلالاً فقال:

يا ليتَ شـعرى هل أبيـتَنَّ ليلةً ∗ بفَجٍّ وحَـوْلِى إذْخِـرٌ وجَليلُ

فأتت رسول الله ﷺ فأخبرته، فنظر إلى السماء وقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها، وانقل وباءها إلى مهيعة**»[2]، وهى الجحفة فيما زعموا. وكذا رواه النسائى عن قتيبة عن الليث به، ورواه الإمام أحمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله.[3] وقال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد ابن أبى عمرو، قالا: ثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى أوبأ أرض الله، وواديها بطحان نجل. قال هشام: وكان وباؤها معروفاً فى الجاهلية، وكان إذا كان الوادى وبيئاً فأشرف عليها الإنسان قيل له: أن ينهق نهيق الحمار، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادى. وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة:

لَعَمْرِى لَئنْ عَشَّرْتُ من خِيفةِ الرَّدَى ∗ نعـيقَ الحِـمـارِ إنَّنى لجَـزوعُ[4]

وروى البخارى من حديث موسى بن عقبة: عن سالم، عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «**رأيت كأن**

---

(1) **إسناده حسن**: وهو فى «السيرة» (1/ 588)، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، والحديث أصله فى البخارى كما تقدم.

(2) هو فى «المسند» (6/ 65)، وإسناده ضعيف لضعف أبو بكر بن إسحاق بن يسار.
وأخرجه النسائى «كبرى» (4272) (7519)، وابن حبان (5600)، والبيهقى فى «الدلائل» (2/ 566) من طريق ليث بهذا الإسناد.
والحديث له طرق صحيحة غير هذا.

(3) هو فى «المسند» (6/ 239-240)، وإسناده ضعيف أيضًا، عبد الرحمن بن الحارث ضعيف ولم يدرك عائشة قلت: ورواه أحمد (6/ 82-83)، من طريق عباد بن عباد عن هشام عن أبيه عنها. وإسناده صحيح وأخرجه أحمد (6/ 260)، من طريق حماد بن زيد عن هشام، به. وإسناده صحيح، وأخرجه الحميدى (223)، والبخارى (1889).

(4) «الدلائل» (2/ 567) وإسناده حسن.

امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهى الجحفة فأولت أن وباء المدينة نقل إليها» هذا لفظ البخارى، ولم يخرجه مسلم، ورواه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة.[1] وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة، عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى وبيئة، فذكر الحديث بطوله إلى قوله **«وانقل حماها إلى الجحفة»**. قال هشام: فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى. رواه البيهقى فى دلائل النبوة.[2] وقال يونس عن ابن إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهى وبيئة. فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ ، وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة يعنى: مكة عام عمرة القضاء. فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنهم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا، وأن يمشوا ما بين الركنين[3]، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

قلت: وعمرة القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى القعدة فإما أن يكون تأخر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك، أو أنه رفع وبقى آثار منه قليل. أو أنهم بقوا فى خمار ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم. وقال زياد: عن ابن إسحاق، وذكر ابن شهاب الزهرى، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضاً، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا ما يصلون إلا وهم قعود. قال: فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك فقال لهم: **«اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم»**. فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل.[4]

فصل في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقررهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بخت نصر حين دوخ بلاد المقدس فيما ذكره الطبرى.[5] ثم لما كان سيل العرم وتفرقت سبأ شذر مذر نزل الأوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم، وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل فى العلم المأثور عن الأنبياء لكن منّ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام وخذل أولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق.

(1) أخرجه البخارى (7038)، والترمذى (2290)، والنسائى «كبرى» (7651)، وابن ماجه (3924).
(2) **إسناده صحيح** : وهو فى «الدلائل» (2/ 568)، وقد أخرجه أحمد (6/ 260)، والبخارى (1889) من هذا الطريق كما سبق.
(3) أخرجه البخارى (1602)، ومسلم (1266) بنحوه.
(4) السيرة (1/ 590) وإسناده ضعيف.
(5) «تاريخ الطبرى» (1/ 539).

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، ثنا عاصم الأحول، عن أنس بن مالك، قال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك.[1] وقد رواه الإمام أحمد أيضاً، والبخارى، ومسلم، وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الأحول، عن أنس بن مالك. قال: حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار فى دارى.[2] وقال الإمام أحمد: حدثنا نصر بن باب، عن حجاج هو ابن أرطأة قال: وحدثنا سريج، ثنا عباد، عن حجاج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن النبى ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين.[3] قال أحمد: وحدثنا سريج، ثنا عباد، عن حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس مثله.[4] تفرد به الإمام أحمد. وفى صحيح مسلم عن جابر قال: كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقوله.[5]

وقال محمد بن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم. «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار: بنى ساعدة، وبنى جشم، وبنى النجار، وبنى عمرو بن عوف. وبنى النبيت.**

إلى أن قال: «**وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء وعقل، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر ولا ينصر كافر على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة: يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة: لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وإن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن،**

---

(1) إسناده صحيح على شرط مسلم، وهو فى «المسند» (3/ 241)، وأخرجه أبو يعلى (3357) (4028)، من طريق حماد بن سلمة، به.

(2) أخرجه أحمد (12089)، والبخارى (2294) (6083)، ومسلم (2529)، وأبو يعلى (4023) (4024)، وابن حبان (4520)، والبيهقى (6/ 262) من طريق عاصم الأحول، به.

(3) **إسناده ضعيف** : وهو فى «المسند» (6904)، ونصر بن رباب ضعيف، وحجاج كثير الخطأ والتدليس.

(4) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (2443) (2444) وإسناده فيه حجاج أيضًا.

(5) صحيح مسلم (1507).

وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ لا ينحجز على ثأر جرح وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ

وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم وإن الله جار لمن بر واتقى»[1]. كذا أورده ابن إسحاق بنحوه. وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتاب الغريب وغيره بما يطول ذكره.

فصل في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:9). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (النساء:33).

قال البخارى: حدثنا الصلت بن محمد، ثنا أبو أسامة، عن إدريس، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ قال: ورثة ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرى الأنصارى دون ذوى رحمه للأخوة التى آخى النبى ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نسخت ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له.[2] وقال الإمام أحمد: قرئ على

---

(1) ذكره ابن إسحاق معلقًا (1/ 388-390)، وقد ذكر لبعضه شواهد فى «السيرة».

(2) رواه البخارى (4580).

سفيان: سمعت عاصماً، عن أنس قال: حالف النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا قال سفيان: كأنه يقول: آخى.(1)

وقال محمد بن إسحاق: وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: «**تآخوا في الله أخوين أخوين**»،(2) ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «**هذا أخي**». فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين. قال ابن هشام: كان جعفر يومئذ غائباً بأرض الحبشة. قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين. ويقال: بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الأشهل أخوين. ويقال: بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين.

قلت: وهذا أنسب من وجهين.

قال: وأبو ذر برير بن جنادة والمنذر بن عمرو المعنق ليموت أخوين، وحاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين، وسلمان وأبو الدرداء أخوين، وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفزع أخوين. قال: فهؤلاء ممن سمى لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم.(3)

قلت: وفي بعض ما ذكره نظر، أما مؤاخاة النبي ﷺ وعلي فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم، ولا مهاجري لمهاجري آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي ﷺ لم يجعل مصلحة عليّ إلى غيره فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله ﷺ من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره. وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار والله أعلم.

---

(1) **صحيح**: سبق تخريجه.

(2) هو في «السيرة» (1/ 294) معلقًا، ولم أعثر عليه موصولاً الآن، وذكره الحافظ في «الفتح» (7/ 216)، ولم يتكلم عليه بشيء، والأعجب أنه ذكر مؤخاة علي بن أبي طالب ولم يتحدث عنها بشيء مع أن أسانيد هذه المؤخاة لا تخلو من الضعف الشديد، ولقد تكلمت على هذه المؤخاة في «السيرة».

(3) «السيرة» (1/ 394-396).

وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام، فإن جعفر ابن أبى طالب إنما قدم فى فتح خيبر فى أول سنة سبع كما سيأتى بيانه، فكيف يؤاخى بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال أنه أرصد لأخوته إذا قدم حين يقدم، وقوله: وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين مخالف لما رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ آخى بين أبى عبيدة بن الجراح وبين أبى طلحة. وكذا رواه مسلم منفرداً به[1] عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبى عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم.

وقال البخارى: باب كيف آخى النبى ﷺ بين أصحابه. وقال عبد الرحمن بن عوف: آخى النبى ﷺ بينى وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة. وقال أبو جحيفة: آخى النبى ﷺ بين سلمان الفارسى وأبى الدرداء رضى الله عنهما: حدثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان عن حميد عن أنس قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك، دلنى على السوق. فربح شيئاً من أقط وسمن، فرآه النبى ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال النبى ﷺ: «**مهيم يا عبد الرحمن؟**» قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار. قال: «**فما سقت فيها ؟**» قال: وزن نواة من ذهب، قال النبى ﷺ: «**أولم ولو بشاة**»[2]. تفرد به من هذا الوجه. وقد رواه أيضاً فى مواضع أخر، ومسلم من طرق عن حميد به.[3]

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد، ثنا ثابت وحميد عن أنس: أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى، فقال له سعد: أى أخى أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالى فخذه وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك، دلونى على السوق فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشىء من أقط وسمن. ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ردع زعفران فقال رسول الله ﷺ: «**مهيم؟**» فقال يا رسول الله: تزوجت امرأة، قال: «**ما أصدقتها؟**» قال: وزن نواة من ذهب، قال: «**أولم ولو بشاة**». قال عبد الرحمن: فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة.[4] وتعليق البخارى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فإنه لا يعرف مسنداً إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه[5] فالله أعلم.

---

(1) إسناده صحيح على شرط مسلم، وهو فى «المسند» (3/ 152)، ورواه مسلم (2528).

(2) صحيح البخارى (3937)، وانظر «الفتح» (7/ 270).

(3) رواه البخارى (2049) (2293) (3781) (5072) (5153)، ومسلم (1427).

(4) إسناده صحيح على شرط مسلم، وهو فى «المسند» (3/ 271)، وأخرجه ابن سعد (3/ 126)، وعبد بن حميد (1333)، وأبو داود (2109) من طرق عن حماد بن سلمة، به.

(5) لقد ردّ هذا الكلام الحافظ فى «الفتح» (7/ 272)، وقال: إنه ثابت فى «الصحيح».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا حميد عن أنس. قال قال المهاجرون يا رسول الله: ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: **«لا ! ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم»**[1]. هذا حديث ثلاثى الإسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه، وهو ثابت فى الصحيح. من وجه آخر وقال البخارى: أخبرنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، ثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة. قال قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: **«لا»**. قالوا: تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا. تفرد به.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رسول الله ﷺ للأنصار: **«إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم»**. فقالوا: أموالنا بيننا قطائع. فقال رسول الله ﷺ: **«أو غير ذلك؟»**. قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: **«هم قوم لا يعرفون العمل، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر»**. قالوا: نعم![2] وقد ذكرنا ما ورد من الأحاديث والآثار فى فضائل الأنصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية.

فصل

فى موت أبى أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة على قومه بنى النجار، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية فى قول، وكان شاباً وهو أول من جمع بالمدينة فى نقيع الخضمات فى هزم النبيت كما تقدم.

قال محمد بن إسحاق وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة[3] أو الشهقة. وقال ابن جرير فى التاريخ: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، ثنا يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهرى، عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة[4]، رجاله ثقات.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن يحيى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله ﷺ: **«بئس الميت أبو أمامة، ليهود ومنافقى العرب، يقولون لو كان نبياً لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله**

(1) **إسناده ثلاثى على شرطهما** : وهو فى «المسند» (3/ 201)، وأخرج الترمذى (2487)، وأبو يعلى (3773)، والبيهقى (6/ 183) من طرق عن حميد، به. وأخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (217)، وأبو داود (4812)، والحاكم (2/ 63)، من طريق حماد بن سلمة عن ثابت به.

(2) أخرجه البخارى (2325).

(3) «السيرة» (1/ 399).

(4) «تاريخ الطبرى» (2/ 398) إسناده صحيح.

شيئاً»[1]. وهذا يقتضى أنه أول من مات بعد مقدم النبى ﷺ، وقد زعم أبو الحسن ابن الأثير فى (أسد الغابة) أنه مات فى شوال بعد مقدم النبى ﷺ بسبعة أشهر[2]، فالله أعلم. وذكر محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن بنى النجار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيباً بعد أبى أمامة أسعد بن زرارة فقال: «**أنتم أخوالى وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم**».[3] وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بنى النجار الذى يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم. قال ابن الأثير: وهذا يرد قول أبى نعيم وابن منده فى قولهما: إن أسعد بن زرارة كان نقيباً على بنى ساعدة، إنما كان على بنى النجار، وصدق ابن الأثير فيما قال. وقد قال أبو جعفر ابن جرير فى (التاريخ): كان أول من توفى بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين فيما ذكر صاحب منزله كلثوم بن الهدم، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات، ثم توفى بعده أسعد بن زرارة، وكانت وفاته فى سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبحة أو الشهقة.[4]

قلت: وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى وهو من بنى عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء نزل فى منزل هذا فى الليل؛ وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه فى منزل سعد بن الربيع رضى الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بنى النجار كما تقدم. قال ابن الأثير: وقد قيل: إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله ﷺ، ثم بعده أسعد بن زرارة، ذكره الطبرى.[5]

فصل

فى ميلاد عبد الله بن الزبير فى شوال سنة الهجرة فكان أول مولود ولد فى الإسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضى الله عنهما. وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسود. ورواه الواقدى: عن محمد بن

---

(1) حسن : وهو فى «السيرة» (1/ 399)، وأخرجه أحمد (17238) من طريق زمعة بن صالح قال: سمعت ابن شهاب يُحدث أن أبا أمامة بن سهل بن حنيف أخبره عن أبى أمامة أسعد بن زرارة - فذكره.
وإسناده ضعيف : أبو أمامة بن سهل وإن كانت له صحبة أو رؤية لكن لم يسمع من النبى ﷺ .
قال الحافظ: يحتمل أن يكون حمله عن والده أو غيره من أهله، وزمعة بن صالح وإن كان ضعيفًا لكنه توبع، وباقى رجاله ثقات.
وقد تكلمت عليه بشىء من البسط فى «تحقيق السيرة» (1/ 399).

(2) أسد الغابة (1/ 87).

(3) هو فى «السيرة» (1/ 400)، ورواه ابن سعد فى «الطبقات» (3/ 459)، والحاكم (3/ 186) من طريق محمد بن عمر أخبرنا عبد الرحمن بن أبى الرجال، فذكره.
ومحمد بن عمر الواقدى متروك. ومرسل ابن إسحاق أصلح منه.

(4) انظر «أسد الغابة» (1/ 87)، و«تاريخ الطبرى» (2/ 397).

(5) الأسد (4/ 495)، و«تاريخ الطبرى» (2/ 401).

يحيى بن سهل بن أبى حثمة، عن أبيه عن جده[1]، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة[2]، والصحيح ما قدمناه. قال البخارى: حدثنا زكريا بن يحيى، ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه فى حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل فى فيه فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه. وكان أول مولود ولد فى الإسلام.[3]

تابعه خالد بن مخلد عن على بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبى ﷺ وهى حبلى.[4] حدثنا قتيبة عن أبى أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أول مولود ولد فى الإسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبى ﷺ فأخذ النبى ﷺ تمرة فلاكها، ثم أدخلها فى فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبى ﷺ. فهذا حجة على الواقدى وغيره لأنه ذكر أن النبى ﷺ بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبى بكر فقدموا بهم إثر هجرة النبى ﷺ وأسماء حامل متم: أى مقرب قد دنا وضعها لولدها، فلما ولدته كبَّر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحاً بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد، فأكذب الله اليهود فيما زعموا.[5]

فصل

وبنى رسول الله ﷺ بعائشة فى شوال من هذه السنة، قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية، عن عبد الله بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال، وبنى بى فى شوال، فأى نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده منى؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها فى شوال.[6] ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن سفيان الثورى به. وقال الترمذى: حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثورى فعلى هذا يكون دخوله بها عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة بسبعة أشهر أو ثمانية أشهر. وقد حكى القولين ابن جرير، وقد تقدم فى تزويجه عليه الصلاة والسلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وأن دخوله بها كان بالسنح نهاراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم، وفى دخوله عليه الصلاة والسلام بها

---

(1) تاريخ الطبرى (2/ 401) وفيه الواقدى.

(2) تاريخ الطبرى (2/ 401-402).

(3) فى «الصحيح» (3909) (5469)، ومسلم (2146)، والبيهقى (6/ 205)، وأحمد (6/ 347)، من طريق أبى أسامة، به.

(4) علقه البخارى بصيغة الجزم عقب الراوية (3909)، وقد وصله ابن أبى شيبة (8/ 20)، ومسلم (2146) (26)، والحافظ فى «تغليق التعليق» (4/ 95).

(5) صحيح البخارى (3910).

(6) أحمد (6/ 206)، ومسلم (1423)، والترمذى (1093)، والنسائى (3236) (3377)، وابن ماجه (1990).

فى شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس فى ذلك الوقت: تزوجنى فى شوال، وبنى بى فى شوال - أى دخل بى فى شوال، فأى نسائه كان أحظى عنده منى؟ فدلّ هذا على أنها فهمت منه عليه الصلاة والسلام أنها أحب نسائه إليه، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت فى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص: قلت: يا رسول الله أى الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**». قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**».[1]

فصل

قال ابن جرير: وفى هذه السنة يعنى: السنة الأولى من الهجرة زيد فى صلاة الحضر فيما قيل ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، وذلك بعد مقدم النَّبى ﷺ المدينة بشهر فى ربيع الآخر لمضى اثنتى عشرة ليلة منه[2]، وقال: وزعم الواقدى أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه.

قلت: قد تقدم الحديث الذى رواه البخارى: من طريق معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر.[3] وروى من طريق الشعبى عن مسروق عنها. وقد حكى البيهقى عن الحسن البَصرى أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً[4] والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك فى تفسير سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ الآية (النساء: 101).

فصل في الأذان ومشروعيته عند مقدم النبي ﷺ المدينة النبوية

قال ابن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهرهم وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان، وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذى يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة، فبينا هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إنه طاف بى هذه الليلة طائف، مرَّ بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فى يده، فقلت: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

---

(1) هو فى «الصحيح» (3662) (4358).

(2) تاريخ الطبرى (2/ 400).

(3، 4) سبق تخريجهما.

فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: «**إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه، فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك**». فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو فى بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه وهو يقول: يا نبى الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى. فقال رسول الله ﷺ : «**فلله الحمد**». قال ابن إسحاق: فحدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، عن أبيه.[1] وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به، وصححه الترمذى وابن خزيمة وغيرهما. وعند أبى داود أنه علَّمه الإقامة قال: ثم تقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة، حى على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. وقد روى ابن ماجه هذا الحديث: عن أبى عبيد محمد بن عبيد بن ميمون، عن محمد بن سلمة الحرانى، عن ابن إسحاق كما تقدم. ثم قال: قال أبو عبيد: وأخبرنى أبو بكر الحكمى أن عبد الله بن زيد الأنصارى قال فى ذلك:

أحمد الله ذا الجلال وذا الإكـ * ـرام حمداً على الأذان كثيرا

إذ أتاني به البشير من الله * فأكرم به لديَّ بشيرا

في ليالٍ والى بهن ثلاث * كلما جاء زادني توقيرا

قلت: وهذا الشعر غريب، وهو يقتضى أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله ﷺ فالله أعلم. ورواه الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق[2] قال: وذكر الزهرى عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمى، ولم يذكر الشعر، وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطى، ثنا أبى عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهرى، عن سالم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ استشار الناس لما يهمهم إلى الصلاة، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى. فأرى النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصارى رسول الله ﷺ ليلاً فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن به. قال الزهرى: وزاد بلال فى نداء صلاة الغداة، الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرها رسول الله ﷺ. فقال عمر: يا رسول الله رأيت مثل الذى رأى ولكنه سبقنى[3]، وسيأتى تحرير هذا الفصل فى باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

(1) سيرة ابن هشام (1/ 400-401)، وإسناده حسن لأجل ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث.
وأخرجه أحمد (4/ 43)، والبخارى فى «خلق أفعال العباد» (ص 34، 35، 36)، وأبو داود (499)، والترمذى (189)، وابن ماجه (706)، والدارمى (1187)، وابن الجارود (158)، وابن خزيمة (371) (372)، وابن حبان (1679) من طرق عن محمد بن إسحاق، به.
قال الحافظ فى «التلخيص» (2/ 208)، وصححه جماعة من الأئمة الكبار مثل البخارى والذهبى والنووى، والحافظ نفسه والألبانى فى «صحيح الترمذى» (159).

(2) انظر إلى التخريج السابق.

(3) رواه ابن ماجه (707) وضعفه الشيخ فى «الضعيف منه» (148).

فأما الحديث الذى أورده السهيلى بسنده من طريق البزار: حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد، ثنا أبى عن زياد بن المنذر، عن محمد بن على بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن على بن أبى طالب فذكر حديث الإسراء. وفيه: «فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأمَّ بأهل السماء وفيهم آدم ونوح».[1] ثم قال السهيلى: وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويشاكله من حديث الإسراء. فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلى أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب إليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين، ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة فى الدعوة إلى الصلاة والله أعلم.

قال ابن هشام: وذكر ابن جريج قال: قال لى عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: ائتمر النبى ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس إذ رأى عمر فى المنام: لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبى ﷺ ليخبره بما رأى وقد جاء النبى ﷺ الوحى بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن. فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك: «**قد سبقك بذلك الوحى**»[2]. وهذا يدل على أنه قد جاء الوحى بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن امرأة من بنى النجار قالت: «كان بيتى من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة، فيأتى بسحر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطى، ثم قال: اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك. قالت: ثم يؤذن، قالت: والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة.[3] يعنى: هذه الكلمات» ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به.

فصل

فى سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه قال ابن جرير[4]: وزعم الواقدى: أن رسول الله ﷺ عقد فى هذه السنة فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبد المطلب لواء أبيض فى ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترض لعيرات قريش، وأن حمزة لقى أبا جهل فى

(1) «الروض» (4/ 384-385)، ورواه البزار (508) بحر، وهو فى «الكشف» (352)، وقال الهيثمى فى «المجمع» فيه زياد بن المنذر وهو مجمع على ضعفه.

(2) سيرة ابن هشام (1/ 402) وإسناده فيه انقطاع مع إرساله. وقد رواه عبد الرزاق (1775) عن ابن جريج قال: قال عطاء سمعت عبيد بن عمير، فذكره.

ورواه أبو داود فى «مراسيله» (20) عن عطاء، فذكره.

(3) **إسناده حسن**: وهو فى «السيرة» (1/ 402) وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

ورواه أبو داود (519)، وعنه البيهقى (1/ 425) وقال الحافظ فى «الفتح» (2/ 81): إسناده حسن وحسنه الألبانى فى «الإرواء» (229).

(4) «تاريخ الطبرى» (2/ 402).

ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدى بن عمرو ولم يكن بينهم قتال. قال: وكان الذى يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوى.

فصل

فى سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب قال ابن جرير[1]: وزعم الواقدى أيضاً: أن النبى ﷺ عقد فى هذه السنة على رأس ثمانية أشهر فى شوال لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ. وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة فبلغ ثنية المرة وهى بناحية الجحفة فى ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له: أحياء وكان بينهم الرمى دون المسايفة. قال الواقدى: وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر ابن حرب وهو المثبت عندنا. وقيل: كان عليهم مكرز بن حفص.

فصل

قال الواقدى: وفيها يعنى: فى السنة الأولى فى ذى القعدة عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبى وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن الأسود. فحدثنى أبو بكر ابن إسماعيل، عن أبيه، عن عامر بن سعد، عن أبيه. قال: خرجت فى عشرين رجلاً على أقدامنا، أو قال: أحد وعشرين رجلاً، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلىَّ أن لا أجاوز الخرار، وكانت العير قد سبقتنى قبل ذلك بيوم[2]. قال الواقدى: كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين. قال أبو جعفر بن جرير وعند ابن إسحاق أن هذه السرايا الثلاث التى ذكرها الواقدى كلها فى السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ.[3]

قلت: كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر لمن تأمله كما سنورده فى أول كتاب (المغازى) فى أول السنة الثانية من الهجرة وذلك يَلُو ما نحن فيه إن شاء الله، يحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا فى السنة الأولى، وسنزيدها بسطاً وشرحاً إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى. والواقدى عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالباً فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوق فى نفسه مكثار كما بسطنا القول فى عدالته وجرحه فى كتابنا الموسوم بـ(التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل) ولله الحمد والمنة.

فصل

وممن ولد فى هذه السنة المباركة وهى: الأولى من الهجرة عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد فى الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخارى[4] عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتى

(1) «تاريخ الطبرى» (2/ 402) وانظر: «المغازى» للواقدى (1/ 10-11).
(2) الواقدى (1/ 11)، والطبرى (2/ 403).
(3) الطبرى (2/ 403).
(4) تقدم قبل قليل.

الصديق رضى الله عنهما. ومن الناس من يقول: ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين، ومن الناس من يقول: إنهما ولدا فى السنة الثانية من الهجرة والظاهر الأول كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة، وسنشير فى آخر السنة الثانية إلى القول الثانى إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير: وقد قيل: إن المختار بن أبى عبيد وزياد بن سمية ولدا فى هذه السنة الأولى.[1] فالله أعلم.

وممن توفى فى هذه السنة الأولى من الصحابة: كلثوم بن الهدم الأوسى الذى نزل رسول الله ﷺ فى مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بنى النجار كما تقدم. وبعده فيها أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار توفى ورسول الله ﷺ يبنى المسجد كما تقدم رضى الله عنهما وأرضاهما.

قال ابن جرير: وفى هذه السنة يعنى: الأولى من الهجرة مات أبو أحيحة بماله بالطائف، ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى فيها بمكة.[2]

قلت: وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل.

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة من الحوادث

وقع فيها كثير من المغازى والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التى كانت فى رمضان منها، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل، والهدى والغى، وهذا أوان ذكر المغازى والبعوث فنقول وبالله المستعان:

كتاب المغازي

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب السيرة بعد ذكره أحبار اليهود ونصبهم العداوة للإسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات: فمنهم حيى بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدى، وسلام ابن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وسلام بن أبى الحقيق وهو أبو رافع الأعور، تاجر أهل الحجاز وهو الذى قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتى، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف وهو من طيئ. ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير، وقد قتله الصحابة قبل أبى رافع كما سيأتى، وحليفاه الحجاج بن عمرو، وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بنى النضير، ومن بنى ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن صوريا، ولم يكن بالحجاز أحد أعلم بالتوراة منه.

---

(1) «تاريخ الطبرى» (2/ 402).
(2) «تاريخ الطبرى» (2/ 398).

قلت: وقد قيل: أنه أسلم، وابن صلوبا ومخيريق وقد أسلم يوم أحد كما سيأتي، وكان حبر قومه. ومن بني قينقاع: زيد بن اللصيت، وسعد بن حنيف، ومحمود بن سيحان، وعزيز بن أبي عزيز، وعبد الله بن صيف، وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفنحاص وأشيع ونعمان بن أضا، وبحرى بن عمرو، وشأس بن عدى، وشأس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمرو، وسكين بن أبي سكين، وعدى بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس. ومحمود بن دحية، ومالك ابن صيف، وكعب بن راشد، وعازر ورافع بن أبي رافع، وخالد وأزار بن أبي أزار. قال ابن هشام: ويقال: آزر بن أبي آزر، ورافع بن حارثة، ورافع بن حريملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبد الله بن سلام.

قلت: وقد تقدم إسلامه رضى الله عنه. قال ابن إسحاق: وكان حبرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله.

قال ابن إسحاق: ومن بني قريظة: الزبير بن باطا بن وهب، وعزال بن شمويل، وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذى نقضوه عام الأحزاب، وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سكينة، والنحام بن زيد، وكردم بن كعب، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وعدى بن زيد، والحارث بن عوف، وكردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رميلة، وجبل بن أبي قشير، ووهب بن يهوذا. قال: ومن بني زريق: لبيد بن أعصم وهو الذى سحر رسول الله ﷺ. ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صوريا. ومن يهود بني عمرو بن عوف: قردم بن عمرو. ومن يهود بني النجار: سلسلة بن برهام.

قال ابن إسحاق: فهؤلاء أحبار يهود أهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ، وأصحابه رضى الله عنهم، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنت والعناد والكفر، قال: وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليطفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق.[1] ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام وإسلام عمته خالدة كما قدمناه، وذكر إسلام مخيريق يوم أحد كما سيأتي وأنه قال لقومه وكان يوم السبت: يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يرى فيها ما أراه الله، وكان كثير الأموال ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضى الله عنه. قال فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني: «**مخيريق خير يهود**».[2]

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ مَالَ إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج

(1) كل ما سبق ذكره ابن إسحاق في «السيرة» (1/ 405-406).

(2) السيرة (1/ 410)، وانظر «الدلائل» للبيهقي (2/ 530) وقد سبق ذكر ذلك.

وقوله: «مخيريق خير يهود» ضعيف جداً - رواه ابن سعد (1/ 388)، وعمر بن شبة في «أخبار المدينة» (1/ 112/ 507)، وإسناده ضعيف جداً.

فمن الأوس: زوى بن الحارث، وجلاس بن سويد بن الصامت الأنصارى، وفيه نزل: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ (التوبة:74) وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمر، فنماها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك. قال: وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير. قال: وأخوه الحارث بن سويد، وهو الذى قتل المجذر بن ذياد البلوى، وقيس بن زيد أحد بنى ضبيعة يوم أحد، خرج مع المسلمين وكان منافقاً فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش.[1]

قال ابن هشام: وكان المجذر قد قتل أباه سويد بن الصامت فى بعض حروب الجاهلية فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد، كذا قال ابن هشام. وقد ذكر ابن إسحاق أن الذى قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله فى غير حرب قبل يوم بعاث رماه بسهم فقتله. وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد، قال: لأن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد.[2]

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ، أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه، فأنزل الله فيما بلغنى عن ابن عباس: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:86) إلى آخر القصة.[3] قال: وبجاد بن عثمان بن عامر، ونبتل بن الحارث وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ: **«من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا»**. وكان جسيماً أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذى قال: إنما محمد أذن، من حدثه بشيء صدقه. فأنزل الله فيه: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ الآية (التوبة:61).[4] قال: وأبو حبيبة بن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرار، وثعلبة بن حاطب[5]، ومعتب بن قشير، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نكثا، فنزل فيهما ذلك، ومعتب هو الذى قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا فنزل فيه الآية.[6] وهو الذى قال يوم الأحزاب: كأن محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى

---

(1) «السيرة» (1/ 413).

(2) سيرة ابن هشام (1/ 313).

(3) «السيرة» (1/ 313) معلقًا – وأخرجه موصولاً عن ابن عباس ابن أبي حاتم في «تفسيره» (914) (924)، وابن جرير (3/ 240)، والنسائي (7/ 107)، وابن حبان (4477)، والحاكم (2/ 142)، وأحمد (2218) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس، وإسناده صحيح.

(4) «السيرة» (1/ 414) معلقًا، وعنه الطبري (16915)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص 206).

(5) ليس هذا بصحيح فذكر ثعلبة من المنافقين ونزول الآيات فيه غير صحيح فلم يصح من ذلك شيء كما بينت في «السيرة».

(6) «السيرة» (1/ 414) ورواه ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق، قال المؤلف في «تفسيره» (1/ 154)، إسناده صحيح، قلت: إن كان موصولاً فإسناده حسن.

وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب:12).(1)

قال ابن إسحاق: والحارث بن حاطب. قال ابن هشام: ومعتب بن قشير، وثعلبة والحارث ابنا حاطب، وهما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم. قال: وقد ذكر ابن إسحاق: ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وبحزج، وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن خذام وعبد الله بن نبتل، وجارية بن عامر بن العطاف، وابناه يزيد ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار، وكان مجمع غلاماً حدثاً قد جمع أكثر القرآن وكان يصلى بهم فيه، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتى بيانه بعد غزوة تبوك وكان فى أيام عمر سأل أهل قباء عمر أن يصلى بهم مجمع فقال: لا والله، أو ليس إمام المنافقين فى مسجد الضرار؟ فحلف بالله ما علمت بشىء من أمرهم فزعموا: أن عمر تركه فصلى بهم. قال: ووديعة بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذى قال: إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك. قال: وخذام بن خالد وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره. قال ابن هشام مستدركاً على ابن إسحاق فى منافقى بنى النبيت من الأوس وبشر ورافع ابنا زيد.(2) قال ابن إسحاق: ومربع بن قيظى وكان أعمى وهو الذى قال لرسول الله ﷺ حين أجاز فى حائطه وهو ذاهب إلى أحد: لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر فى حائطى وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لرميتك بها، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ : **«دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر»**. وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلى بالقوس فشجه.

قال: وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى قال: إن بيوتنا عورة. قال الله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب:13). قال: وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخاً جسيماً قد عسا فى جاهليته، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له: يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات، فحمل إلى دار بنى ظفر. فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون: أبشر بالجنة يا بن حاطب. قال: فنجم نفاق أبيه فجعل يقول: أجل جنة من حرمل، غررتم والله هذا المسكين من نفسه. قال: وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ (النساء:107) الآيات.(3) قال: وقزمان حليف لبنى ظفر الذى قتل يوم أحد سبعة نفر، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال: والله ما قاتلت إلا حمية على قومى ثم مات لعنه الله. قال ابن إسحاق: ولم يكن فى

---

(1) رواه في «السيرة» (1/ 415)، وابن جرير (28378) بنحوه.

(2) «السيرة» (1/ 415).

(3) **حسن** : هو في «السيرة» (1/ 417)، وأخرجه الترمذي (3036) من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم ابن عمر عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (2432).

بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الأوس.(1)

قال ابن إسحاق: ومن الخزرج: رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهل، والجد بن قيس وهو الذى قال: ﴿ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي﴾ (التوبة:49).(2) وعبد الله بن أُبىّ بن سلول، وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضاً، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم فى الجاهلية، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغاظه ذلك جداً، وهو الذى قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ (المنافقون:8)، وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً. وفيه وفى وديعة رجل من بنى عوف ومالك بن أبى قوقل، وسويد وداعس، وهم من رهطه نزل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ (الحشر:12) الآيات حين مالوا فى الباطن إلى بنى النضير.(3)

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق مَنْ أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفاراً فى الباطن فأتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرهم: سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا أعلم إلا ما علمنى الله، وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها**». فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك.(4) قال: ونعمان ابن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حريملة، وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات فيما بلغنا: «**قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين**»(5). ورفاعة بن زيد بن التابوت: وهو الذى هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال: «**إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار**». فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات فى ذلك اليوم، وسلسلة بن برهام، وكنانة ابن صوريا(6)، فهؤلاء ممن أسلم من منافقى اليهود.

---

(1) «السيرة» (1/ 417).

(2) «السيرة» (1/ 418)، ورواه الطبراني (11052) بسند ضعيف، والطبراني (12654) بسند ضعيف، والطبري (16802) بسند ضعيف، عن ابن عباس.

(3) «السيرة» (1/ 419) وعزاه السيوطي لأبي نعيم في «الدلائل» عن ابن عباس.

(4) «السيرة» (1/ 420) معلقًا، ورواه البيهقي في «الدلائل» (5/ 232) من طريق ابن إسحاق عن عاصم، مرسلاً ورواه الواقدي في «المغازي» (3/ 1009) وإسناده ضعيف جداً وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 447-448) عن عروة مرسلاً مطولاً بسند ضعيف.

(5) في «السيرة» (1/ 420) معلقاً.

(6) **صحيح**: «السيرة» (1/ 420) معلقًا ورواه البيهقي في «الدلائل» (4/ 61) من طريق ابن إسحاق عن شيوخه الذين روي عنهم قصة بني المصطلق - فذكره.

ووصله مسلم (2145) (2146) من طريق حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر - فذكره.

قال: فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم فاجتمع فى المسجد يوماً منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بنى النجار وكان صاحب آلهتهم فى الجاهلية فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول لعنه الله : أتخرجنى يا أبا أيوب من مربد بنى ثعلبة؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجارى فلببه بردائه، ثم نتره نتراً شديداً ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول: أف لك منافقاً خبيثاً. وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو وكان طويل اللحية فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة يديه جميعاً فلدمه بهما لدمة فى صدره خر منها قال: يقول: خدشتنى يا عمارة، فقال عمارة: أبعدك الله يا منافق فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وكان بدرياً إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شاباً وليس فى المنافقين شاب سواه فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه. وقام رجل من بنى خدرة إلى رجل يقال له: الحارث بن عمرو وكان ذا جمة فأخذ بجمته فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مرَّ به من الأرض حتى أخرجه، فجعل يقول المنافق: قد أغلظت يا أبا الحارث. فقال: إنك أهلٌ لذلك، أى عدو الله لما أنزل فيك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجس، وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه إخراجاً عنيفاً وأفف منه، وقال: غلب عليك الشيطان وأمره. ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة وغيرها ومن سورة التوبة، وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد رحمه الله.[1]

ذكر أول المغازي وهي غزوة الأبواء ويقال لها غزوة ودان وأول البعوث وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي

قال البخاري: كتاب المغازى. قال ابن إسحاق: أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة، ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل: كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال: تسع عشرة شهد منها سبع عشرة أولهن العسيرة أو العشيرة.[2] وسيأتى الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله وبه الثقة. وفى صحيح البخارى عن بريدة قال: غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة[3]، ولمسلم عنه: أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة[4]. وفى رواية له عنه: أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة وقاتل فى ثمانى منهن[5]. وقال الحسين بن واقد:

(1) «السيرة» (1/ 422).
(2) البخاري (3949)، وانظر «الفتح» (7/ 297).
(3) البخاري (4473)، وأحمد (22953) (22954).
(4) مسلم (1814) (147).
(5) مسلم (1814) (146).

عن ابن بريدة، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمان: يوم بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وقديد، وخيبر، ومكة، وحنين. وبعث أربعاً وعشرين سرية.[1]

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي التنوخي، ثنا الهيثم بن حميد، أخبرني النعمان، عن مكحول: أن رسول الله ﷺ غزا ثماني عشرة غزوة، قاتل في ثمان غزوات، أولهن بدر، ثم أحد، ثم الأحزاب، ثم قريظة، ثم بئر معونة، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة مكة، ثم حنين والطائف.[2] قوله: بئر معونة بعد قريظة فيه نظر، والصحيح: أنها بعد أحد كما سيأتي. قال يعقوب: حدثنا سلمة بن شبيب، ثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، سمعت سعيد بن المسيب يقول: غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة، وسمعته مرة أخرى يقول: أربعاً وعشرين[3]، فلا أدري أكان ذلك وهماً أو شيئاً سمعه بعد ذلك.

وقد روى الطبراني، عن الدبري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة[4]. وقال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا سعيد بن سلام، ثنا زكريا بن إسحاق، حدثنا أبو الزبير، عن جابر. قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة.[5] قد روى الحاكم من طريق هشام، عن قتادة: أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين. ثم قال الحاكم: لعله أراد السرايا دون الغزوات فقد ذكرت في الإكليل على الترتيب بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المائة. قال: وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى: أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر السرايا والبعوث دون الحروب نيفاً وسبعين[6]، وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً، وحمله كلام قتادة على ما قال فيه نظر.

وقد روى الإمام أحمد، عن أزهر بن القاسم الراسبي، عن هشام الدستوائي، عن قتادة: أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون، أربع وعشرون بعثاً وتسع عشرة غزوة. خرج في ثمان منها بنفسه: بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وقرير وخيبر، وفتح مكة، وحنين[7]. وقال موسى بن عقبة: عن الزهري: هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق وهو يوم الأحزاب وبني قريظة في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان من سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف

(1) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (5/ 459) من طريق حسين بن واقد، به. وإسناده صحيح.

(2) رواه في «المعرفة والتاريخ» (3/ 300) وهو معضل.

(3) رواه في «المعرفة والتاريخ» (3/ 300-301) وإسناده مرسل صحيح.

(4) أخرجه عبد الرزاق (9659) وهو مرسل إسناده صحيح.

(5) «الدلائل» (5/ 460) إسناده ضعيف.

(6) «الدلائل» (5/ 462) عن قتادة، مرسلاً.

(7) «الدلائل» (5/ 462) مرسلاً.

في شوال سنة ثمان. ثم حج أبو بكر سنة تسع، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر، وغزا ثنتى عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال، وكانت أول غزوة غزاها الأبواء.[1]

وقال حنبل بن إسحاق عن هلال بن العلاء، عن عبد الله بن جعفر الرقى، عن مطرف بن مازن اليمانى، عن معمر، عن الزهرى قال: أول آية نزلت فى القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ الآية (الحج:39) بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان إلى أن قال: ثم غزا بنى النضير، ثم غزا أحداً فى شوال يعنى: من سنة ثلاث. ثم قاتل يوم الخندق فى شوال سنة أربع، ثم قاتل بنى لحيان فى شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح فى شعبان سنة ثمان، وكانت حنين فى رمضان سنة ثمان. وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها، فكانت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ : الأبواء، ثم العشيرة، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة بنى سليم، ثم غزوة الأبواء، ثم غزوة بدر الأولى، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة الصفراء، ثم غزوة تبوك آخر غزوة. ثم ذكر البعوث، هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر[2] وهو غريب جداً، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتباً.

وهذا الفن مما ينبغى الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدى، عن عبد الله بن عمر بن على، عن أبيه، سمعت على بن الحسين يقول: كنا نعلم مغازى النبى ﷺ كما نعلم السورة من القرآن.[3] قال الواقدى: وسمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت عمى الزهرى يقول فى علم المغازى: علم الآخرة والدنيا.[3]

وقال محمد بن إسحاق[4] رحمه الله فى (المغازى) بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين لعنهم الله أجمعين وجمعهم فى أسفل سافلين: ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين. قال: وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة، فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيّع الآخر وجمادين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وذا الحجة، وولى تلك الحجة المشركون. والمحرم، ثم خرج رسول الله ﷺ غازياً فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سعد بن عبادة.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ ودان وهى غزوة الأبواء. قال ابن جرير: ويقال لها: غزوة ودان أيضاً، يريد قريشاً وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذى وادعه منهم مخشى بن عمرو الضمرى، وكان سيدهم فى زمانه ذلك. ورجع رسول الله ﷺ إلى

---

(1) أخرجه الفسوي (3/ 302-303) من طريق موسى بن عقبة، وهو من مراسيل الزهري.

(2) إسناده موضوع، مطرف بن مازن كذبه يحيى بن معين ولم أعثر عليه في تاريخه.

(3) **لا يصح** : أخرجه الخطيب في «الجامع لآداب الشيخ» (2/ 195)، من طريق الواقدي - وهو متروك.

(4) سيرة ابن هشام (1/ 590)، و«الدلائل» (3/ 10).

المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول.[1] قال ابن هشام: وهى أول غزوة غزاها عليه السلام.[2] قال الواقدى: وكان لواؤه مع عمه حمزة، وكان أبيض.[3] قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ فى مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ابن قصى فى ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعاً عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمى به فى سبيل الله فى الإسلام[4] ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمينّ حامية. وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة، وعتبة بن غزوان بن جابر المازنى حليف بنى نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار. قال ابن إسحاق: وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبى جهل. وروى ابن هشام، عن أبى عمرو ابن العلاء، عن أبى عمرو المدنى أنه قال: كانّ عليهم مكرز بن حفص.

قلت: وقد تقدم عن حكاية الواقدى قولان: أحدهما: أنه مكرز. والثانى: أنه أبو سفيان صخر ابن حرب، وأنه رجح أنه أبو سفيان فالله أعلم. ثم ذكر ابن إسحاق[5] القصيدة المنسوبة إلى أبى بكر الصديق فى هذه السرية التى أولها:

أمِن طَيْفِ سَلْمَى بالبِطاحِ الدَّمائِثِ * أَرِقْتَ وأَمْـرٍ في العشيرةِ حادثِ

تَرَى مِن لِؤَيٍّ فِرْقَةً لا يَصُدُّها * عن الكفرِ تَذْكِيرٌ ولا بَعْثُ باعثِ

رسولٌ أتاهم صادقٌ فتَكَذَّبوا * عليه وقالوا لستَ فينا بماكِثِ

إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا * وهروا هرير المحجرات اللواهث

القصيدة إلى آخرها، وذكر جواب عبد الله بن الزبعرى فى مناقضتها التى أولها:

أمِن رَسْمِ دارٍ أَقْفَرَتْ بالعَثاعِثِ * بَكَيْتَ بعينٍ دمُعها غيرُ لابثِ

ومِن عَجَبِ الأيامِ والدهرُ كلُّه * له عَجَبٌ مِن سابقاتٍ وحادثِ

لجيشٍ أتانا ذي عُرامٍ يَقُودُه * عُبَيْدَةُ يُدْعَى في الهِياجِ ابنَ حارثِ

لِنَتْرُكَ أصنامًا بمكَّةَ عُكَّفًا * مَواريثَ موروثٍ كريمٍ لِوارثِ

(1) «السيرة» (1/ 481) وعنه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص 19)، ورواه ابن سعد (2/ 5)، والطبراني في «الكبير» (17/ 16) رقم (12، 13)، وابن عدي (6/ 58)، وإسناده ضعيف جداً.

(2) «السيرة» (1/ 481).

(3) المغازي للواقدي (1/ 11، 12).

(4) قال الحافظ في «الفتح» (7/ 224): ذكره أبو الأسود في «مغازيه» ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما وصل الأبواء بعث عبيدة بن الحرث في ستين رجلاً فذكر نحوه. وانظر «مغازي الواقدي» (1/ 10-11)، والطبقات (2/ 7).

(5) روى عبد الرزاق (20507) من طريق معمر عن الزهري. قال: بلغنا أن عائشة كانت تدعو كل من كان يقول إن أبا بكر كان يقول الشعر، ولقد ترك هو وعثمان الخمر في الجاهلية أفهو يشرب الخمر في الإسلام؟ أو هو يقول؟ وانظر: «الروض» للسهيلي (3/ 26).

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الإمام عبد الملك بن هشام رحمه الله - وكان إماماً فى اللغة- ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين.

قال ابن إسحاق[1]: وقال سعد بن أبى وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون:

ألاَ هَلْ أتَى رســــولَ اللهِ أنّى	*	حَمَيْتُ صَحابَتى بصدورِ نَبْلِى
أذُودُ بهــــا أوائلَـهم ذِيادًا	*	بكلِّ حُــزُونةٍ وبكلِّ سَــهْلِ
فمـا يَعْـتَـدُّ رامٍ في عَـدُوٍّ	*	بسـهمٍ يا رسـولَ اللهِ قَـبْلِى
وذلك أنَّ دِينَك دينُ صِــدْقٍ	*	وذو حقٍّ أتَيْتَ به وفَــضْلِ
يُنَجَّى المؤمنون به ويُخْــزَى	*	به الكفارُ عندَ مَقامِ مَهْلِ
فمهلاً قد غَوَيْتَ فلا تَعِبْنى	*	غَوِىَّ الحيِّ وَيْحَك يا بنَ جَهْلِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد. قال ابن إسحاق: فكانت راية عبيدة -فيما بلغنا- أول راية عقدها رسول الله ﷺ فى الإسلام لأحد من المسلمين.[2] وقد خالفه الزهرى وموسى بن عقبة والواقدى فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث والله أعلم. وسيأتى فى حديث سعد بن أبى وقاص: أن أول أمراء السرايا عبد الله بن جحش الأسدى.

قال ابن إسحاق: وبعض العلماء يزعم: أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهرى.[3]

فصل

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ فى مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان موادعاً للفريقين جميعاً فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال.[4] قال ابن إسحاق: وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً فشبه ذلك على الناس.[5]

قلت: وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهرى أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء. فلما قفل عليه السلام من الأبواء بعث عبيدة بن الحارث فى ستين من المهاجرين، وذكر نحو ما تقدم.[6] وقد تقدم عن الواقدى أنه قال: كانت سرية حمزة فى

---

(1) «السيرة» (1/ 484).
(2) «السيرة» (1/ 485).
(3) «السيرة» (1/ 485)، و«الدلائل» (3/ 8).
(4،5) «السيرة» (1/ 486).
(6) البيهقي (3/ 8، 9) دلائل.

رمضان من السنة الأولى، وبعدها سرية عبيدة فى شوال منها والله أعلم. وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضى الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت فى الإسلام، لكن قال ابن إسحاق: فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال، لم يكن يقول إلا حقاً، فالله أعلم أى ذلك كان. فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول. والقصيدة هى قوله:

ألاَ يا لَقَـوْمِي لِلتَّـحَلُّمِ والجـهلِ * وللنقصِ من رَأْيِ الرجـالِ وللعـقلِ

وللراكـبـينا بالمظالمِ لم نَطَأْ * لهمْ حُـرُمـاتٍ من سَـوامٍ ولا أهلِ

كـأنا تَبَلْناهم ولا تَبْلَ عندَنا * لهمْ غـيـرُ أمـرٍ بالعَـفافِ وبالعَـدْلِ

وأمــرٍ بإســلامٍ فـلا يَقْـبلُونه * ويَنْزِلُ منهمْ مـثلَ منزلةِ الهَـزْلِ

فـمـا بَرحـوا حتى انتَـدبْتُ لغـارةٍ * لهم حيثُ حلوا أبتغي راحةَ الفَضْلِ

بـأمــرِ رســولِ اللهِ أولُ خــافقٍ * عليـه لواءٌ لم يَكُنْ لاحَ مِن قَـبْلِ

لواءٌ لديه النصـرُ من ذي كَـرامـةٍ * إلهٍ عـزيزٍ فـعْلُه أفـضلُ الفـعلِ

عَـشيَّـةَ سـاروا حـاشـدين وكلُّنا * مَـراجِلُه من غيظِ أصحـابه تَغْلِي

فَلَمَّـا تَراءَيْنا أناخـوا فـعَـقَّلوا * مَطايا وعقَّلْنا مَـدَى غَرَضِ النَّبْلِ

وقلنا لهم حَـبْلُ الإلهِ نَصـيـرُنا * ومـا لكمُ إلا الضـلالةُ من حـبلِ

فـثـارَ أبو جـهلٍ هنالك باغـيًـا * فـخـابَ وردَّ اللهُ كـيـدَ أبي جـهلِ

ومـا نحن إلا في ثلاثينَ راكـبًـا * وهم مـائتـان بعدَ واحـدةٍ فَـضْلِ

فـيَـالَ لُؤَيٍّ لا تُطيـعـوا غُـواتَكم * وفيئوا إلى الإسلامِ والمنهجِ السهلِ

فـإنى أخـافُ أن يُصَبَّ عليكمُ * عَذابٌ فـتَـدْعُوا بالندامةِ والثُّكْلِ

قال: فأجابه أبو جهل ابن هشام لعنه الله فقال:

عَجِبْتُ لأسبابِ الحَفيظةِ والجهلِ * وللشـاغـبينَ بالخـلافِ وبالبُطْلِ

وللتـاركين مـا وَجَـدْنا جـدودَنا * عليه ذوِى الأحسابِ والسُّؤْدُدِ الجَزْلِ

ثم ذكر تمامها.[1] قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضى الله عنه ولأبى جهل لعنه الله.

غـزوة بُـواط من نـاحيـة رَضْـوَى

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الأول يعنى: من السنة الثانية يريد قريشاً.[2] قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.[3] وقال الواقدى: استخلف

(1) «السيرة» (1/ 486).
(3،2) «السيرة» (1/ 487).

عليها سعد بن معاذ. وكان رسول الله ﷺ فى مائتى راكب، وكان لواؤه مع سعد بن أبى وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير.(1)

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى.(2)

ثم غذا قريشاً. يعنى بذلك الغزوة التى يقال لها: غزوة العشيرة. وبالمهملة، والعشير وبالمهملة، والعشيراء وبالمهملة.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.(3) قال الواقدى: وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب. قال: وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام.(4)

قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بنى دينار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها: ذات الساق فصلى عندها فثَمَّ مسجده، فصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه، فرسوم أثافى البرمة معلوم هنالك، واستقى له من ماء يقال له: المشيرب. ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار وسلك شعبة عبد الله، ثم صب لليسار حتى هبط يليل، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة، ثم سلك فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليال من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.(5) وقد قال البخارى: حدثنا عبد الله، ثنا وهب، ثنا شعبة، عن أبى إسحاق. قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل له: كم غزا النبى ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة. قلت: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة غزوة، قلت: فأيهن كانت أول؟ قال: العشير أو العسيرة فذكرت لقتادة فقال: العشيرة.(6) وهذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة، ويقال: بالسين وبهما مع حذف التاء، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبى ﷺ زيد بن أرقم العشيرة وحينئذٍ لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم.

قال محمد بن إسحاق: ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعلى ما قال. فحدثنى يزيد بن محمد بن خثيم، عن محمد بن كعب القرظىً، حدثنى أبو يزيد محمد بن خثيم، عن عمار بن ياسر. قال: كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة من بطن ينبع، فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً فصالح بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة فوادعهم. فقال لى على بن أبى طالب:

---

(1) طبقات ابن سعد (2/ 8)، وتاريخ خليفة (ص 57)، والروض (3/ 27)، وتاريخ الإسلام (2/ 47).
(3،2) «السيرة» (1/ 486).
(4) «الطبقات» (2/ 9).
(5) «السيرة» (1/ 488).
(6) **صحيح** : البخاري (3949)، وراجع تعليق الحافظ في «الفتح» (7/ 224)، وانظر: صحيح مسلم (1254)، وأحمد (4/ 368، 370)، والترمذي (1727).

هل لك يا أبا اليقظان أن نأتى هؤلاء النفر من بنى مدلج يعملون فى عين لهم ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا إلى صور من النخل فى دقعاء من الأرض فنمنا فيه. فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلى: «**يا أبا تراب**» لما عليه من التراب فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: «**ألاّ أخبركم بأشقى الناس رجلين ؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. فقال: «**أحيمر ثمود الذى عقر الناقة، والذى يضربك يا على على هذه** -ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه- **حتى يبل منها هذه ووضع يده على لحيته**»[1]. وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر فى تسمية على أبا تراب كما فى صحيح البخارى: أن علياً خرج مغاضباً فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت: خرج مغاضباً فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: «**قم أبا تراب قم أبا تراب**».[2]

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق: ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليال قلائل لا تبلغ العشرة، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر، وهى غزوة بدر الأولى، وفاته كرز فلم يدركه.[3] وقال الواقدى: وكان لواؤه مع على بن أبى طالب.[4] قال ابن هشام والواقدى: وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة.[5]

قال ابن إسحاق: فرجع رسول الله ﷺ فأقام جمادى ورجباً وشعبان وقد كان بعث بين يدى ذلك سعداً فى ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز. -قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة- ثم رجع ولم يلق كيداً.[6] هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً، وقد تقدم ذكر الواقدى لهذه البعوث الثلاثة، أعنى بعث حمزة فى رمضان، وبعث عبيدة فى شوال، وبعث سعد فى ذى القعدة كلها فى السنة الأولى.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنى عبد المتعال بن عبد الوهاب، حدثنى يحيى بن سعيد. قال عبد الله ابن الإمام أحمد: وحدثنى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى، حدثنا أبى، ثنا المجالد، عن زياد ابن علاقة، عن سعد بن أبى وقاص، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا: إنك قد

---

(1) «السيرة» (1/ 489) وإسناده ضعيف محمد بن خثيم فيه جهالة تفرد عنه محمد بن كعب وقال الذهبي: لا يعرف، ولم يسمع يزيد بن محمد ومحمد بن خثيم ولا ابن خثيم من عمار.

(2) أخرجه البخاري (441)، (6280) وسيأتي.

(3) «السيرة» (2/ 205).

(4) المغازي للواقدي (1/ 12).

(5) المغازي (1/ 12)، والطبقات (2/ 9)، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (1/ 358)، وتاريخ الذهبي (2/ 48).

(6) «السيرة» (2/ 205).

نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى نأتيك وتؤمنا، فأوثق لهم فأسلموا قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا: لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبي الله ﷺ فنخبره، وقال قوم: لا بل نقيم ههنا، وقلت أنا في أناس معي: لا بل نأتي عير قريش فنقتطعها. وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه. فقال: «**أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرقين، إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لأبعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش**». فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير في الإسلام.[1]

وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه: لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقالوا: نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام. ثم رواه من حديث أبي أسامة عن مجالد، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك، عن سعد بن أبي وقاص فذكر نحوه. فأدخل بين سعد وزياد قطبةَ بن مالك وهذا أنسب[2]، والله أعلم.

وهذا الحديث يقتضي أن أول أمراء السرايا: عبد الله بن جحش الأسدي وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات: عقدت لحمزة بن عبد المطلب.[3] والله أعلم.

باب سرية عبد الله بن جحش التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب مَقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وهم: أبو حذيفة ابن عتبة، وعكّاشة بن محصن بن حرثان حليف بني أسد بن خزيمة، وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدي، وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدي أيضاً، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدي أيضاً، وسهيل بن بيضاء الفهري، فهؤلاء سبعة ثامنهم: أميرهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه. وقال يونس: عن ابن إسحاق: كانوا ثمانية وأميرهم التاسع.[4] فالله أعلم، وستأتي تسميتهم على خلاف ما قال ابن إسحاق.

---

(1) هو في «المسند» (1539)، وإسناده ضعيف لعلتين: الأولى: ضعف مجالد، والثانية: الانقطاع فلم يسمع زياد من سعد.

وأخرجه ابن أبي شيبة (14/ 123)، والبزار (1757)، والبيهقي «دلائل» (3/ 14) من طريق مجالد، به.

(2) الدلائل (3/ 14-15) وهو ضعيف كما سبق.

(3) «الطبقات» (2/ 6)، وانظر «تاريخ الطبري» (2/ 405).

(4) «السيرة» (2/ 206-207)، و«الدلائل» (3/ 2018).

قال ابن إسحاق: وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضى لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً. فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: إذا نظرت فى كتابى فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم، فلما نظر فى الكتاب قال: سمعاً وطاعة وأخبر أصحابه بما فى الكتاب. وقال: قد نهانى أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد. وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن، فوق الفرع يقال له: بحران، أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمى.

قال ابن هشام: واسم الحضرمى عبد الله بن عباد الصدفى.(1) قال السهيلى وقيل غير ذلك فى نسبه.(2) وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأشرف لهم عكّاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه. فلما رأوه أمنوا، وقال عمار: لا بأس عليكم منهم، وتشاور الصحابة فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب، فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام فتردد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم. فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ. وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس فعزله، وقسم الباقى بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الخمس.

قال: لما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله.(3) قال ابن إسحاق، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: «**ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام**» فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أُسقط فى أيدى القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال، فقال مَنْ يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان، وقالت يهود: تفائل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله، عمرو عمرت الحرب، والحضرمى حضرت الحرب، وواقد بن عبد الله وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

---

(1) «السيرة» (2/ 207).

(2) «الروض» (5/ 79-80).

(3) «السيرة» (2/ 208)، والطبقات (2/ 210)، و«تاريخ الذهبي (2/ 50).

فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ (البقرة:217). أى: إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾، أى: قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ الآية.

قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت قريش فى فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ : «**لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا** -يعنى: سعد بن أبى وقاص وعتبة ابن غزوان- **فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم**». فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله ﷺ . فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً. قال ابن إسحاق: فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا فى الأجر، فقالوا يا رسول الله: أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (البقرة:218) فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء.

قال ابن إسحاق: والحديث فى ذلك عن الزهرى ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير.[1] وهكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى[2] وكذا روى شعيب عن الزهرى عن عروة نحواً من هذا وفيه: وكان ابن الحضرمى أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين.[3] وقال عبد الملك ابن هشام: هو أول قتيل قتله المسلمون، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون.[4]

قلت: وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد: عن سعد بن أبى وقاص أنه قال: فكان عبد الله بن جحش أول أمير فى الإسلام.[5] وقد ذكرنا فى التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مسندة فمن

---

(1) **حسن** : السيرة (2/ 208-209)، ورواه ابن جرير (4085)، والبيهقي في «السنن» (9/ 58-59)، وفي «الدلائل» (3/ 18-19) من طريق ابن إسحاق له بهذا الإسناد. وهو حسن فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.
وقد جاء جبير بن مطعم، وجندب بن عبد الله وغيرهما كما بينت ذلك في «السيرة».

(2) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (3/ 20) من طريق موسى بن عقبة، به.

(3) أخرجه البيهقي (3/ 17) من طريق شعيب، به.

(4) «السيرة» (2/ 209).

(5) تقدم أنه ضعيف.

ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، حدثنى الحضرمى، عن أبى السوار، عن جندب بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح -أو عبيدة بن الحارث- فلما ذهب ينطلق بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فجلس، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا. وقال: «**لا تكرهن أحداً على السير معك من أصحابك**» فلما قرأ الكتاب استرجع وقال سمعاً وطاعة لله ولرسوله، فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمى فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم فى الشهر الحرام، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ الآية.(1)

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره: عن أبى مالك، وعن أبى صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر، وأبو حذيفة ابن عتبة، وسعد بن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان، وسهل بن بيضاء، وعامر بن فهيرة، وواقد بن عبد الله اليربوعى حليف لعمر بن الخطاب، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه: أنْ سرْ حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه: من كان يريد الموت فليمض وليوص فإننى موص وماض لأمر رسول الله ﷺ فسار وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فأقاما يطلبانها، وسارَ هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فإذا هو بالحكم ابن كيسان، والمغيرة بن عثمان، وعبد الله بن المغيرة. فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرمى ورجعوا بالغنيمة والأسيرين فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون. وقال المشركون: إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا فى رجب. وقال المسلمون: إنما قتلناه فى جمادى.(2) قال السدى: وكان قتلهم له فى أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة.

قلت: لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين، وقد كان الهلال رؤى تلك الليلة فالله أعلم. وهكذا روى العوفى عن ابن عباس أن ذلك كان فى آخر ليلة من جمادى، وكانت أول ليلة من رجب، ولم يشعروا.(3) وكذا تقدم فى حديث جندب الذى رواه ابن أبى حاتم. وقد تقدم فى سياق ابن إسحاق أن ذلك كان فى آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك فى الحرم فيتعذر عليهم ذلك فأقدموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهرى

---

(1) رواه الطبراني (1670)، وابن جرير (4092) من طريق المعتمد بن سليمان، به. وقال الألباني في «تحقيق السيرة» (252). سنده صحيح.

(2) أخرجه الطبري (2/ 349) وهو إسناد مركب من أربعة أسانيد، وهي بمجموعها (حسن).

وفي الباب عن مقسم عن ابن عباس بسند صحيح.

(3) الطبري (2/ 350) وسنده ضعيف.

عن عروة رواه البيهقى[1]، فالله أعلم أى ذلك كان. قال الزهرى عن عروة فبلغنا «أن رسول الله ﷺ عَقَلَ ابن الحضرمى وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة» رواه البيهقى.[2]

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق فى غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام. قال ابن هشام: هى لعبد الله بن جحش:

تَعُدُّون قَتْلاً في الحرامِ عظيمةً * وأعظمُ منه لو يَرَى الرُّشْدَ راشدُ
صُدُودُكمُ عَمَّا يَقُولُ محمدٌ * وكُفْرٌ به واللهُ راءٍ وشاهِدُ
وإخراجُكم مِن مسجدِ اللهِ أهلَه * لئلا يُرَى للهِ في البيتِ ساجدُ
فَإِنَّا وإنْ عَيَّرْتُمونا بقَتْلِه * وأَرْجَفَ بالإسلامِ باغٍ وحاسدُ
سَقَيْنا مِن ابنِ الحَضْرَمِيِّ رِماحَنَا * بنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الحربَ واقدُ
دَمًا وابنُ عبدِ اللهِ عثمانُ بينَنا * ينازعه غُلٌّ مِن القِدِّ عانِدُ[3]

فصل في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

قال بعضهم: كان ذلك فى رجب من سنة ثنتين وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد ابن إسحاق.[4] وقد روى أحمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك[5]، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتى والله أعلم. وقيل: فى شعبان منها. قال ابن إسحاق: بعد غزوة عبد الله بن جحش: ويقال: صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة. وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدى بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة.[6] قال وبه قال الجمهور الأعظم: أنها صرفت فى النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة. ثم حكى عن محمد بن سعد، عن الواقدى أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان.[7] وفى هذا التحديد نظر والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك مستقصى فى التفسير عند قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:144)، وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك لأنه أول نسخ

---

(1) الدلائل (3/ 21).
(2) الدلائل (3/ 18) وهو مرسل إسناد ه صحيح.
(3) «السيرة» (2/ 209).
(4) «السيرة» (2/ 210).
(5) أخرجه أحمد (2252) (3270) (3363) بأسانيد تصح، عن ابن عباس قال: «صلى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا ثم صُرفت القبلة بعد».
(6) راجع السيرة (2/ 210-211)، وتاريخ الطبري (2/ 416)، وإسناد حسن.
(7) «تاريخ الطبري» (2/ 416).

وقع في الإسلام. هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:106).

وقد قال البخاري: حدثنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي إسحاق، عن البراء أن النبي ﷺ صلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأنه صلى أو صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قِبَل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:143) ورواه مسلم من وجه آخر[1]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا الحسن بن عطية، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ قد صلَّى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال: فُوجِّه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس -وهم اليهود-: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:143).[2]

وحاصل الأمر: أن رسول الله ﷺ كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الإمام أحمد، عن ابن عباس رضى الله عنه.[3]

فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً وهذا يقتضى أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم. وكان عليه السلام يحب أن تصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية. فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائى عن أبى سعيد ابن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر.[4] وقال بعض الناس: نزل

---

(1) أخرجه البخاري (4486)، ورواه البخاري (40)، وأحمد (18496)، وابن سعد (1/ 242)، وابن الجارود (165)، وأبو عوانة (1/ 393)، والبيهقي (2/ 2) من طرق عن زهير بهذا الإسناد.
وأخرجه الطيالسي (719)، ومسلم (525)، والنسائي (1/ 243)، وفي «الكبرى» (945)، وابن خزيمة (437) من طرق عن أبي إسحاق، به.

(2) **إسناده صحيح** : وقد ذكره ابن كثير في «تفسيره» (1/ 274)، بهذا السند.
وقد أخرجه مختصرًا، أحمد (4/ 289)، والبخاري (4492)، ومسلم (525)، والنسائي (1/ 242)، وابن خزيمة (428) من طريق يحيى بن سعيد عن سفيان حدثني أبو إسحاق، به.

(3) **صحيح** : سبق تخريجه.

(4) أخرجه النسائي في «المجتبى» (1/ 242)، وفي «الكبرى» (11004)، وضعفه الألباني كما في «ضعيف النسائي» (29).

تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر[1]، والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثانى كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر. قال: بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.[2] وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك.[3]

والمقصود: أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة، ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة الأغبياء وقالوا: ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ ، هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد ﷺ فى كتبهم من أن المدينة مهاجره وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ الآية. وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم، وتعنتهم فقال: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أى: هو المالك المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه الذى يفعل ما يشاء فى خلقه ويحكم ما يريد فى شرعه، وهو الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، ويضل من يشاء عن الطريق القويم، وله فى ذلك الحكمة التى يجب لها الرضا والتسليم.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أى: خياراً ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أى: وكما اخترنا لكم أفضل الجهات فى صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التى كان يصلى بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالد والطارف لتكونوا يوم القيامة ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم. كما ثبت فى صحيح البخارى: عن أبى سعيد مرفوعاً من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة.[4] وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الأولى والأحرى. ثم قال تعالى مبيناً حكمته فى حلول نقمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة. وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة. فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ (البقرة:143).

قال ابن عباس: إلا لنرى من يتبع الرسول ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أى: وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أى: فَهُمْ مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويسلمون ويؤمنون ويعملون لأنهم

(1) سبق تخريجه.
(2) أخرجه البخاري (403) (4488)، ومسلم (526).
(3) أخرجه مسلم (527).
(4) أخرجه البخاري (3339) وسيأتي بلفظه.

عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط في التفسير وسنزيد ذلك بياناً في كتابنا الأحكام الكبير. وقد روى الإمام أحمد: حدثنا على بن عاصم، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن عمر بن قيس، عن محمد بن الأشعث، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: يعنى: فى أهل الكتاب «**إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين**».[1]

فصل في فرضية صوم شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير: وفى هذه السنة فرض صيام شهر رمضان، وقد قيل: إنه فرض فى شعبان منها ثم حكى أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى. فقال: «**نحن أحق بموسى منكم**» فصامه وأمر الناس بصيامه[2]، وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين عن ابن عباس[3]: وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة:183-185) الآية. وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه الكفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية فى ذلك والأحكام المستفادة منه ولله الحمد.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا المسعودى، حدثنا عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى، عن معاذ بن جبل. قال: أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال، فذكر أحوال الصلاة قال: وأما أحوال الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء ثم إن الله عز وجل فرض عليه الصيام وأنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه. ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فأثبت

---

(1) **صحيح**: أخرجه أحمد (6/ 134-135)، وعلي بن عاصم ضعيف، وقد توبع، وأخرجه ابن خزيمة (574) (1585)، عن أبي بشر الواسطي عن خالد بن عبد الله الواسطي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة، وإسناده صحيح.
وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (988)، وابن ماجه (856) بإسناد صحيح عنها مختصراً.

(2) «التاريخ» (2/ 417)، والحديث ثابت كما سبق.

(3) سبق تخريجه في القصص.

صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام فهذان حولان.

قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا. ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له: صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائماً، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً فقال: «**ما لى أراك قد جهدت جهداً شديداً؟**» فأخبره، قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله عز وجل: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ (البقرة:187). ورواه أبو داود فى سننه، والحاكم فى مستدركه من حديث المسعودى نحوه[1]. وفى الصحيحين من حديث الزهرى، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: كان عاشوراء يصام، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر[2]. وللبخارى، عن ابن عمر، وابن مسعود مثله[3]، ولتحرير هذا موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير وبالله المستعان.

قال ابن جرير: وفى هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر، وقد قيل: إن رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم أو يومين وأمرهم بذلك، قال: وفيها صلى النبى ﷺ صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاها وخرجوا بين يديه بالحربة وكانت للزبير وهبها له النجاشى فكانت تحمل بين يدى رسول الله ﷺ فى الأعياد.[4]

قلت: وفى هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النُّصُب كما سيأتى تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (آل عمران:123). وقال الله تعالى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ**

---

(1) أخرجه أحمد (5/ 247-248)، وأبو داود (507)، وابن خزيمة (381)، والشاشي (1362) (1363)، من طريق يزيد بن هارون. وأحمد (5/ 247)، والحاكم (2/ 274) من طريق أبي النضر، والطيالسي (566)، وأبو داود (507)، والطحاوي (478)، والطبراني (20/ 270)، والبيهقي (1/ 391-420) من طرق عن المسعودي، به، وكلهم حدثوا عن المسعودي بعد اختلاطه.

فالإسناد ضعيف، وإن كان لبعضه طرق وشواهد.

(2) أخرجه البخاري (2001) (4502)، ومسلم (1125).

(3) أخرجه البخاري (1892) (2000) عن ابن عمر. و (4503) عن مسلم (1127) عن ابن مسعود.

(4) راجع الطبري (2/ 418).

﴿الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال:5-8) وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه.

قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش: ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبى سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة، وفيها ثلاثون رجلاً أو أربعون منهم: مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص.[1] قال موسى بن عقبة: عن الزهرى: كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمى بشهرين[2]، قال: وكان فى العير ألف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فلهذا تخلف عن بدر.

قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبى بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن ابن عباس، كل قد حدثنى بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر. قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم وقال: «**هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**»، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفاً على أموال الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك. فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.[3]

قال ابن إسحاق: فحدثنى من لا أتهم عن عكرمة، عن ابن عباس، ويزيد بن رومان، عن عروة ابن الزبير. قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخى والله لقد رأيت الليلةَ رؤيا أفظعتنى وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم علىّ ما أحدثك، قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يالَغُدُرُ، لمصارعكم فى ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه. ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يالَغُدُرُ، لمصارعكم فى ثلاث. ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها لا تذكريها لأحد، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش.

---

(1) «السيرة» (2/ 211).

(2) «الدلائل» (3/ 102) من طريق موسى، به.

(3) **حسن الإسناد** : هو في «السيرة» (2/ 211)، وعنه ابن جرير في «تفسيره» (15732)، وقال الألباني في «تعليق السيرة» (254) صحيح الإسناد.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل ابن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآنى أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل: يا بنى عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التى رأت عاتكة. قال: قلت: وما رأت؟ قال: يا بنى عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم! قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال: انفروا فى ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت فى العرب. قال العباس: فوالله ما كان منى إليه كبير شىء إلا أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً. قال: ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غير لشىء مما سمعت؟ قال: قلت: قد والله فعلت ما كان منى إليه من كبير، وايم الله لأتعرضن له، فإذا عاد لأكفيكنه. قال: فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيته فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، قال: قلت فى نفسى: ما له لعنه الله أكل هذا فَرَق منى أن أشاتمه ؟! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفاً على بعيره قد جدع بعيره، وحوّل رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث. قال: فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر فتجهز الناس سراعاً وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى؟ والله ليعلمن غير ذلك.(1)
وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن إسحاق. قال: فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والذلول.

قال ابن إسحاق: فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أن أبا لهب ابن عبد المطلب بعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها.(2) قال ابن إسحاق: وحدثنى ابن أبى نجيح: أن أمية ابن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها، فيها نار ومجمر، حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا على، استجمر فإنما أنت من النساء. قال: قبحك الله وقبح ما جئت به. قال: ثم تجهز وخرج مع الناس(3)، هكذا قال ابن إسحاق فى هذه القصة.

(1) **حسن** : وهو في «السيرة» (2/ 212-213)، وفيه انقطاع. لكن رواه الحاكم (3/ 20) والبيهقي في «الدلائل» (3/ 29)، عن ابن عباس، بإسناد ضعيف، ولقد جمعت طرقه في «السيرة» فليراجع.
(2) جزء من الحديث السابق - السيرة (5/ 213).
(3) «السيرة» (2/ 214) مرسلاً، ورواه البخاري كما سيأتي.

وقد رواها البخارى على نحو آخر فقال: حدثنى أحمد بن عثمان، حدثنا شريح بن مسلمة، ثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبى إسحاق، حدثنى عمرو بن ميمون: أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ: أنه كان صديقاً لأمية بن خلف وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد بن معاذ، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة. فقال لأمية: انظر لى ساعةَ خلوة لعلى أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ قال: هذا سعد. قال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً. فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى. قال سعد: دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**». قال: بمكة؟ قال: لا أدرى. ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً فلما رجع إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم ترى ما قال لى سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلى. فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدرى. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس فقال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتنى فوالله لأشترين أجود بعير بمكة. ثم قال أمية: يا أم صفوان، جهزينى. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربى؟ قال: لا، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً. فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر[1]. وقد رواه البخارى فى موضع آخر، عن أحمد بن إسحاق، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق به نحوه. تفرد به البخارى.[2] وقد رواه الإمام أحمد: عن خلف بن الوليد، وعن أبى سعيد، كلاهما عن إسرائيل. وفى رواية إسرائيل قالت له امرأته: والله إن محمداً لا يكذب.[3]

قال ابن إسحاق: ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب. فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر فى ابن لحفص بن الأخيف من بنى عامر بن لؤى قتله رجل من بنى بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح. ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامراً وخاض بسيفه فى بطنه، ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة فخافوهم بسبب ذلك الذى وقع بينهم.[4]

---

(1) أخرجه البخاري (3632) (3950)، وأحمد (3794)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 26) وغيرهم.

(2) برقم (3632)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 25)، وأخرجه البخاري (3950)، والبيهقي (3/ 26)، من طريق يوسف بن إسحاق عن جده، به. وأخرجه أحمد (3794)، من طريق إسرائيل، به.

(3) **إسناده صحيح** ؛ وهو في «المسند» (3795)، وخلف بن الوليد ثقة، ولم يرو له أحد من أصحاب الكتب الستة، وباقي رجاله رجال الصحيحين.

(4) «السيرة» (2/ 214-215).

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة. فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعًا.(1)

قلت: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال:47،48)، غرَّهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم. فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر وعاين جبريل نكص على عقبيه وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ . وهذا كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر:16). وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء:81). فإبليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فرَّ ذاهباً، فكان أول من هرب يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومناهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

وقال يونس: عن ابن إسحاق: خرجت قريش على الصعب والذلول في تسعمائة وخمسين مقاتلاً، معهم مائتا فرس يقودونها، ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين. وذكر المطعمين لقريش يوماً يوماً[2]، وذكر الأموي: أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشراً، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعاً، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوماً فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً. ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشراً، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشراً، ونحر لهم على ماء بدر أبو البختري عشراً، ثم أكلوا من أزوادهم. قال الأموي: حدثنا أبي، حدثنا أبو بكر الهذلي قال: كان مع المشركين ستون فرساً وستمائة درع، وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستون درعاً.[3]

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر. وأما رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان[4] في أصحابه واستعمل

---

(1) «السيرة» (2/ 216)، وهو مرسل إسناده حسن.
وقد أخرجه ابن جرير (16200) من طريق ابن إسحاق به. وقد أخرجه ابن جرير (16198)، والبيهقي «دلائل» (3/ 53) موصولاً عن ابن عباس وإسناده فيه انقطاع.
وأخرجه الطبراني (4550) عن رفاعة وإسناده ضعيف.

(2) «الدلائل» (3/ 32).

(3) هو في مغازي الواقدي (1/ 144)، وراجع «الدلائل» (3/ 109).

(4) قال ابن سعد (3/ 8)، والواقدي (1/ 19-20) كان في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة[1]، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير[2] وكان أبيض[3]، وبين يدى رسول الله ﷺ رايتان سوداوان: إحداهما مع على بن أبى طالب يقال لها: العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار.[4] قال ابن هشام: كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ.[5] وقال الأموى: كانت مع الحباب بن المنذر.

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أبى صعصعة أخا بنى مازن بن النجار.[6] وقال الأموى: وكان معهم فرسان: على إحداهما مصعب بن عمير، وعلى الأخرى الزبير بن العوام، ومرة سعد بن خيثمة ومرة المقداد بن الأسود.[7] وقد روى الإمام أحمد: من حديث أبى إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن على قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد.[8]

وروى البيهقى: من طريق ابن وهب، عن أبى صخر، عن أبى معاوية البجلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن علياً قال له: ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود يعنى: يوم بدر.[9] قال الأموى: حدثنا أبى، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد، عن البهى قال: كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فارسان: الزبير بن العوام على الميمنة، والمقداد بن الأسود على الميسرة.[10]

قال ابن إسحاق: وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها، فكان رسول الله ﷺ وعلىّ ومرثد بن أبى مرثد يعتقبون بعيراً، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعتقبون بعيراً.[11] كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، عن حماد بن سلمة، حدثنا عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود. قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلىّ زميلى رسول الله ﷺ . قال: فكانت عقبة رسول الله ﷺ فقالا: نحن نمشى عنك. فقال: «**ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»[12]. وقد رواه النسائى، عن الفلاس،

(1) روى ابن سعد (4/ 151)، عن الشعبي أن رسول الله ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة في غزوة بدر، وإسناده ضعيف.

(2) «السيرة» (2/ 216) وروى ابن سعد (3/ 89)، ذلك بسند ضعيف، لكن معظم أهل السير قالوا ذلك.

(3) هذا من قول ابن هشام كما في «السيرة» (2/ 216).

(4) «السيرة» (2/ 217) لكن روى الطبراني عن ابن عباس أن لواء الأنصار كان مع سعد بن عبادة، وإسناده ضعيف وسعد بن عبادة لم يحضر بدر.

(5) «السيرة» (2/ 217)، وهكذا قال الذهبي في «تاريخه» (1/ 263).

(6) «السيرة» (2/ 218).

(7) «الدلائل» (3/ 110).

(8) **إسناده صحيح** : أخرجه أحمد (1023)، والطيالسي (280)، وأبو يعلي (280)، وابن خزيمة (899)، وابن حبان (2257)، من طريق عن شعبة عن أبي إسحاق، به.

(9) **منكر** : هو في «الدلائل» (3/ 39)، والبجلي مجهول، وأبو صخر متهم من قبل حفظه.

(10) **معضل ضعيف** : ولا يصح إلاّ ما جاء عن عليّ.

(11) «السيرة» (2/ 217).

(12) **إسناده حسن** : أخرج أحمد (3901)، والطيالسي (354)، والنسائي «كبرى» (8807)، وأبو يعلى (5359)، وابن حبان (4733)، والحاكم (2/ 91)، والبيهقي (5/ 258)، والبغوي (2686) من طرق عن حماد، به.

عن ابن مهدى، عن حماد بن سلمة به. **قلت:** ولعل هذا كان قبل أن يَردُّ أبا لبابة من الروحاء، ثم كان زميلاه على ومرثد بدل أبى لبابة. والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر، وهذا على شرط الصحيحين.(1) وإنما رواه النسائى، عن أبى الأشعث، عن خالد بن الحارث، عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة به. قال شيخنا الحافظ المزى فى الأطراف: وتابعه سعيد بن بشير، عن قتادة. وقد رواه هشام، عن قتادة عن زرارة، عن أبى هريرة(2) فالله أعلم.

وقال البخارى: حدثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك: أن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك، غير أنى تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، تفرد به.(3)

قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة، على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذى الحليفة، ثم على أولات الجيش، ثم مرَّ على تربان، ثم على ملل، ثم على غميس الحمام، ثم على صخيرات اليمام، ثم على السيالة، ثم على فج الروحاء، ثم على شنوكة، وهى الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية لقى رجلاً من الأعراب، فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبراً. فقال له الناس: سلِّم على رسول الله ﷺ . قال: أو فيكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا: نعم ! فسلَّم عليه ثم قال: لئن كنت رسول الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه. قال له سلمة ابن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ ، وأقبل علىَّ فأنا أخبرك عن ذلك نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة. فقال رسول الله ﷺ : **«مه، أفحشت على الرجل»**. ثم أعرض عن سلمة، ونزل رسول الله ﷺ سجسج، وهى بئر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدراً، فسلك فى ناحية منها حتى إذا جزع وادياً يقال له: رحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم انصبّ منه حتى إذا كان قريباً

---

(1) **صحيح** : أخرجه أحمد (6/ 150)، وإسناده ضعيف فإن سماع محمد بن جعفر من سعيد بن أبي عروبة بعد اختلاطه لكنه توبع. وقول المؤلف إسناده علي شرطهما ليس كذلك. وقد أخرجه النسائي «كبرى» (8809) من طريق أبي الأشعث عن خالد بن الحارث عن سعيد، به. وخالد روي قبل الاختلاط.
وأخرجه ابن حبان (4701) من طريق القعنبي عن خالد بن الحارث، عن سعيد عن قتادة عن أنس مرفوعًا. وهو وهم كما قال الدارقطني في «العلل» (5/ 133).

(2) هو وهم أيضًا، فرواه النسائي (8810) والطبراني (2720) في مسند الشاميين من طريق سعيد بن بشير وهو ضعيف. ولعل الوهم منه.

(3) رواه البخاري (3951).

من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة، وعدى بن أبى الزغباء حليف بنى النجار إلى بدر يتجسسان له الأخبار عن أبى سفيان صخر بن حرب وعيره.(1) وقال موسى بن عقبة: بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها.(2) فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً فقد بعثهما مرتين والله أعلم.

قال ابن إسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهى قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما أسماؤهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما: مسلح، وللآخر: مخرئ، وسأل عن أهلهما؟ فقيل: بنو النار، وبنو حراق، بطنان من غفار. فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما فتركهما والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد، يقال له: ذفران فجزع فيه، ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن. ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له. ثم قال رسول الله ﷺ : «**أشيروا علىَّ أيها الناس**». وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**». قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصُبُر فى الحرب صُدُق عند اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك، فسرْ على بركة الله. قال: فسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم**»(3). هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله وله شواهد من وجوه كثيرة.

فمن ذلك: ما رواه البخارى فى صحيحه: حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل، عن مخارق، عن

---

(1) «السيرة» (2/ 218-219)، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (3/ 101-119)، من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة، به.

(2) انظر: «الدلائل» (3/ 102).

(3) «السيرة» (2/ 219) وله شواهد كثيرة ذكره المؤلف.

طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليَّ مما عدل به، أتى النبى ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبى ﷺ أشرق وجهه وسره.[1] انفرد به البخارى دون مسلم فرواه فى مواضع من صحيحه من حديث مخارق به. ورواه النسائى من حديثه وعنده: جاء المقداد يوم بدر على فرس فذكره.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبيدة هو ابن حميد عن حميد الطويل، عن أنس قال: استشار النبى ﷺ مخرجه إلى بدر فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار. فقال بعض الأنصار: يا رسول الله، إنّا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن والذى بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك. وهذا الإسناد ثلاثى على شرط الصحيح.[2]

وقال أحمد أيضاً: حدثنا عفان، ثنا حماد، عن ثابت، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ شاور حيث بلغه إقبال أبى سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقال سعد بن عبادة: إيانا يريد رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. فندب رسول الله ﷺ الناس. قال: «**فانطلقوا حتى نزلوا بدراً**»، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج فأخذوه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبى سفيان وأصحابه فيقول: ما لى علم بأبى سفيان ولكن هذا أبو جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة وأمية بن خلف فإذا قال ذلك ضربوه فإذا ضربوه. قال: نعم! أنا أخبركم هذا أبو سفيان فإذا تركوه فسألوه قال: ما لىَ بأبى سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية فى الناس فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلى، فلما رأى ذلك انصرف فقال: «**والذى نفسى بيده إنكم لتضربونه إذا صدقكم وتتركونه إذا كذبكم**». قال: وقال رسول الله ﷺ : «**هذا مصرع فلان غداً يضع يده على الأرض ههنا وههنا**»، فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ .[3] ورواه مسلم عن أبى بكر عن عفان به نحوه.

وقد روى ابن أبى حاتم فى تفسيره وابن مردويه واللفظ له من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب عن أسلم عن أبى عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «**إنى أخبرت عن عير أبى سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير**

---

(1) البخاري (3952)، والنسائي «كبرى» (11140).

(2) في «المسند» (3/ 188) وإسناده على شرط البخاري.

(3) إسناده صحيح على شرط مسلم – وهو في «المسند» (13703)، وأخرجه أحمد (13297)، وابن أبي شيبة (14/ 377)، ومسلم (1779)، وأبو عوانة (4/ 214-216)، والحاكم (3/ 253)، والبيهقي «دلائل» (3/ 47) من طريق عفان، به.

لعل الله يغنمناها؟». فقلنا: نعم! فخرج وخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: «**ما ترون فى القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟**». فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ولكنا أردنا العير ثم قال: «**ما ترون فى قتال القوم؟**». فقلنا مثل ذلك. فقال المقداد بن عمرو: إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. قال: فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا مثل ما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾(الأنفال:5) وذكر تمام الحديث.[1]

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى، عن أبيه، عن جده. قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال: «**كيف ترون؟**». فقال أبو بكر: يا رسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا. قال: ثم خطب الناس فقال: «**كيف ترون؟**». فقال عمر مثل قول أبى بكر. ثم خطب الناس فقال: «**كيف ترون؟**». فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله إيانا تريد؟ فوالذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لى بها علم، ولئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذى أحدث الله إليك فامض له فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت. فنزل القرآن على قول سعد: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾(الأنفال:5) الآيات.[2] وذكره الأموى فى (مغازيه) وزاد بعد قوله: وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك.

قال ابن إسحاق: ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر، ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدبة وترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه.[3] قال ابن هشام: هو أبو بكر. قال ابن إسحاق: كما حدثنى محمد بن يحيى بن حبان حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم. فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**». فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «**نعم !**». قال الشيخ: فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذى به رسول الله ﷺ- وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذى به قريش- فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**نحن من**

---

(1) **إسناده ضعيف** : لأن الراوي عن ابن لهيعة كما في «التفسير» هو زيد بن الحباب وقد سمع من ابن لهيعة بعد إساءة حفظه. وفيه نكارة خاصة قوله: «لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم».

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (14/ 355) وأسقط من السند أبو محمد وهو عمرو بن علقمة، وإسناد المؤلف حسن.

(3) «السيرة» (2/ 220).

ماء» ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: ما من ماء أمن ماء العراق؟[1] قال ابن هشام: يقال لهذا الشيخ: سفيان الضمري.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له كما حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي. فقالوا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه وسلم. وقال: «**إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش؟**». قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكثيب العقنقل. فقال لهما رسول الله ﷺ: «**كم القوم؟**». قالا: كثير. قال: «**ما عدتهم؟**». قالا: لا ندري. قال: «**كم ينحرون كل يوم؟**». قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال رسول الله ﷺ: «**القوم ما بين التسعمائة إلى الألف**». ثم قال لهما: «**فمن فيهم من أشراف قريش؟**». قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، وأبو البختري ابن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل ابن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود. قال: فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**».[2]

قال ابن إسحاق: وكان بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شناً لهما يستقيان فيه. ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك. قال مجدي: صدقت ثم خلص بينهما. وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه بما سمعا، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء. فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً؟ قال: ما رأيت أحداً أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شَنٍّ لهما، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مَناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى. فقال: هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع. وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن

(1) **مرسل**: انظر «السيرة» (2/ 221)، والطبري (2/ 435).

(2) «السيرة» (2/ 221) وإسناده مرسل حسن. وقد روي نحوه أحمد (948) عن علي بن أبي طالب وإسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة (14/ 362)، وأبو داود (2665)، والبيهقي (3/ 276) مختصراً ومطولاً من طريق إسرائيل عن حارثة بن مضرب عن علي، وإسناده صحيح.

الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا. فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له. ثم قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وفلان وفلان فعد رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب في لَبّة بعيره، ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال: هذا أيضاً نبي آخر من بني المطلب سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.(1)

قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا. فقال أبو جهل ابن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً -وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام- فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا. وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكان حليفاً لبني زهرة وهم بالجحفة: يا بني زهرة قد نجّى الله لكم أموالكم، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جبنها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة لا ما يقول هذا. قال: فرجعوا فلم يشهدها زهري واحد، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً، ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد. قال: ومضى القوم وكان بين طالب ابن أبي طالب -وكان في القوم- وبين بعض قريش محاورة. فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال في ذلك:

لاهُمَّ إمَّا يَغْزُوَنَّ طَالِبْ * في عُصْبَةٍ مُحَالِفٌ مُحَارِبْ

في مِقْنَبٍ مِنْ هذه المقَانِبْ * فليكُنِ المسْلُوبُ غيرَ السَّالِبْ

ولْيَكُنِ المغْلُوبُ غيرَ الغَالِبْ(2)

قال ابن إسحاق: ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، خلف العقنقل وبطن الوادي وهو يليل، بين بدر وبين العقنقل، الكثيب الذي خلفه قريش، والقليب ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة.(3)

قلت: وفي هذا قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: من ناحية الساحل ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (الأنفال:42) الآيات. وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم من السير، وأصاب قريشاً منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

(1) «السيرة» (2/ 222-223).

(2) «السيرة» (2/ 223)، والطبري (2/ 29)، وفي «الدلائل» (3/ 105).

(3) «السيرة» (2/ 224).

قلت: وفي هذا قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال:11). فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً، وأنه ثبَّت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر، وهذا تثبيت الباطن والظاهر وأنزل النصر عليهم من فوقهم في قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ (الأنفال:12) أي: على الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: لئلا يستمسك منهم السلاح ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ (الأنفال:13،14).

قال ابن جرير: حدثني هارون بن إسحاق، ثنا مصعب بن المقدام، ثنا إسرائيل، ثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن علي بن أبي طالب، قال: أصابنا من الليل طش من المطر يعني: الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يعني: قائماً يصلي وحرض على القتال.(1)

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي. قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح(2)، وسيأتي هذا الحديث مطولاً. ورواه النسائي، عن بندار، عن غندر، عن شعبة به: وقال مجاهد: أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار وتلبدت به الأرض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم.(3)

قلت: وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول: «**يا حي يا قيوم**» يكرر ذلك ويلظ به عليه السلام.

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به.(4) قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح. قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**». قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي**».(5)

---

(1) أخرجه الطبري (15764) وإسناده صحيح.
(2) **إسناده صحيح** : وقد سبق.
(3) أخرجه الطبري (9/ 196) وإسناده صحيح.
(4) «السيرة» (2/ 224).
(5) **إسناده ضعيف** : أخرجه في «السيرة» (2/ 224)، وفيه انقطاع، ووصله الحاكم (3/ 426-427)، وقال الذهبي منكر وسنده واه كما قال الشيخ الألباني في «تعليقه على فقه السيرة» (ص 260).

قال الأموى: حدثنا أبى قال: وزعم الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس. قال: بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقباص وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة. فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام. فقال رسول الله ﷺ: «**هو السلام ومنه السلام وإليه السلام**». فقال الملك: إن الله يقول لك إن الأمر هو الذى أمرك به الحباب بن المنذر. فقال رسول الله ﷺ: «**يا جبريل هل تعرف هذا؟**». فقال: ما كل أهل السماء أعرف وإنه لصادق وما هو بشيطان.[1] فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية.[2] وذكر بعضهم: أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ نزل ملك من السماء وجبريل عند النبى ﷺ. فقال الملك: يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن الرأى ما أشار به الحباب، فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل. فقال: «ليس كل الملائكة أعرفهم وإنه ملك وليس بشيطان». وذكر الأموى: أنهم نزلوا على القليب الذى يلى المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤوا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء.[3]

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث: أن سعد بن معاذ. قال: يا نبى الله ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بُنى لرسول الله ﷺ عريش كان فيه.[4]

قال ابن إسحاق: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى قال: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذِّب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى، اللهم أحنهم الغداة**».[5] وقد قال: رسول الله ﷺ وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم وهو على جمل له أحمر «**إن يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر**» إن يطيعوه يرشدوا.[6] قال: وقد كان خفاف بن إيماء بن رحضة أو أبوه إيماء بن رحضة الغفارى، بعث إلى قريش ابناً له بجزائر أهداها لهم. وقال: إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا. قال: فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتك رحم، وقد قضيت

---

(1) لا يصح، ففيه الكلبي وهو متروك.
(2) جزء من الحديث السابق، وهو منكر.
(3) من كلام الأموي السابق.
(4) «السيرة» (2/ 225) وعن ابن إسحاق، البيهقي في «الدلائل» (3/ 44) وفيه انقطاع. ورواه الواقدي (1/ 49) من طريق محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن سعد، به. وفيه الواقدي.
(5) «السيرة» (2/ 225) وعنه البيهقي «دلائل» (3/ 35) وإسناده مرسل حسن.
(6) «السيرة» (2/ 226)، وقد أخرجه أحمد (948)، وأبو داود (2665)، والبزار (719)، والبيهقي (3/ 276)، من حديث علي بن أبي طالب، وإسناده صحيح.

الذى عليك، فلعمرى إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم، وإن كنا إنما نقاتل الله، كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة. قال: فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام. فقال رسول الله ﷺ : «**دعوهم**» فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه فكان إذا اجتهد فى يمينه قال: لا والذى نجانى يوم بدر. [1]

قلت: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما سيأتى بيان ذلك فى فصل نعقده بعد الوقعة، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله.

ففى صحيح البخارى عن البراء، قال: «كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوزه معه إلا مؤمن»[2]. وللبخارى أيضاً عنه، قال: «استُصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين»[3]. وروى الإمام أحمد عن نصر بن باب، عن حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس أنه قال: كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان المهاجرون ستة وسبعين، وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين يوم الجمعة فى شهر رمضان.[4]

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ الآية (الأنفال:43). وكان ذلك فى منامه تلك الليلة وقيل: إنه نام فى العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول: يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ، وقد أراه الله إياهم فى منامه قليلاً.[5] ذكره الأموى وهو غريب جداً. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ (الأنفال:44). فعندما تقابل الفريقان قلل الله كلاً منهما فى أعين الآخرين ليجترئ هؤلاء على هؤلاء، وهؤلاء على هؤلاء لما له فى ذلك من الحكمة البالغة، وليس هذا معارض لقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن

---

(1) «السيرة» (2/ 226) من غير إسناد. وقد رواه ابن عساكر (15/ 94) وذكر له أسانيد كلها مقطوعة.

(2) أخرجه البخاري (3159)، وأخرجه أحمد (18555)، وابن ماجه (2828)، والطبري (5726) (5728)، وابن حبان (4796)، والبيهقي (3/ 36) من طرق عن سفيان، به.

وأخرجه البخاري (3958)، وابن سعد (2/ 19)، والطبري (5724) من طريق إسرائيل، كلاهما عن أبي إسحاق بهذا الإسناد.

(3) أخرجه البخاري (3956).

(4) **إسناده ضعيف** : وهو في «المسند» (2232)، وإسناده ضعيف لضعف نصر بن باب، وأخرجه ابن سعد (2/ 20) من طريقه.

وأخرجه البزار (1783) كشف، والطبراني (12083) من طريق الحجاج، به. وزادا: وكان لواء المهاجرين مع علي بن أبي طالب. وكان لواء الأنصار مع سعد بن عبادة. وهو لا يصح وقد سبق.

(5) المغازي للواقدي (1/ 67) ولا يصح.

يَشَاءُ﴾ (آل عمران:13). فإن المعنى فى ذلك على أصح القولين: أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلى عدد الكافرة على الصحيح أيضاً، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة أوقع الله الوهن والرعب فى قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم فى أعين الكافرين على الضعف منهم، حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا. ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران:13) قال إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة عن عبد الله: لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى إنى لأقول لرجل إلى جنبى أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة.(1)

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبى إسحاق ابن يسار وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا: احزر لنا القوم أصحاب محمد، قال: فاستجال بفرسه حول العسكر، ثم رجع إليهم. فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً، أو ينقصون، ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد. قال: فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم، حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فرُوا رأيكم؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى. قال: قد فعلت. أنت علىَّ بذلك، إنما هو حليفى فعلىَّ عقله وما أصيب من ماله. فأت ابن الحنظلية -يعنى: أبا جهل- فإنى لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره. ثم قام عتبة خطيباً فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذى أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعاً له فهو يهنئها. فقلت له يا أبا الحكم: إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا. فقال: انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى. فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ: واعمراه واعمراه. قال: فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة. فلما بلغ عتبة قول أبى جهل انتفخ والله سَحْرُه. قال: سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو. ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له. (2)

(1) رواه الطبري في «تفسيره» (16156) وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.
(2) «السيرة» (2/ 226-227)، والطبري في «تاريخه» (2/ 30) وفيه انقطاع.

وقد روى ابن جرير: من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعى، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، قال: بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال: حكيم بن حزام يستأذن، قال: ائذن له. فلما دخل قال: مرحباً يا أبا خالد ادنُ، فحال له عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة، ثم استقبله. فقال: حدثنا حديث بدر. فقال: خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التى قال الله تعالى، فجئت عتبة بن ربيعة. فقلت: يا أبا الوليد هل لك فى أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمى وهو حليفك، فتحمل بديته ويرجع الناس. فقال: أنت علىَّ بذلك واذهب إلى ابن الحنظلية يعنى أبا جهل فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه، وإذا ابن الحضرمى واقف على رأسه وهو يقول: فسخت عقدى من عبد شمس، وعقدى اليوم إلى بنى مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قلت: لا، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتنى من الخبر شىء وعتبة متكئ على إيماء بن رحضة الغفارى، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر فى وجهه. فقال لعتبة: انتفخ سَحرُك؟ فقال له عتبة: ستعلم. فسلَّ أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رحضة: بئس الفأل هذا، فعند ذلك قامت الحرب.(1) وقد صفَّ رسول الله ﷺ أصحابه وعبَّأهم أحسن تعبئة، فروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف. قال: صفنا رسول الله ﷺ يوم بدر ليلاً.(2) وروى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة، حدثنى يزيد ابن أبى حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول: صففنا يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف، فنظر إليهم النبى ﷺ فقال: «**معى معى**»(3). تفرد به أحمد وهذا إسناد حسن.

وقال ابن إسحاق: وحدثنى حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفى يده قدح يعدل به القوم، فمرَّ بسواد بن غزية حليف بنى عدى بن النجار وهو مستنتل من الصف، فطعن فى بطنه بالقدح وقال: «**استو يا سواد**». فقال: يا رسول الله أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدنى فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه. فقال: «**استقد**». قال: فاعتنقه فقبل بطنه. فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**». قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدى جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقاله.(4)

(1) «التاريخ» (2/ 443) وإسناده فيه من لا يُعرف.
(2) الترمذي (1677) وضعفه الألباني.
(3) **إسناده حسن** : أخرجه أحمد (23567) من طريق ابن المبارك عن ابن لهيعة، به.
ورواية ابن المبارك عنه صالحة، وقد رواه من طريق ابن المبارك الشاشي (1128)، وأخرجه الطبراني (4056) من طريق عبد الله بن يوسف، عنه وأخرجه أحمد (23569) من طريق موسى بن داود عن ابن لهيعة، به.
(4) «السيرة» (2/ 227) وعنه ابن الأثير في «الأسد» (2/ 351) وإسناده فيه انقطاع.
ورواه الواقدي (5611) من طريق يزيد عن عروة، به. وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (2/ 673)، والحافظ في «الإصابة» (3/ 148).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «**غمسه يده في العدو حاسراً**». فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.[1] قال ابن إسحاق: ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره.[2] وقال ابن إسحاق: وغيره وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه واقفاً على باب العريش متقلداً بالسيف، ومعه رجال من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب، مهيأة لرسول الله ﷺ إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ.[3] وقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم. فقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين. فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجؤه، وهذا يتلتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته. ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال عليٌّ: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه.

ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه.[4] فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول ﷺ في العريش كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه. ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به: «**اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض**» وجعل يهتف بربه عز وجل. ويقول: «**اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك**» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه. وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك.[5]

هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت: أن الصديق إنما قال بعض مناشدتك ربك من باب الإشفاق لما رأى من نَصَبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال: بعض هذا يا

(1) «السيرة» (2/ 227) وإسناده حسن لكن فيه انقطاع، ورواه الطبري (2/ 448) من طريق ابن إسحاق.
(2) «السيرة» (2/ 228).
(3) «السيرة» (2/ 225) و«تاريخ الطبري» (2/ 449).
(4) أخرجه البزار (761) البحر، وإسناده ضعيف.
(5) سيأتي قريبًا.

رسول الله أي: لمَ تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر. وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق عَلى رسول الله ﷺ.[1] وحكى السهيلى عن شيخه أبى بكر ابن العربى أنه قال: كان رسول الله ﷺ فى مقام الخوف والصديق فى مقام الرجاء وكان مقام الخوف فى هذا الوقت يعنى: أكمل قال: لأن لله أن يفعل ما يشاء فخاف أن لا يعبد فى الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادة.[2]

قلت: وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام فى مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتدبر هذا القائل عور ما قال، ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم.

هذا وقد تواجه الفئتان وتقابل الفريقان، وحضر الخصمان بين يدى الرحمن، واستغاث بربه سيد الأنبياء، وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء، فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي. قال ابن إسحاق: وكان رجلاً شرساً سيئ الخُلُق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه. فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد -زعم- أن يبر يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض.[3] قال الأموى: فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة وهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء، والثالث عبد الله ابن رواحة فيما قيل . فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. فقالوا: ما لنا بكم من حاجة.[4] وفى رواية فقالوا: أكفاء كرام ولكن أخرجوا إلينا من بنى عمنا، ونادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال النبى ﷺ : «**قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا على**».[5] وعند الأموى أن النفر من الأنصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله ﷺ لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه فأحب أن يكون أولئك من عشيرته فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج.[6]

قال ابن إسحاق: «فلما دنوا منهم. قالوا: من أنتم؟» -وفى هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح-. فقال عبيدة: عبيدة. وقال حمزة: حمزة. وقال على: على. قالوا: نعم !! أكفاء كرام. فبارز عبيدة وكان أسن القوم، عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز على الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فذففا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه رضى الله عنه.[7]

(1،2) «الروض» (5/ 130).

(3) «السيرة» (2/ 228) وقد جاء في حديث علي بن أبي طالب.

(4) «المغازي» للواقدي (1/ 68).

(5) «السيرة» (2/ 228)، ومسند أحمد من حديث علي.

(6) «تاريخ الطبري» (2/ 445).

(7) «السيرة» (2/ 228)، وأخرجه أحمد (948)، وأبو داود (2665) من حديث عليٍّ، وإسناده صحيح.

وقد ثبت فى الصحيحين: من حديث أبى مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبى ذر: «أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (الحج:19) نزلت فى حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا فى بدر»[1]. هذا لفظ البخارى فى تفسيرها. وقال البخارى: حدثنا حجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى، ثنا أبو مجلز، عن قيس بن عباد، عن على بن أبى طالب. أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن عز وجل فى الخصومة يوم القيامة». قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال هم الذين بارزوا يوم بدر على، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[2]، تفرد به البخارى. وقد أوسعنا الكلام عليها فى التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة.

وقال الأموى: حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبى إسحاق، عن ابن المبارك، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبد الله البهى، قال: برز عتبة، وشيبة، والوليد، وبرز إليهم حمزة، وعبيدة، وعلى. فقالوا: تكلموا نعرفكم. فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسول الله ﷺ أنا حمزة بن عبد المطلب. فقال: كفؤ كريم. وقال على: أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ . وقال عبيدة: أنا الذى فى الحلفاء. فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم فقتلهم الله. فقالت هند فى ذلك:

أعَيْنَيَّ جُودا بدَمْعٍ سَرِبْ * على خيرِ خِنْدِفَ لم يَنْقَلِبْ

تَداعَى له رَهْطُه غُدْوَةً * بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِبْ

يُذيقُونَه حَدَّ أسيافِهم * يَعُلُّونَه بعدَ ما قد عَطِبْ

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة.[3]

قلت: وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، ولما جاءوا به إلى رسول الله أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه، فوضع خده على قدمه الشريفة وقال يا رسول الله: لو رآنى أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله:

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه * ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائِلِ

ثم مات رضي الله عنه. فقال رسول الله ﷺ : «**أشهد أنك شهيد**» رواه الشافعى رحمه الله.[4] وكان أول قتيل من المسلمين فى المعركة: مهجع مولى عمر بن الخطاب رمى بسهم فقتله.[5] قال ابن إسحاق:

---

(1) أخرجه البخاري (4743)، ومسلم (3033).

(2) البخاري (4744).

(3) إسناده حسن إلى البهيّ.

(4) لم أعثر عليه في «الأم»، ولا في «المسند» وقد ذكر مبارزته وموته أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (4827) (4828) (4829) وذكرها ابن حجر في «الإصابة» (4/ 210).

(5) وذكره ابن إسحاق (2/ 228) وأيضًا ابن الأثير في «الأسد» (4/ 487)، والحافظ في «الإصابة» (14616) وروى البيهقي في «الدلائل» (3/ 123) عن ابن شهاب وهو مرسل إسناده صحيح.
وروى ذلك أيضًا ابن سعد في «الطبقات» (3/ 299).

فكان أول من قتل، ثم رمى بعده حارثة بن سراقة أحد بنى عدى بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فمات.[1] وثبت فى الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان فى النظارة أصابه سهم غرب فقتله، فجاءت أمه فقالت يا رسول الله: أخبرنى عن حارثة فإن كان فى الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع، يعنى: من النياح وكانت لم تحرم بعد. فقال لها رسول الله ﷺ: **«ويحك أهبلت؟! إنها جنان ثمان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»**.[2]

قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض. وقال: أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم. وقال: **«إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل»**.[3] وفى صحيح البخارى عن أبى أسيد. قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: **«إذا أكثبوكم** -يعنى: المشركين- **فارموهم واستبقوا نبلكم»**[4]. وقال البيهقى، أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير. قال: جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر: يا بنى عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بنى عبد الله، وشعار الأوس: يا بنى عبيد الله، وسمى خيله: خيل الله.[5] قال ابن هشام: كان شعار الصحابة يوم بدر: أحد أحد.[6]

قال ابن إسحاق: ورسول الله ﷺ فى العريش معه أبو بكر رضي الله عنه يعنى: وهو يستغيث الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: 9-10).

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نوح قراد، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا سماك الحنفى أبو زميل، حدثنى ابن عباس، حدثنى عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبى ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: **«اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعدُ فى الأرض أبداً»**. قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده، ثم التزمه من ورائه، ثم قال يا رسول الله: كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ وذكر

---

(1) «السيرة» (2/ 229).

(2) أخرجه أحمد (13787)، والبخاري (6567) (3982)، والنسائي «كبرى» (2831)، وابن حبان (7391)، والطبراني (3236)، وغيرهم عن حميد عن أنس.

ورواه ثابت عن أنس أخرجه أحمد (12252) (13250)، (13871) ورواه قتادة عن أنس عند أحمد (13200)، والترمذي (3174)، وابن خزيمة (2/ 874) توحيد، وابن حبان (958).

(3) «السيرة» (2/ 232).

(4) رواه البخاري (3984) (3985)، وأبو داود (2663) وغيرهم.

(5) أخرجه في «الدلائل» (3/ 70) وهو مرسل إسناده حسن.

(6) «السيرة» (2/ 238).

تمام الحديث كما سيأتى.[1] وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليمانى وصححه على بن المدينى والترمذى، وهكذا قال غير واحد عن ابن عباس والسدى وابن جريج وغيرهم أن هذه الآية نزلت فى دعاء النبى ﷺ يوم بدر[2]، وقد ذكر الأموى وغيره أن المسلمين عجوا إلى الله عز وجل فى الاستغاثة بجنابه والاستعانة به وقوله تعالى: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أى: ردفاً لكم ومدداً لفئتكم، رواه العوفى عن ابن عباس.[3] وقاله مجاهد وابن كثير، وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم. وقال أبو كدينة، عن قابوس عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ وراء كل ملك ملك.[4] وفى رواية عنه بهذا الإسناد: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بعضهم على أثر بعض.[5] وكذا قال أبو ظبيان والضحاك[6] وقتادة.[7] وقد روى على بن أبى طلحة الوالبى، عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، وكان جبريل فى خمسمائة مجنبة، وميكائيل فى خمسمائة مجنبة[8]، وهذا هو المشهور.

ولكن قال ابن جرير: حدثنى المثنى، حدثنا إسحاق، ثنا يعقوب بن محمد الزهرى، حدثنى عبد العزيز بن عمران، عن الزمعى، عن أبى الحويرث، عن محمد بن جبير، عن على. قال: نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبى ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبى ﷺ وأنا فى الميسرة.[9] ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث محمد بن جبير عن على فزاد: ونزل إسرافيل فى ألف من الملائكة، وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة،[10] وهذا غريب وفى إسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال ويؤيدها قراءة من قرأ: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ بفتح الدال والله أعلم.

وقال البيهقى: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، ثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، أخبرنى إسماعيل بن عون بن عبيد الله ابن أبى رافع، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، عن أبيه، عن جده، عن على. قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل. قال: فجئت فإذا هو ساجد يقول: «**يا حى يا قيوم، يا حى يا قيوم**». لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال،

---

(1) أخرجه أحمد (1/ 30)، ومسلم (1063)، وأبو داود (2690)، والترمذي (3081).
(2) انظر: «تفسير الطبري» (9/ 189-190).
(3) «الطبري» (9/ 190) وإسناده ضعيف.
(4) تفسير الطبري (9/ 191) (15758) وإسناده ضعيف.
(5) تفسير الطبري (15760) إسناده ضعيف.
(6) تفسير الطبري (15761) إسناده ضعيف جدًا عن الضحاك من طريق جويبر.
(7) ورواه برقم (15764) عن قتادة بسند صحيح.
(8) الطبري (15783) بسند فيه انقطاع.
(9) الطبري (15769) بسند ضعيف.
(10) «الدلائل» (3/ 55) بسند ضعيف.

ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً، فذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً، حتى فتح الله على يده.[1]

وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة عن بندار، عن عبيد الله بن عبد المجيد أبى على الحنفى به وقال الأعمش: عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن عبد الله بن مسعود. قال: ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر. جعل يقول: **«اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد»** ثم التفت وكأن شق وجهه القمر. وقال: **«كأنى أنظر إلى مصارع القوم عشية»**. رواه النسائى من حديث الأعمش به. وقال: لما التقينا يوم بدر قام رسول الله ﷺ يصلي فما رأيت مناشداً ينشد حقاً له أشد مناشدة من رسول الله ﷺ وذكره.[2] وقد ثبت إخباره عليه الصلاة والسلام بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدر فى صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم، وسيأتى فى صحيح مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب. ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة وهو مناسب، وفى الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل ذلك بيوم وأكثر، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الوقعة والله أعلم.

وقد روى البخارى: من طرق عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال وهو فى قبة له يوم بدر: **«اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً»**.

فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب فى الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (القمر: 45-46).[3] وهذه الآية مكية. وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبى حاتم: حدثنا أبي، ثنا أبو الربيع الزهرانى، ثنا حماد، عن أيوب، عن عكرمة. قال: لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. قال عمر: أى جمع يهزم وأى جمع يغلب ؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب فى الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ.[4] وروى البخارى من طريق ابن جريج، عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول: نزل على محمّد ﷺ بمكة وإنى لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.[5]

وقال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد»**. وأبو بكر يقول: يا نبى الله بعض مناشدتك ربك

---

(1) «الدلائل» (3/ 49) وإسناده ضعيف وفيه انقطاع وهو عند النسائي في «الكبري» (10447).

(2) إسناده ضعيف للانقطاع، فلم يسمع أبو عبيدة من أبيه، وهو في «الدلائل» (3/ 50)، والنسائي في «الكبرى» (10442).

(3) رواه البخاري (2915) (3953) (4875) (4877).

(4) **إسناده صحيح** : وعزاه في «الدرر» لابن أبي حاتم.

(5) البخاري (4876).

فإن الله منجز لك ما وعدك، وقد خفق النبى ﷺ خفقةً وهو فى العريش، ثم انتبه فقال: «**أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع**»[1] يعنى: الغبار. قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم. وقال: «**والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة**». فقال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة وفى يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء؟ قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله.[2]

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم ثنا سليمان، عن ثابت، عن أنس. قال: بعث رسول الله ﷺ بسبسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبى سفيان، فجاء وما فى البيت أحد غيرى وغير النبى ﷺ. قال: لا أدرى ما استثنى من بعض نسائه. قال: فحدثه الحديث. قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم. فقال: «**إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا**» فجعل رجال يستأذنونه فى ظهورهم فى علو المدينة. قال: «**لا إلا من كان ظهره حاضراً**». وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يتقدمن أحد منكم إلى شىء حتى أكون أنا أوذنه**»، فدنا المشركون. فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**». قال: يقول عمير بن الحمام الأنصارى: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم!**». قال: بخ بخ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**». قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**». قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها حياة طويلة. قال: فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله. ورواه مسلم عن أبى بكر ابن أبى النضر وجماعة عن أبى النضر هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة به[3]، وقد ذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضي الله عنه:

رَكْضاً إلى اللهِ بغيرِ زادِ * إلاَّ التُّقَى وعَمَلَ المَعادِ
والصَّبْرِ في اللهِ على الجهادِ * وكلُّ زادٍ عُرضَةُ النَّفادِ
غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشادِ[4]

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن على، قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها وعك، وكان رسول الله ﷺ يتخبر عن بدر. فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر وبدر بئر فسبقنا

---

(1) «السيرة» (2/ 235) وهو صحيح كما في حديث عمر.
(2) «السيرة» (2/ 235) وهو حسن الإسناد، وهو صحيح كما سيأتي.
(3) أخرجه أحمد (12398)، وعبد بن حميد (1272)، ومسلم (1901)، وأبو داود (2618)، وأبو عوانة (5/ 35-37)، والحاكم (3/ 426)، والبيهقي «سنن» (9/ 43)، والدلائل (3/ 68) من طرق عن أبي النضر، به.
(4) «تاريخ الطبري» (2/ 448).

المشركين إليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجلاً من قريش، ومولى لعقبة بن أبى معيط فأما القرشى فانفلت، وأما المولى فأخذناه فجعلنا نقول له كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ . فقال له: **«كم القوم؟»**. قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم. فجهد النبى ﷺ أن يخبره كم هم فأبى ثم إن النبى ﷺ سأله **«كم ينحرون من الجزر؟»**. فقال: عشراً كل يوم. فقال النبى ﷺ : **«القوم ألف، كل جزور لمائة وتبعها»**. ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: **«اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد»**. فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرَّض على القتال. ثم قال: **«إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل»**. فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير فى القوم. فقال رسول الله ﷺ : **«يا على ناد لى حمزة** -وكان أقربهم من المشركين- **مَنْ صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم؟»** ثم قال رسول الله ﷺ : **«إن يكن فى القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر»** فجاء حمزة، فقال: هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم إنى أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم أعصبوها اليوم برأسى وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنى لست بأجبنكم. فسمع ذلك أبو جهل فقال: أنت تقول ذلك والله لو غيرك يقوله لأعضضته قد ملأت رئتك جوفك رعباً. فقال: إياى تعير يا مصفر استه ستعلم اليوم أينا الجبان فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية. فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار شببة. فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بنى عمنا من بنى عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ : **«قم يا على، وقم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب»**. فقتل الله عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين وأسرنا سبعين، وجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً. فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه فى القوم. فقال الأنصارى: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: **«اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم»**. قال: فأسرنا من بنى عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفل بن الحارث[1]، هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتى. وقد تفرد بطوله الإمام أحمد وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به. ولما نزل رسول الله ﷺ من العريش وحرَّض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية (الأنفال:45).

وقال الأموى: حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبى إسحاق. قال: قال الأوزاعى: كان يقال: فلما

---

(1) هو في «المسند» (1/ 117) وإسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة (14/ 362-364)، وأبو داود (2665)، والبزار (719)، والطبري «تاريخ» (2/ 424)، والبيهقي في «السنن» (3/ 276)، من طرق عن إسماعيل، بهذا الإسناد.

ثبت قوم قياماً، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغض طرفه ويذكر الله رجوت أن يسلم من الرياء. وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: ألا ترونهم يعنى أصحاب النبى ﷺ جثياً على الركب كأنهم حرس يتلمظون كما تتلمظ الحيات أو قال: الأفاعى . قال الأموى فى مغازيه: وقد كان النبى ﷺ حين حرَّض المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب. وقال: «**والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**». وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدنه، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا فى العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين.

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن على. قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.[1] ورواه النسائى من حديث أبى إسحاق، عن حارثة، عن على. قال: كنا إذا حمى البأسُ ولقى القوم اتقينا برسول الله ﷺ.[2] وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا مسعر، عن أبى عون، عن أبى صالح الحنفى، عن على، قال: قيل لعلى ولأبى بكر رضى الله عنهما يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل أو قال: يشهد الصف.[3] وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان فى الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزيلاً كان جبريل على أحد المجنبتين فى خمسمائة من الملائكة، فكان فى الميمنة من ناحية أبى بكر الصديق، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى فى خمسمائة من الملائكة فوقفوا فى الميسرة وكان على بن أبى طالب فيها. وفى حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم، عن على. قال: كنت أمتح على القليب يوم بدر فجاءت ريح شديدة، ثم أخرى ثم أخرى، فنزل ميكائيل فى ألف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكر، وإسرافيل فى ألف فى الميسرة وأنا فيها، وجبريل فى ألف. قال: ولقد طعنت يومئذ حتى بلغ الدم إبطى.[4] وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أفخر بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت:

وببــئـــر بَدْرٍ إذ يَكُفُّ مَطِيَّــهُم * جــبــريلُ تحتَ لِوائِنا ومــحــمــدُ

وقد قال البخارى: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى، عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر. قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ

---

(1) هو في «المسند» (654)، وإسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة (14/ 357)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص 57) من طريق وكيع، به.

(2) أخرجه النسائي (8639) بسند صحيح.

(3) **إسناده صحيح** : وهو في «المسند» (1257)، وأخرجه ابن أبي شيبة (12/ 16)، وابن أبي عاصم (1217)، والبزار (729)، وأبو يعلى (340)، والحاكم (3/ 134) من طريق مسعر بهذا الإسناد.

(4) **إسناده ضعيف جداً** : أخرجه أبو يعلى (489)، وفيه أكثر من راوٍ متهم.

فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «**من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها**». قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة.[1] انفرد به البخاري. وقد قال الله تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ**﴾ يعني: الرؤوس ﴿**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ (الأنفال:12).

وفى صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار، عن أبى زميل، حدثنى ابن عباس. قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد حَطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرّ ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدث ذلك رسول الله ﷺ . فقال: «**صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة**»[2] فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم، عمن حدثه، عن ابن عباس، عن رجل من بنى غفار. قال: حضرت أنا وابن عم لى بدراً ونحن على شركنا، فإنا لفى جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حمحمة الخيل، وسمعنا فارساً يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك.[3] وقال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر عن بعض بنى ساعدة، عن أبى أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدراً قال -بعد أن ذهب بصره-: لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى.[4] فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم: ﴿**أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتى الرجل فى صورة الرجل يعرفه فيقول له: أبشروا فإنهم ليسوا بشىء والله معكم كروا عليهم. ولما رأى إبليس الملائكة ﴿**نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ**﴾ وقال: ﴿**إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ**﴾ وهو فى صورة سراقة. وأقبل أبو جهل يحرِّض أصحابه ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال: واللات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه، فى الجبال، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً.[5]

وقال الواقدى: حدثنى ابن أبى حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: كان الملك يتصور فى صورة من يعرفون فيقول: إنى قد دنوت منهم، وسمعتهم يقولون: لو حملوا

(1) أخرجه البخاري (3992).

(2) صحيح : مسلم (1763).

(3) أخرجه في «السيرة» (2/ 237) وفيه انقطاع، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (3/ 52)، من طريق ابن إسحاق، به.

(4) «السيرة» (2/ 236)، وعنه البيهقي في «الدلائل» (3/ 81)، وفيه انقطاع، ولعل بعض بني ساعدة هو سهل بن سعد كما روى الطبراني في «الكبير» (19/ 578)، من طريق عقيل بن خالد عن ابن شهاب أخبرنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال لي أبو أسيد الساعدي - فذكره - وإسناده ضعيف كما بينت في «السيرة».

(5) في «الدلائل» (3/ 81) بنفس الإسناد.

علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء، إلى غير ذلك من القول فذلك قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية.(1)

وروى البيهقى من طريق سلامة، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبى حازم، عن سهل بن سعد قال: قال أبو أسيد بعد ما ذهب بصره: يا بن أخى والله لو كنت أنا وأنت ببدر ثم أطلق الله بصرى لأريتك الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار.(2) وروى البخارى عن إبراهيم بن موسى، عن عبد الوهاب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب**».(3)

وقال الواقدى: حدثنا ابن أبى حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، وأخبرنى موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى، عن أبيه. وحدثنى عائذ بن يحيى، عن أبى الحويرث، عن عمارة بن أكيمة الليثى، عن حكيم بن حزام قالوا: لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول: «**اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين**». وأبو بكر يقول: والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك، فأنزل الله ألفاً من الملائكة مردفين عند اكتاف العدو. قال رسول الله ﷺ: «**أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض**»، فلما نزل إلى الأرض تغيَّب عنى ساعة، ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول: أتاك نصر الله إذ دعوته. وروى البيهقى عن أبى أمامة بن سهل، عن أبيه. قال: يا بنى لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.(4)

وقال ابن إسحاق: حدثنى والدى، حدثنى رجال من بنى مازن، عن أبى واقد الليثى قال: إنى لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى فعرفت أن غيرى قد قتله.(5) وقال يونس بن بكير، عن عيسى بن عبد الله التيمى، عن الربيع بن أنس قال: كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار وقد أحرق به.(6)

وقال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم عن مقسم، عن ابن عباس. قال: كان سيما الملائكة يوم

---

(1) «المغازي» (1/ 79).

(2) «الدلائل» (3/ 53) وهو في «الطبراني» (19/ 578)، وإسناده ضعيف.

(3) البخاري (3995).

(4) الواقدي» (1/ 81) وعنه البيهقي في «الدلائل» (3/ 53-54) وفيه الواقدي.

(5) السيرة (2/ 236)، وأخرجه أحمد (5/ 450)، والطبري في «تاريخه» (2/ 453)، والدولابي في «الكنى» (1/ 69)، والبيهقي «دلائل» (3/ 56) من طريق ابن إسحاق، به.
وإسناده ضعيف لإبهام الواسطة.

(6) رواه ابن أبي حاتم بسند ضعيف.

بدر عمائم بيضاً قد أرخوها على ظهورهم إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء.(1) وقد قال ابن عباس: لم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون.(2) وقال الواقدى: حدثنى عبد الله بن موسى بن أبى أمية، عن مصعب بن عبد الله، عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون. وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره. قال: لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصرى، لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمترى.(3) قال: وحدثنى خارجة بن إبراهيم، عن أبيه. قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «**من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم؟**». فقال جبريل: يا محمد ما كل أهل السماء أعرف.(4)

قلت: وهذا الأثر مرسل، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلى وغيره والله أعلم.

وقال الواقدى: حدثنى إسحاق بن يحيى، عن حمزة بن صهيب، عن أبيه قال: فما أدرى كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلمها قد رأيتها يوم بدر.(5) وحدثنى محمد بن يحيى، عن أبى عفير، عن رافع بن خديج، عن أبى بردة ابن نيار قال: جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهن بين يدى رسول الله ﷺ فقلت: أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإنى رأيت رجلاً طويلاً ضربه فتدهدى أمامه فأخذت رأسه. فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك فلان من الملائكة**».(6)

وحدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه. قال: كان السائب بن أبى حبيش يحدث فى زمن عمر يقول: والله ما أسرنى أحد من الناس. فيقال: فمن؟ يقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها فأدركنى رجل أبيض طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض فأوثقنى رباطاً وجاء عبد الرحمن ابن عوف فوجدنى مربوطاً فنادى فى العسكر مَنْ أسر هذا؟ حتى انتهى بى إلى رسول الله ﷺ. فقال: «**من أسرك؟**». قلت: لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذى رأيت. فقال رسول الله ﷺ: «**أسرك**

---

(1) السيرة (2/ 236)، وهذا إنما رواه ابن هشام في «زيادات السيرة» قال: وحدثني بعض أهل العلم أن علي ابن أبي طالب - فذكره- وهو معلق وقد جاء مرفوعًا عنه وهو منكر وله أسانيد كلها واهية - راجع «الضعيفة» (1593)، و«ضعيف الجامع» (3895) (3896).

أما ما رواه ابن إسحاق عن ابن عباس بالإسناد الذي ذكره ابن كثير فهو بلفظ: «كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرسلوها على ظهورهم ويوم حنين عمائم حمراء» ورواه ابن جرير (2/ 454)، والبيهقي (3/ 57) بإسناد ضعيف جدًا، ورواه الطبراني (12084) بإسناد آخر ضعيف.

(2) «السيرة» (2/ 237) وإسناده ضعيف جدًا، وقد رواه الطبراني في «الكبير» (11377)، وفي «الأوسط» (9125) عن ابن عباس بإسناد ضعيف جدًا.

(4،3) المغازي (1/ 76-77) بإسناد لا يصح.

(5) المغازي (1/ 78) ولا يصح.

(6) المغازي (1/ 78-79) ولا يصح.

ملك من الملائكة، اذهب يا بن عوف بأسيرك»[1]. وقال الواقدى: حدثنى عائذ بن يحيى، حدثنا أبو الحويرث، عن عمارة بن أكيمة، عن حكيم بن حزام. قال: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادى خالص بجاد من السماء قد سدَّ الأفق فإذا الوادى يسيل نملاً فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أيد به محمد، فما كانت إلا الهزيمة وهى الملائكة.[2]

وقال إسحاق بن راهويه: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثنى أبى، عن محمد بن إسحاق، حدثنى أبى، عن جبير بن مطعم. قال: رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة، فلم يكن إلا هزيمة القوم[3]، ولما تنزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله ﷺ حين أغفى إغفاءة، ثم استيقظ وبشَّر بذلك أبا بكر وقال: «**أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النقع**» يعنى: من المعركة. ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش فى الدرع فجعل يحرض على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعدُ على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمأنينة، وقد حصل النعاس الذى هو دليل على الطمأنينة والثبات والإيمان، كما قال: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ**﴾ (الأنفال:11). وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن، ولهذا قال ابن مسعود: النعاس فى المصاف من الإيمان، والنعاس فى الصلاة من النفاق. وقال الله تعالى: ﴿**إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الأنفال:19).

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، ثنا محمد بن إسحاق، حدثنى الزهرى، عن عبد الله ابن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح[4] وكذا ذكره ابن إسحاق فى السيرة، ورواه النسائى من طريق صالح بن كيسان، عن الزهرى، ورواه الحاكم من حديث الزهرى أيضاً، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الأموى: حدثنا أسباط بن محمد القرشى، عن مطرف عن عطية فى قوله: ﴿**إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾. قال: قال أبو جهل: اللهم انصر أعز الفئتين، وأكرم القبيلتين، وأكثر الفريقين.

(1، 2) المغازي (1/ 80-81) ولا يصح.

(3) ذكره الحافظ في «المطالب العالية» (4725) وشك في سماع إسحاق من جبير.
وذكر البوصيري في «الإتحاف» (4549) وقال مثل ما قال الحافظ: إسناده حسن إن كان إسحاق بن يسار سمع من جبير. وقد قال الحافظ في «المختصر» (5192): رواته ثقات.

(4) **صحيح** : وهو في «السيرة» (1/ 517) وإسناده حسن وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث: وأخرجه من طريقه ابن أبي شيبة (14/ 359)، وأحمد (23661)، والطبري في «تاريخه» (2/ 449) وفي «التفسير» (15859)، والحاكم (2/ 328)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 74) من طرق عن ابن إسحاق بهذا الإسناد. ورواه الطبري (15860)، والنسائي «كبرى» (11201)، وابن أبي عاصم في «الآحاد» (632)، والحاكم (2/ 328) من طريق صالح بن كيسان عن الزهري، به.
وله متابعات أخرى ذكرتها في «السيرة».

فنزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾.(1) وقال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (الأنفال:7). قال: أقبلت عير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير، فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا السير إليها لكيلا يغلب عليها النبى ﷺ وأصحابه فسبقت العير رسول الله ﷺ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين، وكانوا يحبون أن يلقوا العير، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم. فنزل النبى ﷺ والمسلمون، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان فى قلوبهم القنط يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ! فأمطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا فأذهب الله عنهم رجز الشيطان، فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة. فكان جبريل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء إبليس فى جند من الشياطين ومعه رايته وهم فى صورة رجال من بنى مدلج والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وقال الشيطان للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ . فلما اصطف الناس قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره. ورفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبداً**». فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته. فقال الرجل: يا سراقة أما زعمت أنك لنا جار؟ قال: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال:48) وذلك حين رأى الملائكة. رواه البيهقى فى «الدلائل».(2)

وقال الطبرانى حدثنا مسعدة بن سعد العطار، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى، ثنا عبد العزيز بن عمران، ثنا هشام بن سعد، عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصارى، عن رفاعة بن رافع. قال: لما رأى إبليس ما تفعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص القتل إليه، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقة بن مالك، فوكز فى صدر الحارث فألقاه ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه فى البحر ورفع يديه فقال: اللهم إنى أسألك نظرتك إياى وخاف أن يخلص القتل إليه. وأقبل أبو جهل فقال: يا معشر الناس لا يهولنكم خذلانَ سراقة بن مالك فإنه كان على ميعاد من محمد، ولا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد فإنهم قد عجلوا، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال، فلا ألفين رجلاً منكم قتل رجلاً ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى. ثم قال أبو جهل متمثلاً:

---

(1) الطبري (9/ 208) من طريق مطرف، به.

(2) أخرجه الطبري (9/ 186)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 78)، وإسناده ضعيف وفيه انقطاع.

مَـا تَنْقِمُ الحربُ الشَّمُوسُ منِّى * بازِلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنِّى
لِمِثْلِ هذا وَلَدَتْنى أُمِّى[1]

وروى الواقدى عن موسى بن يعقوب الزمعى، عن عمه، عن أبى بكر ابن أبى سليمان بن أبى حثمة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك، فألح عليه فقال حكيم: التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة فى الطست، وقبض النبى ﷺ القبضة -التراب- فرمى بها فانهزمنا.[2] قال الواقدى: وحدثنا إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، سمعت نوفل بن معاوية الديلى يقول: انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصى فى الطساس فى أفئدتنا ومن خلفنا، وكان ذلك من أشد الرعب علينا.[3]

وقال الأموى: حدثنا أبى، ثنا ابن إسحاق، حدثنى الزهرى، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، أن أبا جهل حين التقى القوم قال: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة، فكان هو المستفتح. فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم فى أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق رسول الله ﷺ خفقة فى العريش، ثم انتبه فقال: «**أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع أتاك نصر الله وعِدَتُه**». وأمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم. فقال: «**شاهت الوجوه**». ثم نفحهم بها ثم قال لأصحابه: «**احملوا فلم تكن إلا الهزيمة**» فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر منهم.[4]

وقال زياد عن ابن إسحاق ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً، ثم قال: «**شاهت الوجوه**»، **ثم نفحهم بها** وأمر أصحابه فقال: «**شدوا**». فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.[5] وقال السدى الكبير: قال رسول الله ﷺ لعلى يوم بدر: «**أعطنى حصى من الأرض**» فناوله حصى عليه تراب فرمى به فى وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه من ذلك التراب شىء، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله فى ذلك: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾ (الأنفال:17).[6]

---

(1) أخرجه في «الكبير» (4550) وإسناده ضعيف.

(2) أخرجه الواقدي في «المغازي» (1/ 95)، وعنه البيهقي في «الدلائل» (3/ 79-80)، وفيه الواقدي.

(3) أخرجه الواقدي (1/ 95) وعنه البيهقي في «الدلائل» (3/ 80)، وفيه الواقدي.

(4) **إسناده حسن** : فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وأخرجه الطبري (9/ 208-209) من طريقه، به.
وله شاهد من حديث حكيم بن حزام، أخرجه الطبراني في «الكبير» (3127)، وفي «الأوسط» (9097) من طريق موسى بن يعقوب عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن حكيم. به.
وقال الهيثمي (6/ 84) وإسناده حسن.

(5) «السيرة» (1/ 518) وإسناده حسن.

(6) رواه ابن جرير (15838) موقوفاً على السُّدّى.

وهكذا قال عروة[1]، وعكرمة[2]، ومجاهد[3]، ومحمد بن كعب، ومحمد بن قيس[4]، وقتادة[5]، وابن زيد[6]، وغيرهم أن هذه الآية نزلت فى ذلك يوم بدر، وقد فعل عليه الصلاة والسلام مثل ذلك فى غزوة حنين كما سيأتى فى موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة.

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكر راجعة من المشركين إلى النبى ﷺ.[7] قال ابن إسحاق: ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ فيما ذكر لى فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس. فقال له: «**كأنى بك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟**». قال: أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك. فكان الإثخان فى القتل أحب إلىَّ من استبقاء الرجال.[8]

قال ابن إسحاق: وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن عبد الله ابن عباس، أن النبى ﷺ قال لأصحابه يومئ: «**إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى أبا البخترى ابن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقى العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله فإنه إنما خرج مستكرهاً**». فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنه بالسيف. فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر: «**يا أبا حفص**». -قال عمر: والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ بأبى حفص- «**أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف**». فقال عمر: يا رسول الله دعنى فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق. فقال أبو حذيفة: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه.[9]

مقتل أبي البختري ابن هشام

قال ابن إسحاق: وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبى البخترى لأنه كان أكف القوم عن

(1) رواه ابن جرير (15834) عن هشام بن عروة بسند صحيح.
(2) الطبري (15833) بسند صحيح.
(3) الطبري (15830) (15831) وهو صحيح.
(4) الطبري (15836) عنهما - بسند ضعيف.
(5) الطبري (15837) بسند صحيح.
(6) الطبري (15839) بسند صحيح.
(7) السيرة (1/ 518).
(8) السيرة (1/ 519) بغير إسناد، ورواه البيهقي في «الدلائل» (3/ 31-35) عن عروة مرسلاً بإسناد حسن.
(9) **إسناده ضعيف**: هو في «السيرة» (1/ 519) وعنه الطبري في «تاريخه» (2/ 449) والبيهقي في «الدلائل» (3/ 140) وفيه انقطاع.

رسول الله ﷺ وهو بمكة. كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن ذياد البلوى حليف الأنصار. فقال له: إن رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث. قال: وزميلي؟ فقال له المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك. قال: لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً لا يتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. وقال أبو البختري وهو ينازل المجذر:

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ * حتى يَمُوتَ أو يَرَى سَبِيلَهُ

قال فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد وقال في ذلك:

إمَّا جَهِلْتَ أو نَسِيتَ نَسَبِي * فأثْبِتِ النِّسْبَةَ أنِّي من بَلِي

الطَّاعِنِينَ برِمَاحِ اليَزَنِي * والضاربين الكَبْشَ حتى يَنْحَنِي

بَشِّرْ بيتم مَن أبوه البَخْتَرِي * أو بَشِّرَنْ بِمِثْلِهَا مِنِّي بَنِي

أنا الذي يقالُ أصْلِي من بَلِي * أطْعُنُ بالصَّعْدَةِ حتى تَنْثَنِي

وأعْبِطُ القِرنَ بعَضْبٍ مَشْرَفِي * أُرْزِمُ للموتِ كإرْزَامِ المَرِي

فلا يَرى مُجذَّرًا يَفْرِي فَرِي

ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته.[1]

فصل في مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، وحدثنيه أيضاً عبد الله ابن أبي بكر وغيرهما، عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبواك؟ قال: فأقول: نعم! قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه. قال: فقلت له: يا أبا علي اجعل ما شئت. قال: فأنت عبد الإله. قال: قلت: نعم! قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه فأتحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده، قال: ومعي أدراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها فلما رآني. قال: يا عبد عمرو فلم أجبه. فقال: يا عبد الإله. فقلت: نعم! قال: هل لك فيَّ فأنا

(1) «السيرة» (1/ 522) والطبري في «تاريخه» (2/ 450).

خير لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال: قلت: نعم هاالله. قال: فطرحت الأدراع من يدى، وأخذت بيده وبيد ابنه. وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة فى اللبن؟ ثم خرجت أمشى بهما.[1]

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الواحد بن أبى عون، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه عن عبد الرحمن ابن عوف. قال: قال لى أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة. قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى وكان هو الذى يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أى بلال أبأسيرى، قال: لا نجوت إن نجا. قال: ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله! رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة فأنا أذب عنه، قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط. قال: قلت: انج بنفسك ولا نجاء، فوالله ما أغنى عنك شيئاً. قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً فجّعنى بأدراعى وبأسيرىّ.[2]

وهكذا رواه البخارى فى صحيحه قريباً من هذا السياق فقال فى الوكالة: حدثنا عبد العزيز هو ابن عبد الله حدثنا يوسف هو ابن الماجشون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن بن عوف. قال: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظنى فى صاغيتى بمكة وأحفظه فى صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال: لا أعرف الرحمن، كاتبنى باسمك الذى كان فى الجاهلية فكاتبته عبد عمرو، فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف ؟! لا نجوت إن نجا أمية. فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرك فبرك، فألقيت عليه نفسى لأمنعه فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر فى ظهر قدمه[3]، سمع يوسف صالحاً وإبراهيم أباه. تفرد به البخارى من بينهم كلهم. وفى مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذى قتل أمية بن خلف.[4]

مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام: وأقبل أبو جهل يومئذٍ يرتجز ويقول:

---

(1) «السيرة» (1/ 523)، ورواه الطبري (2/ 451)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 91) من طريق ابن إسحاق بالإسنادين وهو بمجموعهما حسن.

(2) السيرة (1/ 523) وإسناده حسن. وأخرجه البخاري (2301) (3971) من طريق صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف.

(3) سبق وهو في البخاري برقم (2301).

(4) رواه الطبراني (4535) وإسناده ضعيف كما سبق.

مـا تَنْقِمُ الحربُ العَوانُ منّى * بازِلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنّي

لِمثلِ هذا وَلَدَتْني أمّي[1]

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه، أمر بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى. وكان أول من لقى أبا جهل كما حدثنى ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس وعبد الله بن أبى بكر أيضاً قد حدثنى ذلك قالا: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمة: سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعتها جعلته من شأنى فصمدت نحوه، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها. قال: وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى، وأجهضنى القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومى وإنى لأسحبها خلفى، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها.

قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان. ثم مرَّ بأبى جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق. وقاتل معوذ حتى قتل، فمرَّ عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس فى القتلى وقد قال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغنى: «**انظروا إن خفى عليكم فى القتلى إلى أثر جرح فى ركبته فإنى ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله ابن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش فى إحداهما جحشاً لم يزل أثره به**». قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق فعرفته. فوضعت رجلى على عنقه. قال: وقد كان ضبث بى مرة بمكة فآذانى ولكزنى ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزانى؟ قال: أعمد من رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت لله ولرسوله.[2]

قال ابن إسحاق: وزعم رجال من بنى مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لى: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعى الغنم، قال: ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله. فقال: «**آلله الذى لا إله غيره؟**». وكانت يمين رسول الله ﷺ فقلت: نعم! والله الذى لا إله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله ﷺ فحمد الله.[3] هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله.

---

(1) السيرة (1/ 526).

(2) السيرة (1/ 527) وإسناده حسن.

وأخرجه ابن جرير (2/ 454)، والحاكم وعنه البيهقي في «الدلائل» (3/ 84) وابن الأثير في «الأسد» (4/ 409) من طريق ابن إسحاق، وإسناده حسن.

(3) في «السيرة» (1/ 529) ورواه الطبري في «تاريخه» (2/ 455) والبيهقي في «الدلائل» (3/ 86) من طريق ابن إسحاق، وفيه انقطاع.

وقد روى أحمد (3824) عن ابن مسعود، نحوه بإسناد ضعيف، وكذلك رواه أبو داود (2709)، وأبو يعلى (5263)، والطبراني (8470) (8471)، والبيهقي (3/ 87)، والطيالسي (328)، وفيه الانقطاع المعروف بين أبي عبيدة وبين أبيه.

وقد ثبت فى الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف. قال: إنى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وشمالى، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزنى أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك، فغمزنى الآخر فقال لى أيضاً مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل وهو يجول فى الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه. فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى النبى ﷺ فأخبراه، فقال: «**أيكما قتله؟**». قال كل منهما: أنا قتلته. قال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**». قالا: لا. قال: فنظر النبى ﷺ فى السيفين، فقال: «**كلاكما قتله**». وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والآخر معاذ بن عفراء.(1)

وقال البخارى: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده. قال: قال عبد الرحمن: إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن فكأنى لم آمن بمكانهما إذ قال لى أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرنى أبا جهل. فقلت: يا بن أخى وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. فقال لى الآخر سراً من صاحبه مثله، قال: فما سرنى أنى بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء.(2)

وفى الصحيحين أيضاً من حديث سليمان التيمى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ينظر ما صنع أبو جهل؟**». قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله. فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: فأخذ بلحيته، قال: فقلت أنت أبو جهل؟ فقال: وهو فوق رجل قتلتموه أو قال: قتله قومه.(3) وعند البخارى عن أبى أسامة، عن إسماعيل عن قيس، عن ابن مسعود، أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزاك الله؟ فقال: هل أعمد من رجل قتلتموه.(4) وقال الأعمش عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن عبد الله، قال: انتهيت إلى أبى جهل وهو صريع، وعليه بيضة ومعه سيف جيد، ومعى سيف رديء فجعلت أنقف رأسه بسيفى، وأذكر نقفاً كان ينقف رأسى بمكة، حتى ضعفت يده فأخذت سيفه فرفع رأسه، فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا، ألست رويعينا بمكة؟ قال: فقتلته، ثم أتيت النبى ﷺ فقلت: قتلت أبا جهل. فقال: «**آلله الذى لا إله إلا هو؟**». فاستحلفنى ثلاث مرات، ثم قام معى إليهم فدعا عليهم.

(1) أخرجه البخاري (3141)، ومسلم (1752)، وأحمد (1673)، وأبو يعلى (866)، والطحاوي (3/ 227)، وابن حبان (4840)، والطبراني (20/ 177/ 381)، والحاكم (3/ 425)، والبيهقي (6/ 603)، وفي «الدلائل» (3/ 83) من طرق عن صالح، به.

(2) هو في «البخاري» (3988).

(3) أخرجه البخاري (3962) (3963) (4020)، ومسلم (1800)، وليس فيهما قول ابن مسعود «أنا يا رسول الله».

(4) أخرجه البخاري (3961).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، ثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، قال: قال عبد الله: انتهيت إلى أبى جهل يوم بدر وقد ضربت رجله، وهو يذب الناس عنه بسيف له، فقلت: الحمد الله الذى أخزاك الله يا عدو الله. قال: هل هو إلا رجل قتله قومه. قال: فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل فأصبت يده، فندر سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته. قال: ثم خرجت حتى أتيت النبى ﷺ كأنما أقل من الأرض فأخبرته، فقال: **«آلله الذى لا إله إلا هو؟»** فرددها ثلاثاً. قال: قلت: **«آلله الذى لا إله إلا هو»**. قال: فخرج يمشى معى حتى قام عليه فقال: **«الحمد لله الذى قد أخزاك الله يا عدو الله، هذا كان فرعون هذه الأمة»**. وفى رواية أخرى قال ابن مسعود: فنفلنى سيفه.(1)

وقال أبو إسحاق الفزارى، عن الثورى، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن ابن مسعود، قال: أتيت رسول الله ﷺ يوم بدر، فقلت: قد قتلت أبا جهل. فقال: **«آلله الذى لا إله إلا هو؟»**. فقلت: آلله الذى لا إله إلا هو مرتين أو ثلاثاً. قال: فقال النبى ﷺ: **«الله أكبر، الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»**. ثم قال: **«انطلق فأرنيه»**. فانطلقت فأريته، فقال: **«هذا فرعون هذه الأمة»**.(2) ورواه أبو داود والنسائى من حديث أبى إسحاق السبيعى به. وقال الواقدى: وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابنى عفراء، فقال: **«رحم الله ابنى عفراء فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة، ورأس أئمة الكفر»**. فقيل: يا رسول الله ومن قتله معهما؟ قال: **«الملائكة وابن مسعود قد شرك فى قتله»** رواه البيهقى.(3)

وقال البيهقى: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن عنبسة بن الأزهر، عن أبى إسحاق، قال: لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبى جهل، استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذى لا إله إلا هو، لقد رأيته قتيلاً؟ فحلف له فخرَّ رسول الله ﷺ ساجداً.(4) ثم روى البيهقى من طريق أبى نعيم، عن سلمة بن رجاء، عن الشعثاء امرأة من بنى أسد عن عبد الله بن أبى أوفى: أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين حين بشر بالفتح، وحين جىء برأس أبى جهل.(5) وقال ابن ماجه: حدثنا أبو بشر بكر بن خلف، حدثنا سلمة بن رجاء قال: حدثتنى شعثاء، عن عبد الله بن أبى أوفى: أن رسول الله ﷺ صلى يوم بشِّر برأس أبى جهل ركعتين.(6)

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا أبى، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبى: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إنى مررت ببدر، فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه، حتى

---

(1) إسناده ضعيف: وهو في «المسند» (3824)، وكذلك رواه أبو داود (2709)، وأبو يعلى (5263)، والطبراني (8470) (8471)، وغيرهم، كما سبق ذلك.

(2) ضعيف: كما سبق.

(3) «الدلائل» (3/ 88-89) من طريق الواقدي، وهو متروك.

(4) «الدلائل» (3/ 89) بإسناد معضل.

(5) «الدلائل» (3/ 89) بإسناد ضعيف جدًا.

(6) رواه ابن ماجه (1391) وضعه الألباني.

يغيب فى الأرض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً. فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك أبو جهل ابن هشام يعذب إلى يوم القيامة**»[1]. وقال الأموى فى مغازيه: سمعت أبى، ثنا المجالد بن سعيد، عن عامر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنى رأيت رجلاً جالساً فى بدر، ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب فى الأرض. فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**». [2]

وقال البخارى: حدثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه قال: قال الزبير: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بعنزة، فطعنته فى عينه فمات. قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطيت، فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها. قال عروة: فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل على، فطلبها عبد الله ابن الزبير فكانت عنده حتى قتل.[3]

وقال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى: أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ومرَّ به: إنى أراك كأن فى نفسك شيئاً، أراك تظن أنى قتلت أباك، إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإنى مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه، فحدت عنه وقصد له ابن عمه علىّ فقتله.[4]

قال ابن إسحاق: وقاتل عكّاشة بن محصن بن حرثان الأسدى، حليف بنى عبد شمس، يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب، فقال: «**قاتل بهذا يا عكاشة**». فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزَّه فعاد سيفاً فى يده طويل القامة، شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى: العون. ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحة الأسدى أيام الردة، وأنشد طليحة فى ذلك قصيدة منها قوله:

عَشِيَّةَ غادرْتُ ابنَ أقْرَمَ ثاوِيًا * وعُكَّاشَةَ الغَنْمِيَّ عندَ مَجالِ[5]

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتى بيانه. قال ابن إسحاق: وعكاشة هو الذى قال حين بشَّر رسول الله ﷺ أمته بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: ادعُ الله أن يجعلنى منهم.

(1) أخرجه البيهقي (3/ 89، 90) من طريق ابن أبي الدنيا وإسناده مرسل ضعيف.
(2) ضعيف كما سبق.
(3) أخرجه البخاري (3998).
(4) «السيرة» (1/ 529).
(5) «السيرة» (1/ 529) وعنه البيهقي (3/ 98) وهو معلق.

قال: «**اللهم اجعله منهم**». وهذا الحديث مخرج فى الصحاح والحسان وغيرها.[1]

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ فيما بلغنى : «**منا خير فارس فى العرب**». قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «**عكاشة بن محصن**». فقال ضرار بن الأزور الأسدى: ذاك رجل منا يا رسول الله. قال: «**ليس منكم ولكنه منا للحلف**».[2] وقد روى البيهقى، عن الحاكم، من طريق محمد بن عمر الواقدى: حدثنى عمر بن عثمان الجحشى، عن أبيه، عن عمته، قالت: قال عكّاشة ابن محصن: انقطع سيفى يوم بدر فأعطانى رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين، ولم يزل عنده حتى هلك.[3] وقال الواقدى: وحدثنى أسامة بن زيد، عن داود بن الحصين، عن رجال من بنى عبد الأشهل عدة، قالوا: انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر، فبقى أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان فى يده من عراجين ابن طاب، فقال: «**اضرب به**». فإذا سيف جيد فلم يزل عنده، حتى قتل يوم جسر أبى عبيد.[4]

ردُّه عليه السلام عين قتادة

قال البيهقى فى الدلائل: أخبرنا أبو سعد المالينى، أخبرنا أبو أحمد بن عدى، حدثنا أبو يعلى، حدثنا يحيى الحمانى، ثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان: أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ فقال: «**لا**» فدعا به فغمز حدقته براحته، فكان لا يدرى أى عينيه أصيبت. وفى رواية: فكانت أحسن عينيه.[5] وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة، وأنشد مع ذلك:

أنا ابْنُ الذي سالَتْ على الخَدِّ عَيْنُه * فَـرُدَّتْ بكَفِّ المُصطَفَى أيَّما رَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، عند ذلك منشداً قول أمية بن أبى الصلت فى سيف ابن ذى يزن، فأنشده عمر فى موضعه حقاً:

تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ * شِيبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أَبْوالا

---

(1) «السيرة» (1/ 530)، والحديث رواه البخاري (3410) (5705) (5752) (6472)، ومسلم (220)، والترمذي (2446)، وأحمد (1/ 271، 401) عن ابن عباس.

(2) «السيرة» (1/ 531) معلق.

(3) المغازي للواقدي (1/ 93)، و«الدلائل» (3/ 99) ولا يصح.

(4) «المغازي» (1/ 93)، و«الدلائل» (3/ 99) ولا يصح.

(5) حسن : وهو في «الدلائل» (3/ 99-100) وإسناده ضعيف لأجل الحماني، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (1546)، ومن طريقه البيهقي، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (5789) من طريق الحماني وأخرجه الطبراني (19/ 8/ 12)، بإسناد فيه ثلاثة مجاهيل كما قال الهيثمي في «المجمع» (6/ 113).
وأخرجه أبو يعلى (1547) وسنده ضعيف.
وعند أبي نعيم في «الدلائل» (ص 418) طريقين يتقوى بهما الحديث - وقوّاه الشيخ الألباني في «بداية السول في تفضيل الرسول» (ص 42).

فصل قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن صالح، أخبرنا الفضل بن محمد الشعراني، حدثنا إبراهيم بن المنذر، أخبرنا عبد العزيز بن عمران، حدثني رفاعة بن يحيى عن معاذ ابن رفاعة بن رافع عن أبيه رفاعة بن رافع بن مالك، عن أبيه قال: لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية بن خلف، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، قال: فطعنته بالسيف فيها طعنة، فقطعته ورميت بسهم يوم بدر، ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ، ودعا لي فما أذاني منها شيء.[1] وهذا غريب من هذا الوجه، وإسناده جيد ولم يخرجوه. ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن المنذر. قال ابن هشام: ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعدُ، فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن:

لم يَبْقَ إلا شِكَّةٌ ويَعْـبُـوبْ * وصـارمٌ يَقْـتُلُ ضُـلاَّلَ الشِّـيبْ[2]

يعني: لم يبق إلا عدة الحرب وحصان وهو اليعبوب، يقاتل عليه شيوخ الضلالة، هذا يقوله في حال كفره. وقد روينا في مغازي الأموي: أن رسول الله ﷺ جعل يمشي يوم بدر هو وأبو بكر الصديق بين القتلى، ورسول الله ﷺ يقول:

نُفَلِّقُ هامًـا .... * ....

فيقول الصدّيق:

.... مِن رجـالٍ أعِـزَّةٍ * علينا وهم كانوا أَعَقَّ وأَظْلَما

ذكر طرح رؤوس الكفر في بئر بدر

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليخرجوه فتزايل لحمه، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة. فلما ألقاهم في القليب، وقف عليهم فقال: «**يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً**». قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله أتكلم قوماً موتى؟ فقال: «**لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق**». قالت عائشة: والناس يقولون لقد سمعوا ما قلتُ لهم، وإنما قال رسول الله ﷺ : لقد علموا.[3]

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: سمع أصحاب النبي ﷺ رسول الله من جوف الليل، وهو يقول: «**يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا**

---

(1) هو في «الدلائل» (3/ 100)، والحاكم (3/ 232)، والطبراني (4535) من طريق عبد العزيز، وهو ضعيف.

(2) «السيرة» (1/ 531).

(3) **إسناده حسن**: وأخرجه في «السيرة» (1/ 531)، وأخرجه أحمد (6/ 276)، وابن جرير (2/ 456)، وابن حبان (7088)، والحاكم (3/ 224) من طريق ابن إسحاق، به.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وليس كما قالا، فالإسناد حسن فقط.

أمية بن خلف، ويا أبا جهل ابن هشام فعدَّد من كان منهم فى القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً». فقال المسلمون: يا رسول الله ﷺ أتنادى قوماً قد جيفوا؟ فقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى**»[1]. وقد رواه الإمام أحمد، عن ابن أبى عدى، عن حميد، عن أنس، فذكر نحوه. وهذا على شرط الشيخين.

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم، كذبتمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس؛ هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً**».[2]

قلت: وهذا مما كانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تتأوله من الأحاديث -كما قد جمع ما كانت تتأوله من الأحاديث فى جزء- وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر:22). وليس هو بمعارض له، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم للأحاديث الدالة نصاً، على خلاف ما ذهبت إليه رضى الله عنها وأرضاها.

وقال البخارى: حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: ذكر عند عائشة رضى الله عنها أن ابن عمر رفع إلى النبى ﷺ أن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله، فقالت: وهل رحمه الله إنما قال رسول الله ﷺ: «**إنه ليعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن**». قالت: وذاك مثل قوله: إن رسول الله ﷺ قام على القليب، وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال، قال: «**إنهم ليسمعون ما أقول**»، وإنما قال: «**إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق**». ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ (النمل:80) ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ تقول: حين تبوءوا مقاعدهم من النار.[3] وقد رواه مسلم، عن أبى كريب، عن أبى أسامة به، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه فى غير ما حديث، كما سنقرر ذلك فى كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله.

ثم قال البخارى: حدثنى عثمان، ثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، عن ابن عمر قال: وقف النبى ﷺ على قليب بدر، فقال: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**». **ثم قال: «إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم**». وذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبى ﷺ: «**إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم**

---

(1) صحيح: وهذا إسناده حسن – وهو في «السيرة» (1/ 532)، وأخرجه أحمد (3/ 104) من طريق ابن أبي عدي عن حميد، به. وإسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (3/ 145) من طريق يونس حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس، وإسناده صحيح.

وأخرجه البخاري (3976)، ومسلم (2875)، وأبو داود (2695)، وأبو يعلى (1431)، وابن حبان (4778)، وأحمد (4/ 29) من طريق سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة، به.

(2) «السيرة» (1/ 532) وهو معلق، وأخرجه نحوه أحمد (25372) عن عائشة وإسناده ضعيف.

(3) البخاري (3978) (3979)، ومسلم (932).

هو الحق»، ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ حتى قرأت الآية.[1] وقد رواه مسلم، عن أبي كريب، عن أبي أسامة، وعن أبي بكر ابن أبي شيبة، عن وكيع، كلاهما عن هشام بن عروة.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، سمع روح بن عبادة، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: **«يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟»**. فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال النبي ﷺ : **«والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»**. قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً.[2] وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن سعيد بن أبي عروبة. ورواه الإمام أحمد، عن يونس بن محمد المؤدب، عن شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قال: حدث أنس بن مالك فذكر مثله، فلم يذكر أبا طلحة، وهذا إسناد صحيح.[3]ولكن الأول أصح وأظهر والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد، عن ثابت، عن أنس: أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: **«يا أمية بن خلف، يا أبا جهل ابن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً»**. قال: فسمع عمر صوته، فقال: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث، وهل يسمعون ؟يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾. فقال: **«والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا»**[4]. ورواه مسلم، عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة به. قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت: [5]

عَرفتُ ديارَ زينبَ بالكَثِيبِ * كخَطِّ الوَحْيِ في الوَرَقِ القَشِيبِ
تداوَلُها الرياحُ وكلُّ جَوْنٍ * مِنَ الوَسْمِيِّ مُنهمِرٍ سَكُوبِ
فأمْسَى رَسْمُها خَلِقًا وأَمْسَتْ * يَبابًا بعدَ ساكِنِها الحبِيبِ
فدَعْ عنك التذكُّرَ كلَّ يومٍ * ورُدَّ حرارةَ القلبِ الكئِيبِ

(1) البخاري (3980) (3981)، ومسلم (932).

(2) أخرجه البخاري (3976)، ومسلم (2875)، وأبو داود (2695)، والترمذي (1551)، والنسائي (8657)، وأبو يعلى (1431)، وابن حبان (4778)، وأحمد (4/ 29).

(3) أحمد (3/ 145) (12471) وإسناده صحيح.

(4) المسند (3/ 287)، ومسلم (2874).

(5) «السيرة» (1/ 532-533).

وخبِّرْ بالذي لا عيبَ فيه * بصِدْقٍ غيرِ إخبارِ الكَذوبِ
بما صنعَ المَليكُ غَداةَ بدرٍ * لنا في المشركين من النصيبِ
غداةَ كأنَّ جمعَهمُ حِراءٌ * بدت أركانُه جُنْحَ الغُروبِ
فَلاقَيْناهمُ منا بجَمْعٍ * كأُسْدِ الغابِ مُرْدانٍ وشيبِ
أمامَ محمدٍ قد وازَروه * على الأعداءِ في لَفْحِ الحروبِ
بأيديهم صَوارِمُ مُرْهَفاتٌ * وكلُّ مُجَرَّبٍ خاظِي الكُعوبِ
بنو الأوسِ الغَطارِفُ وازَرَتْها * بنو النَّجَّارِ في الدِّينِ الصَّلِيبِ
فغادَرْنا أبا جَهْلٍ صَريعًا * وعُتْبَةَ قد تركْنا بالجَبُوبِ
وشَيْبَةَ قد تركْنا في رجالٍ * ذوِي حَسَبٍ إذا نُسِبُوا حَسيبِ
يُناديهم رسولُ الله لمَّا * قَذَفْناهم كَباكِبَ في القَلِيبِ
ألم تَجِدوا كلاميَ كان حقًا * وأَمْرُ اللهِ يَأْخُذُ بالقلوبِ
فما نَطَقُوا ولو نَطَقُوا لقالوا * صَدَقْتَ وكنتَ ذا رَأْيٍ مُصِيبِ

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا فى القليب، أخذ عتبة بن ربيعة، فسحب فى القليب فنظر رسول الله ﷺ فيما بلغنى فى وجه أبى حذيفة ابن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال: «**يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء**» أو كما قال رسول الله ﷺ . فقال: لا والله يا رسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه، ولكنى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذى كنت أرجو له، أحزننى ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيراً».[1]

وقال البخارى: حدثنا الحميدى، حدثنا سفيان، ثنا عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿الَّذين بَدَّلُوا نعْمَتَ اللَّه كُفْرًا﴾ (إبراهيم:28). قال: هم والله كفار قريش. قال عمرو: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. قال: النار يوم بدر[2]. قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت:

قَومِي الذين هم آوَوْا نبيَّهمُ * وصدَّقوه وأهلُ الأرضِ كُفَّارُ
إلاَّ خصائصَ أقوامٍ هُمُ سَلَفٌ * للصالحين مع الأنصارِ أنصارُ
مُسْتَبْشِرين بقَسْمِ اللهِ قولُهمُ * لمَّا أتاهمْ كريمُ الأصلِ مُختارُ
أهلاً وسهلاً ففي أَمنٍ وفي سَعَةٍ * نِعْمَ النبيُّ ونِعْمَ القَسْمُ والجارُ
فأنْزَلُوه بدارٍ لا يَخافُ بها * مَن كان جارَهمُ داراً هي الدارُ

---

(1) «السيرة» (1/ 534) ورواه بلاغًا، وضعفه الشيخ الألباني في «فقه السيرة» (ص 268).
(2) أخرجه البخاري (3977)، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (1411)، وابن جرير (13/ 222)، والنسائي في «تفسيره» (288) من طرق عن عطاء، به.

وقاسموه بها الأموالَ إذ قدموا	*	مُهاجرين وقِسْمُ الجاحد النارُ
سِرْنا وساروا إلى بدرٍ لحَيْنهمُ	*	لو يَعْلَمونَ يَقينَ العلم ما ساروا
دلاهمُ بغُرورٍ ثم أسْلَمَهُمْ	*	إنَّ الخبيثَ لِمَن والاه غَرَّارُ
وقال إنِّي لكم جارٌ فأوْرَدَهُمْ	*	شَرَّ المَوارِدِ فيه الخِزْيُ والعارُ
ثُم الْتَقَيْنا فوَلَّوْا عن سَراتِهمُ	*	مِن مُنْجِدين ومنهم فرقةٌ غاروا

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن أبي بكير، وعبد الرزاق، قالا: حدثنا إسرائيل، عن سماك بن حرب عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى، قيل له: عليك العير ليس دونها شيء. فناداه العباس وهو فى الوثاق: إنه لا يصلح لك. قال: لم ؟ قال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أنجز لك ما وعدك.[1] وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين، هذا مع حضور ألف من الملائكة، وكان قدر الله السابق فيمن بقى منهم أن سيسلم منهم بشر كثير، ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً، فأهلكهم عن آخرهم، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية. وقد كان فى الملائكة جبريل الذى أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط، وكنَّ سبعاً فيهن من الأمم والدواب والأراضى والمزروعات، وما لا يعلمه إلا الله، فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه، ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التى سومت لهم، كما ذكرنا ذلك فى قصة قوم لوط فيما تقدم.

وقد شرَّع الله جهاد المؤمنين للكافرين، وبيّن تعالى حكمه في ذلك فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ الآية (محمد:4). وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ الآية (التوبة:14،15). فكان قتل أبى جهل على يدى شاب من الأنصار، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ويمسك بلحيته، ويصعد على صدره حتى قال له: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعى الغنم. ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدى رسول الله، فشفى الله به قلوب المؤمنين، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه، والله أعلم.

وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلماً، ولكنه خرج معهم تقية منهم، لأنه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه جماعة، منهم: الحارث بن زمعة بن الأسود، وأبو قيس ابن الفاكه، وأبو قيس ابن الوليد بن المغيرة، وعلى بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج. قال: وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:97).

---

(1) هو في «المسند» (2022)، ورواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب، وأخرجه ابن أبي شيبة (14/ 376)، وأبو يعلى (2373)، والطبراني (11733)، والحاكم (2/ 327) من طرق عن إسرائيل، به.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، قلت: ولم يتابع عليه سماك، فبقى الاضطراب والضعف قائم.

وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً، كما سيأتى الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله. منهم: من آل رسول الله ﷺ عمهُ العباس بن عبد المطلب، وابن عمه عقيل بن أبى طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد استدل الشافعى والبخارى وغيرهما بذلك[1]، على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه، وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمرة فى ذلك[2]، فالله أعلم. وكان فيهم أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس بن أمية، زوج زينب بنت النبى ﷺ.

فصل

وقد اختلف الصحابة فى الأسارى أيقتلون أو يفادون على قولين، كما قال الإمام أحمد: حدثنا على بن عاصم، عن حميد، عن أنس وذكر رجلاً عن الحسن. قال: استشار رسول الله ﷺ الناس فى الأسارى يوم بدر، فقال: «**إن الله عز وجل قد أمكنكم منهم**». قال: فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم. قال: فأعرض عنه النبى ﷺ، ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس**» قال: فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء. قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله تعالى: ﴿**لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ**﴾ إلى آخر الآية (الأنفال:68). انفرد به أحمد.[3] وقد روى الإمام أحمد واللفظ له ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وصححه.

وكذا على بن المدينى، وصححه من حديث عكرمة بن عمار، حدثنا سماك الحنفى أبو زميل حدثنى ابن عباس، حدثنى عمر بن الخطاب قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله: فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر. فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والأخوان، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**». قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكننى من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه

---

(1) انظر «الفتح» (5/ 167-168).

(2) روى أحمد (5/ 15)، والطيالسي (910)، وأبو داود (3949)، وابن ماجه (2524)، والترمذي (1365)، والنسائي في «الكبرى» (4898) (4899) (4900)، وابن الجارود (973)، والطحاوي (5400) (5401)، والطبراني في «الأوسط» (1461)، وفي «الكبير» (6852) من طريق حماد بن سلمة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعًا «من ملك ذا رحم فهو حُرٌّ». وله طرق غير هذا يصح بها.

(3) **حسن** : وهو في «المسند» (13555) وإسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم.
لكن يشهد له حديث عمر في «المسند» (208) وسنده حسن، وحديث ابن مسعود عند أحمد (3632)، وسنده ضعيف، وحديث ابن عمر عند الحاكم (2/ 329) وإسناده حسن، وسيأتي كله.

فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء.

فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبى ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**للذى عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة**» لشجرة قريبة وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم[1]، وذكر تمام الحديث.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبى عبيدة، عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولون فى هؤلاء الأسرى؟**». قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم، لعل الله أن يتوب عليهم. قال: وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم فأضرب أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً. فقال العباس: قطعت رحمك، قال: فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول أبى بكر وقال ناس: يأخذ بقول عمر وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. فخرج عليهم فقال: «**إن الله ليلين قلوب رجال فيه، حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (إبراهيم:36) **ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، قال:** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة:118)، **وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال:** ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح:26)، **وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال:** ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس:88)، **أنتم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق**».

قال عبد الله: فقلت: يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء، فإنى قد سمعته يذكر الإسلام. قال: فسكت. قال: فما رأيتنى فى يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال: إلا سهيل بن بيضاء. قال: فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ﴾ (الأنفال:67،68). إلى آخر الآيتين.[2] وهكذا رواه الترمذى، والحاكم من حديث أبى معاوية.[3] وقال الحاكم: صحيح

(1) هو في «المسند» (208) وقد تقدم.

(2) أحمد (1/ 383-384) وإسناده فيه انقطاع، ويشهد له ما مضى.

(3) الترمذي (1714)، والمستدرك (3/ 21) وهو ضعيف ضعفه الألباني.

الإسناد ولم يخرجاه. ورواه ابن مردويه، من طريق عبد الله بن عمر[1]، وأبى هريرة بنحو ذلك. وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى بنحوه. وقد روى ابن مردويه، والحاكم فى المستدرك من حديث عبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر، أسره رجل من الأنصار، قال: وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «**إنى لم أنم الليلة من أجل عمى العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه**». قال عمر: أفآتيهم؟ قال: «**نعم**». فأتى عمر الأنصار فقال لهم: «**أرسلوا العباس**». فقالوا: لا والله لا نرسله. فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله رضى؟ قالوا: فإن كان له رضى فخذه. فأخذه عمر. فلما صار فى يده، قال له عمر: يا عباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلىَّ من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك. قال: واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر، فقال أبو بكر: عشيرتك فأرسلهم. واستشار عمر فقال: اقتلهم. ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**﴾ (الأنفال:67) الآية. ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.[2] وروى الترمذى، والنسائى، وابن حبان فى صحيحه، من حديث سفيان الثورى، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن على قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ ، فقال: خيِّر أصحابك فى الأسارى إن شاؤوا الفداء، وإن شاؤوا القتل على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم. قالوا: الفداء أو يقتل منا.[3] وهذا حديث غريب جداً، ومنهم من رواه مرسلاً عن عبيدة[4]، والله أعلم.

وقد قال ابن إسحاق، عن ابن أبى نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس، فى قوله: ﴿**لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ يقول: لولا أنى لا أعذب من عصانى حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.[5] وهكذا روى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أيضاً[6]، واختاره ابن إسحاق وغيره. وقال الأعمش: سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بدراً. وهكذا روى عن سعد بن أبى وقاص، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبى رباح[7]، وقال مجاهد والثورى: ﴿**لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ**﴾ أى:

(1،2) والحاكم (2/ 329) وإسناده حسن.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة (14/ 368)، والترمذي (1567)، والنسائي «كبرى» (8662)، وابن حبان (4795)، والحاكم (2/ 140)، والبيهقي (6/ 321)، و«الدلائل» (3/ 139) من طرق عن ابن سيرين عن عبيدة عن عليٍّ، به. وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وصححه الألباني وإن كان في متنه غرابة.

(4) أخرجه ابن سعد (2/ 22) من طريق هشام بن حسان وابن أبي شيبة (14/ 368)، والطبراني (16303)، من طريق أشعث والطبراني (16305) من طريق ابن عون، وعبد الرزاق (9402) من طريق أيوب، كلهم عن ابن سيرين عن عبيدة مرسلاً.

ولعل المرسل هو الأصح فإن المرفوع فيه إشكال مع ما فيه من غرابة والله أعلم.

(5) «السيرة» (1/ 675) وإسناده ضعيف.

(6) «الطبري» (16314).

(7) «الطبري» (10/ 46).

لهم بالمغفرة. وقال الوالبى عن ابن عباس: سبق فى أم الكتاب الأول أن المغانم وفداء الأسارى حلال لكم، ولهذا قال بعده: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا﴾ (الأنفال:69). وهكذا روى عن أبى هريرة، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة، والأعمش، واختاره ابن جرير، وقد ترجح هذا القول بما ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة**».[1]

وروى الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ : «**لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا**»[2]. ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا﴾ فأذن الله تعالى فى أكل الغنائم، وفداء الأسارى. وقد قال أبو داود: حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشى، ثنا سفيان بن حبيب، ثنا شعبة، عن أبى العنبس، عن أبى الشعثاء، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة، وهذا كان أقل ما فودى به أحد منهم من المال، وأكثر ما فودى به الرجل منهم أربعة آلاف درهم.[3] وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه فى الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الآية (الأنفال:70). وقال الوالبى عن ابن عباس: نزلت فى العباس ففادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب، قال العباس: فآتانى الله أربعين عبداً يعنى: كلهم يتجر له . قال: وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله جل ثناؤه.[4]

وقال ابن إسحاق: حدثنى العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس قال: لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق، بات النبى ﷺ ساهراً أول الليل، فقال له أصحابه: ما لك لا تنام يا رسول الله؟ فقال: «**سمعت أنين عمى العباس فى وثاقه**». فأطلقوه فسكت، فنام رسول الله ﷺ [5] قال ابن إسحاق: وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب.[6] قلت: وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابنى أخويه عقيل ونوفل، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بنى الحارث بن فهر، كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم. فقال له رسول الله ﷺ : «**أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم بإسلامك وسيجزيك**».

---

(1) البخاري (335) (438)، ومسلم (521).

(2) أخرجه الترمذي (3085)، وابن حبان (4806)، والطبري (16301)، والبيهقي (6/ 290-291) من طريق عن الأعمش، به. وإسناده صحيح على شرطهما.

(3) أخرجه أبو داود (2691) وضعفه الألباني في «الإرواء» (1218).

(4) «الطبري» (10/ 49).

(5) **إسناده فيه انقطاع** : أخرجه الطبري في «التاريخ» (2/ 463)، و«الفسوي» (1/ 506)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 141) من طريق ابن إسحاق، به.

(6) البيهقي في «الدلائل» (3/ 141).

فادعى أنه لا مال عنده، قال: «**فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها: إن أصبت فى سفرى فهذا لبَنِىَّ الفضل وعبد الله وقثم**». فقال: والله إنى لأعلم أنك رسول الله إن هذا شىء ما علمه إلا أنا وأم الفضل. رواه ابن إسحاق عن ابن أبى نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس.[1] وثبت فى صحيح البخارى من طريق موسى بن عقبة، قال الزهرى: حدثنى أنس بن مالك قال: إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ، قالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه. فقال: «**لا والله لا تذرون منه درهماً**».[2]

قال البخارى: وقال إبراهيم بن طهمان، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس: أن النبى ﷺ أتى بمال من البحرين، فقال: «**انثروه فى المسجد**». فكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطنى إنى فاديت نفسى وفاديت عقيلاً. فقال: «**خذ**». فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع، فقال: مر بعضهم يرفعه إلىَّ. قال: «**لا**». قال: فارفعه أنت على. قال: «**لا**». فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع، فقال: مر بعضهم يرفعه إلىَّ. قال: «**لا**». قال: فارفعه أنت علىَّ. قال: «**لا**». فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق. فما زال يتبعه بصره حتى خفى علينا عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثَمَّ منها درهم.[3] وقال البيهقى: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس، عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى. قال: كان فداء العباس وابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمائة دينار، ثم توعد تعالى الآخرين، فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:71).[4]

فصل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين، والقتلى من المشركين سبعين، كما ورد فى غير ما حديث مما تقدم، وسيأتى إن شاء الله. وكما فى حديث البراء بن عازب فى صحيح البخارى: أنهم قتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين.[5] وقال موسى بن عقبة: قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة، ومن الأنصار ثمانية، وقتل من المشركين تسعة وأربعون، وأسر منهم تسعة وثلاثون. هكذا رواه البيهقى عنه.[6] قال: وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة فى عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين.[7] ثم قال: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق. قال: واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً،

---

(1) أخرجه في «الدلائل» (3/ 143) من طريق ابن إسحاق وسنده ضعيف.
(2) أخرجه البخاري (2537) (3048) (4018).
(3) أخرجه البخاري (421) (3049) (3165) معلقًا مجزومًا به.
(4) «الدلائل» (3/ 140) موقوفاً على السُّدي.
(5) هو في «البخاري» (3986) وقد تقدم.
(6) «الدلائل» (3/ 122).
(7) «الدلائل» (3/ 122) وإسناده مرسل ضعيف.

أربعة من قريش وسبعة من الأنصار، وقتل من المشركين بضعة وأربعون رجلاً. وقال في موضع آخر: وكان مع رسول الله ﷺ أربعة وأربعون أسيراً، وكانت القتلى مثل ذلك.[1] ثم روى البيهقي: من طريق أبي صالح كاتب الليث، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري قال: وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر، ورجل من الأنصار، وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين، وأسر منهم مثل ذلك.[2] قال: ورواه ابن وهب، عن يونس بن يزيد، عن الزهري، عن عروة بن الزبير.[3]

قال البيهقي: وهو الأصح فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم، ثم استدل على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضاً من طريق أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: أمّر رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين وكان النبي ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً.[4]

قلت: والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف، وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً[5]، وكأنه أخذه من هذا الذي ذكرناه، والله أعلم. وفي حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف، والصحيح الأول لقوله عليه السلام: «**القوم ما بين التسعمائة إلى الألف**»، وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، كما سيأتي التنصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله. وتقدم في حديث الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان، وقاله أيضاً عروة بن الزبير، وقتادة، وإسماعيل، السدي الكبير، وأبو جعفر الباقر.[6]

وروى البيهقي من طريق قتيبة، عن جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله ابن مسعود في ليلة القدر قال: تحروها لإحدى عشرة بقين فإن صبيحتها يوم بدر.[7] قال البيهقي: وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر، فقال: ليلة تسع عشرة ما شك، وقال: يوم الفرقان يوم التقى الجمعان.[8] قال البيهقي: والمشهور عن أهل المغازي أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان.[9] ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين ابن بشران، حدثنا أبو عمرو ابن السماك، حدثنا حنبل بن إسحاق، ثنا أبو نعيم، ثنا عمرو بن عثمان: سمعت موسى بن طلحة يقول: سئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر فقال: إما لسبع عشرة خلت أو ثلاث عشرة خلت أو لإحدى عشرة بقيت، وإما لسبع عشرة بقيت.[10] وهذا غريب جداً.

---

(1) «الدلائل» (3/ 122).
(2، 3) سبق الكلام عليهما.
(4) «الدلائل» (3/ 124).
(5) أخرجه الفسوي في «المعرفة» (3/ 278).
(6) كل هذه الأحاديث والآثار تقدم تخريجها.
(7) «الدلائل» (3/ 126-127) وإسناده صحيح.
(8) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (3/ 128) بغير إسناد وصدّره بصيغة التضعيف.
(9) هو قوي عند البيهقي (3/ 128).
(10) «الدلائل» (3/ 128-129) وإسناده صحيح.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة قباث بن أشيم الليثى، من طريق الواقدى وغيره بإسنادهم إليه: أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله ﷺ، قال: وجعلت أقول فى نفسى: ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء، والله لو خرجت نساء قريش بأكمتها، ردت محمداً وأصحابه. فلما كان بعد الخندق، قلت: لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد، وقد وقع فى نفسى الإسلام. قال: فقدمتها فسألت عنه، فقالوا: هو ذاك فى ظل المسجد فى ملأ من أصحابه، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت. فقال: يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر: ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ؟ فقلت: أشهد أنك رسول الله فإن هذا الأمر ما خرج منى إلى أحد قط، ولا ترمرمت به إلا شيئاً حدثت به نفسى، فلولا أنك نبى ما أطلعك الله عليه، هلم أبايعك على الإسلام فأسلمت.(1)

فصل

وقد اختلفت الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر فى المغانم من المشركين يومئذ، لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون. ففرقة أحدقت برسول الله ﷺ تحرسه خوّفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه. وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون، وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن. فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم. قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبى أمامة الباهلى قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ، فقسمه بين المسلمين عن بواء، يقول: عن سواء. وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة عن محمد ابن إسحاق به.(2) ومعنى قوله: على السواء: أى ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات، لم يخصص بها فريقاً منهم، ممن ادعى التخصيص بها، ولا ينفى هذا تخميسها وصرف الخمس فى مواضعه، كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيد وغيره، والله أعلم. بل قد تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار من مغانم بدر. قال ابن جرير: وكذا اصطفى جملاً لأبى جهل كان فى أنفه برة من فضة(3)، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً.

---

(1) في «تاريخ ابن عساكر» (52/ 152)، وقد أخرجه الواقدي في «المغازي» (1/ 97) وفيه الواقدي، والطبراني (19/ 72) وهو ضعيف.

(2) هو في «السيرة» (1/ 535) وإسناده حسن. وأخرجه أحمد (22747) (22753)، والطبري «تفسير» (9/ 172) و«تاريخ» (2/ 458)، والحاكم (2/ 136) والبيهقي (6/ 262-315) من طرق عن محمد ابن إسحاق، به.

وقد تابع محمد بن إسحاق عبد الرحمن بن الحارث، فرواه الطحاوي (3/ 277) بنحوه مطولاً، وتبعه عبد الرحمن بن عياش، فرواه أحمد (22762)، والدارمي (2482) (2486)، والبيهقي (6/ 315) بنحوه وله شاهد من حديث ابن عباس.

(3) «تاريخ الطبري» (2/ 479).

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، ثنا أبو إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة، عن سليمان بن موسى، عن أبى سلام، عن أبى أمامة، عن عبادة ابن الصامت قال: خرجنا مع النبى ﷺ فشهدت معه بدراً، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكريحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض. قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا فى طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا منها العدو وهزمناهم. وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به. فنزلت: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** (الأنفال:1)، فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. وكان رسول الله ﷺ إذا أغار فى أرض العدو نفل الربع، فإذا أقبل راجعاً نفل الثلث، وكان يكره الأنفال[1]. وقد روى الترمذى، وابن ماجه من حديث الثورى، عن عبد الرحمن ابن الحارث آخره، وقال الترمذى: هذا حديث حسن.[2] ورواه ابن حبان فى صحيحه، والحاكم فى مستدركه من حديث عبد الرحمن. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.[3]

وقد روى أبو داود، والنسائى، وابن حبان، والحاكم، من طرق عن داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : «**من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا**». فتسارع فى ذلك شبان الرجال، وبقى الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت الغنائم جاءوا يطلبون الذى جعل لهم، فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءاً لكم ولو انكشفتم لفئتم إلينا، فتنازعوا فأنزل الله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** (الأنفال:1).[4] وقد ذكرنا فى سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها ههنا، ومعنى الكلام: أن الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد. ولهذا قال تعالى: **﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** . ثم ذكر ما وقع فى قصة بدر وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** الآية (الأنفال:41).

---

(1) **صحيح** : انظر التخريج السابق.

(2) أخرجه الترمذي (1561)، وابن ماجه (2852) من نفس الطريق الآتي.

(3) أخرجه أحمد (5/ 318-319)، والنسائي (7/ 131)، وابن حبان (4855)، والحاكم (2/ 135)، والبيهقي (6/ 292) من طريق عبد الرحمن، به.
وأخرجه عبد الرزاق (9334)، وأحمد (5/ 322)، 323)، والدارمي (2/ 229)، والطبري (15655)، والحاكم (2/ 136)، والبيهقي (6/ 292)، من طريق عبد الرحمن بن الحارث عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة عن عبادة، ولم يذكر أبا سلام الباهي.

(4) أخرجه أبو داود (2737) (2739)، والنسائي «كبرى» (11197)، وابن حبان (5093)، والحاكم (2/ 131)، والبيهقي (6/ 291)، وفي «الدلائل» (3/ 135)، وإسناده صحيح.

فالظاهر: أن هذه الآية مبينة لحكم الله فى الأنفال، الذى جعل مرده إليه وإلى رسوله ﷺ، فبينه تعالى وحكم فيها بما أراد تعالى، وهو قول ابن زيد، وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله، أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر على السواء بين الناس، ولم يخمسها. ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدم. وهكذا روى الوالبى عن ابن عباس وبه قال مجاهد، وعكرمة، والسدى، وفى هذا نظر[1]، والله أعلم. فإن سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها فى غزوة بدر فيقتضى أن ذلك نزل جملة فى وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضى نسخ بعضه بعضاً، ثم فى الصحيحين عن علىّ رضي الله عنه أنه قال فى قصة شارفيه اللذين اجتبّ أسنمتهما حمزة إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر.[2] ما يرد صريحاً على أبى عبيد أن غنائم بدر لم تخمس، والله أعلم. بل خمست كما هو قول البخارى وابن جرير وغيرهما، وهو الصحيح الراجح، والله أعلم.

فصل في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة، وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيداً منصوراً، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان، سنة اثنتين من الهجرة. وثبت فى الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام، وقد أقام عليه الصلاة والسلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم[3]، وكان رحيله منها ليلة الاثنين فركب ناقته ووقف على قليب بدر فقرع أولئك الذين سحبوا إليه، كما تقدم ذكره. ثم سار عليه الصلاة والسلام ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة. وقد بعث عليه الصلاة والسلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر. أحدهما: عبد الله بن رواحة إلى أعالى المدينة. والثانى: زيد ابن حارثة إلى السافلة. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره فى بدر. قال أسامة: فلما قدم أبى زيد بن حارثة جئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البخترى العاص بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. قال: قلت: يا أبت أحق هذا؟ قال: إى والله يا بنى.

وروى البيهقى: من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسامة بن زيد أن النبى ﷺ خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة، قال أسامة: فسمعت الهيعة فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى. وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه.[4] وقال الواقدى: صلى

---

(1) انظر كتاب «الأموال» (ص 384)، والطبري في «تفسيره» (9/ 175-176).

(2) انظر «صحيح البخاري» (2375) (3091)، ومسلم (1979).

(3) انظر «صحيح البخاري» (3065)، ومسلم (2875).

(4) «الدلائل» (3/ 130)، وإسناده صحيح.

رسول الله ﷺ مرجعه من بدر العصر بالأثيل فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال: «**مرَّ بى ميكائيل وعلى جناحه النقع فتبسم إلىَّ وقال: إنى كنت فى طلب القوم، وآتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر، على فرس أنثى معقود الناصية قد عصم ثنيته الغبار**». فقال: يا محمد إن ربى بعثنى إليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى، هل رضيت؟ قال: «**نعم**».[1] قال الواقدى: قالوا: وقدم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل فجاءا يوم الأحد حين اشتد الضحى وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق فجعل عبد الله بن رواحة ينادى على راحلته: يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم، قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل، وقتل زمعة بن الأسود، وأمية بن خلف، وأسر سهيل بن عمرو.

قال عاصم بن عدى: فقمت إليه فنحوته فقلت: أحقاً ما تقول يا بن رواحة؟ فقال: إى والله وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين. ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يبشرهم داراً داراً والصبيان يشتدون معه يقولون: قتل أبو جهل الفاسق، حتى إذا انتهى إلى دار بنى أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء يبشر أهل المدينة. فلما جاء المصلى صاح على راحلته: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وقتل أمية بن خلف، وأبو جهل، وأبو البخترى، وزمعة بن الأسود، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب فى أسرى كثير، فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون: ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاً حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا. وقدم زيد حين سوينا على رقية بنت رسول الله ﷺ التراب بالبقيع. وقال رجل من المنافقين لأسامة: قتل صاحبكم ومن معه؟ وقال آخر لأبى لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل علية أصحابه وقتل محمد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدرى ما يقول من الرعب، وجاء فلاً، فقال أبو لبابة: يكذِّب الله قولك. وقالت اليهود: ما جاء زيد إلا فلاً.

قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبى فقلت: أحق ما تقول؟ فقال: إى والله حق ما أقول يا بنى فقويت نفسى ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين، لنقدمنك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك. فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه. قالوا: فجيء بالأسرى وعليهم شقران مولى رسول الله ﷺ وكان قد شهد معهم بدراً وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحصوا. قال الواقدى: وهم سبعون فى الأصل مجتمع عليه لا شك فيه. قال: ولقى رسول الله ﷺ إلى الروحاء رؤوس الناس يهنئونه بما فتح الله عليه. فقال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفى عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً، ولكن ظننت أنها عير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت. فقال له رسول الله: «**صدقت**»[2]. قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم: عقبة ابن أبى معيط، والنضر بن الحارث

---

(1) أخرجه أبو يعلى (2060)، وابن عدي (7/ 95)، والطبراني في «الأوسط» (7203)، والبيهقي «دلائل» (3/ 131)، والواقدي (1/ 113) وطرقه كلها ضعيفة جدًا.

(2) ضعيف جداً : أخرجه الواقدي (1/ 116-117)، وابن سعد (3/ 559-560)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 133) وإسناده ضعيف جدًا.

وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار. فقال راجز من المسلمين.(1) قال ابن هشام: يقال إنه هو عدى بن أبى الزغباء:

أَقِمْ لهــا صُــدُورَها يا بَسْــبَسُ * ليس بذِى الطَّلْح لها مُـعَـرَّسُ
ولا بصَحْراءِ غُمَيْرٍ مَحْبِسُ * إنَّ مَطَايا القــوم لا تُحَــبَّسُ
فحَمْلُها على الطريقِ أَكْيَسُ * قــد نَصَــرَ اللهُ وفَــرَّ الأَخْنَسُ

قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له: سير إلى سرحة به. فقسَّم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين. فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثنى عاصم بن عمر ويزيد بن رومان: ما الذى تهنئوننا به؟ والله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعقلة فنحرناها فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: **«أى، ابن أخى أولئك الملأ»**(2). قال ابن هشام: يعنى: الأشراف والرؤساء.

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث، قتله على بن أبى طالب كما أخبرنى بعض أهل العلم من أهل مكة، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة ابن أبى معيط.(3) قال ابن إسحاق: فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: **«النار»**. وكان الذى قتله عاصم بن ثابت ابن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر.(4) وكذا قال موسى بن عقبة فى (مغازيه) وزعم أن رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره. قال: ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت قال: يا معشر قريش علام أقتل من بين من ههنا؟ قال: على عداوتك الله ورسوله.(5) وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب، عن الشعبى قال: لما أمر النبى ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد من بين قريش؟ قال: **«نعم! أتدرون ما صنع هذا بى؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقى وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينى ستندران، وجاء مرة أخرى بسلاً شاة فألقاه على رأسى وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى»**(6). قال ابن هشام: ويقال: بل قتل عقبة علىٌّ بن أبى طالب فيما ذكره الزهرى وغيره من أهل العلم.(7)

---

(1) «السيرة» (1/ 537).
(2) مرسل إسناده حسن - وهو في «السيرة» (1/ 537) وعنه ابن جرير (2/ 459).
(3) «السيرة» (1/ 538).
(4) «السيرة» (1/ 538)، وابن جرير (2/ 459).
وأخرج البزار عن ابن عباس بنحوه، وقال الهيثمي في «المجمع» (6/ 89) رجاله رجال الصحيح.
(5) أخرجه أبو داود (2686) عن ابن مسعود بنحوه.
(6) إسناده مرسل ضعيف، عطاء كان قد اختلط وسماع حماد عنه لا يُميز والشعبي لم يحضر فهو تابعي.
(7) «السيرة» (1/ 538).

قلت: كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاءً للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل. قال ابن هشام: فقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث فى مقتل أخيها:

يا راكبًا إن الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ * مِن صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بها مَيْتًا بأنَّ تحيَّةً * ما إنْ تَزالُ بها النَّجائِبُ تَخفُقُ
مِنِّي إليكَ وعَبْرةً مَسْفُوحةً * جادتْ بِواكِفِها وأُخْرَى تَخنُقُ
هل يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نادَيْتُهُ * أمْ كيفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لا يَنْطِقُ
أمحمدٌ يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ * من قومِها والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ورُبَّما * مَنَّ الفتى وهو المغيَّظ المُحْنَقُ
أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فَلَيُنْفَقَنْ * بأعزِّ ما يَغْلُو به ما يُنْفِقُ
والنَّضْرُ أقربُ مَن أَسَرْتَ قرابةً * وأحَقُّهم إنْ كان عِتقٌ يعتقُ
ظَلَّتْ سيوفُ بني أبيه تَنُوشُهُ * للهِ أرحامٌ هنالك تُشَقَّقُ
صَبْرًا يُقادُ إلى المَنِيَّةِ مُتْعَبًا * رَسْفَ المُقَيَّدِ وهْو عانٍ مُوثَقُ

قال ابن هشام: ويقال والله أعلم: إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه».

قال ابن إسحاق: وقد تلقى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند، مولى فروة بن عمرو البياضى حجامه عليه الصلاة والسلام ومعه زق مملوء حيساً -وهو التمر والسويق بالسمن- هدية لرسول الله ﷺ فقبله منه ووصى به الأنصار.[1] قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم.[2] قال ابن إسحاق: وحدثنى نبيه بن وهب أخو بنى عبد الدار: أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه، وقال: «**استوصوا بهم خيراً**». قال: وكان أبو عزيز ابن عمير بن هاشم أخو مصعب ابن عمير لأبيه وأمه فى الأسارى، قال أبو عزيز: مرَّ بى أخى مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى فقال: شد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك. قال أبو عزيز: فكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فأستحى فأردها فيردها علىَّ ما يمسها.[3]

---

(1) انظر: «السيرة» (1/ 538) وانظر ابن الأثير (5/ 325) وفي «الإصابة» (7/ 207) وله حديث صحيح خرجته مطولاً في «السيرة» (1/ 539).

(2) «السيرة» (1/ 539).

(3) «السيرة» (1/ 540) وأخرجه ابن جرير في «تاريخه» (2/ 460) من طريق ابن إسحاق، به.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (22/ 393/ 977) وفي «الصغير» (40) من طريق ابن إسحاق حدثني نبيه ابن وهب عن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب - فذكره.
قال الهيثمي في «المجمع» (6/ 86) إسناده حسن، لكن الحافظ في «الإصابة» ذكر واسطة مجهولة بين نبيه ابن وهب وأبي عزيز من طريق ابن إسحاق، فالحديث ضعيف للانقطاع.

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لأبى اليسر وهو الذى أسره ما قال: قال له أبو عزيز: يا أخى هذه وصاتك بى؟ فقال له مصعب: إنه أخى دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها.[1]

قلت: وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير فى غابة الصحابة، وعدَّه خليفة بن خياط فى أسماء الصحابة. وكان أخا مصعب بن عمير لأبويه، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم ابن عمير وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافراً ذاك أبو عزة كما سيأتى فى موضعه والله أعلم.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبى ﷺ عند آل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابنى عفراء، قال: وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب. قال: تقول سودة: والله إنى لعندهم إذ أتينا فقيل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، قالت: فرجعت إلى بيتى ورسول الله ﷺ فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. قالت: فلا والله ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أى أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراماً؟ فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: «**يا سودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين؟**». قال: قلت يا رسول الله، والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت.[2] ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتى بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكميته إن شاء الله.

ذكر فرح النجاشي رضي الله عنه بوقعة بدر

قال الحافظ البيهقى: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفى ببغداد، حدثنا أحمد ابن سليمان النجاد، حدثنا عبد الله بن أبى الدنيا، حدثنى حمزة بن العباس، ثنا عبدان بن عثمان، ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد، بن جابر، عن عبد الرحمن -رجل من أهل صنعاء- قال: أرسل النجاشى ذات يوم إلى جعفر بن أبى طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو فى بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب. قال جعفر: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما أن رأى ما فى وجوهنا قال: إنى أبشركم بما يسركم إنه جاءنى من نحو أرضكم عين لى،

---

(1) «السيرة» (1/ 541).

(2) «السيرة» (1/ 539)، وأخرجه أبو داود (2680)، والطبري في «تاريخه» (2/ 460)، والطبراني (24/ 35/ 92)، والحاكم (3/ 22)، والبيهقي (9/ 89) من طرق عن محمد بن إسحاق بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ووقع في رواية الحاكم والبيهقي عن «جده» أي: عبد الرحمن بن أسعد. وقال الحافظ في «الإصابة» (4/ 150) عنه: وقع في رواية ابن إسحاق عبد الرحمن ابن أسعد وإن كان كذلك فهو متصل لأن له صحبة ووقع في رواية أبي نعيم - عبد الرحمن بن سعد فإن كان كذلك فروايته مرسلة. وأورده الألباني في «ضعيف أبي داود» (574).

فأخبرني أن الله قد نصر نبيه ﷺ وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان. التقوا بواد يقال له: بدر كثير الأراك كأني أنظر إليه كنت أرعى به لسيدى -رجل من بنى ضمرة- إبله، فقال له جعفر: ما بالك جالساً على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق؟ قال: إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى: إن حقاً على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله لى نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع.(1)

فصل في وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعى فقالوا له: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم ابن هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البخترى ابن هشام. فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا، فسلوه عنى، فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالساً فى الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.(2) قال موسى بن عقبة: ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل. وذكر السهيلى عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال: لما كانت وقعة بدر سمع أهل مكة هاتفاً من الجن يقول:

أزارَ الحَنيفيُّون بَدْرًا وَقيعةً * سيَنْقَضُ منها رُكنُ كِسْرَى وقَيْصَرا

أبادَتْ رجالاً مِن لؤي وأبْرَزَتْ * خَرائِدَ يَضْرِبْنَ التَرائبَ حُسَّرا

فيا وَيْحَ مَن أمْسَى عدُوَّ محمدٍ * لقد جارَ عن قَصْدِ الهُدَى وتَحَيَّرا(3)

قال ابن إسحاق: وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه. وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبته الله وأخزاه، ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزاً. قال: وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الأقداح أنحتها فى حجرة زمزم، فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقداحي، وعندى أم الفضل جالسة، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر. إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشرٍّ، حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهرى، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم.

قال: فقال أبو لهب: هلمَّ إليَّ فعندك لعمرى الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال:

(1) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (3/ 133-134) وسنده فيه انقطاع.
(2) «السيرة» (1/ 540)، وابن جرير (2/ 461).
(3) «الروض» (5/ 224).

يا بن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة، قال: وثاورته فاحتملنى وضرب بى الأرض، ثم برك عليَّ يضربنى وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فلعت فى رأسه شجة منكرة. وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.(1)

زاد يونس عن ابن إسحاق: فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتن. وكانت قريش تتقى هذه العدسة كما تتقى الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان إن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عدوى هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار، ثم رضموا عليه بالحجارة.(2) قال يونس عن ابن إسحاق: وحدثنى يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت لا تمرُّ على مكان أبى لهب هذا إلا تسترت بثوبها حتى تجوز.(3)

قال ابن إسحاق وحدثنى يحيى بن عباد عن أبيه قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه فى الفداء.(4) قلت: وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم فى ذلك الوقت، وهو تركهم النوح على قتلاهم، فإن البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين.

قال ابن إسحاق: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زمعة، وعقيل، والحارث، وكان يحب أن يبكى على بنيه قال: فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له وكان قد ذهب بصره: انظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة -يعنى: ولده زمعة- فإن جوفى قد احترق؟ قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته. قال: فذاك حين يقول الأسود:

---

(1) «السيرة» (1/ 542) وإسناده ضعيف جداً مع انقطاعه. حسين بن عبد الله متروك. وقد أخرجه أحمد (6/ 9)، عن أبي رافع وهكذا رواه الطبراني (912)، والحاكم (3/ 321)، والبيهقي (3/ 145)، والبزار (3866)، من طريق ابن إسحاق عن حسين عن عكرمة عن ابن عباس عن أبي رافع فوصله وقال الهيثمي (6/ 89) في إسناده حسين بن عبد الله وثقه أبو حاتم وضعفه غيره.

(2) هذه الزيادة في رواية البيهقي في «الدلائل» (3/ 145).

(3) **إسناده حسن**: هو في «السيرة» (1/ 543)، والطبري في «تاريخه» (2/ 463) عنه.

(4) **مرسل إسناده حسن**: السيرة (1/ 543)، وعنه ابن جرير (2/ 463) وهو مرسل إسناده حسن.

أَتَبْكِي أنْ أَضَلَّ لهـا بعـيـرٌ * ويَمْنَعُهـا مِن النوم السُّهُودُ
فـلا تَبْكِي على بَكْرٍ ولكنْ * على بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الجُدودُ
على بدرٍ سَرَاةِ بني هُصَيْصٍ * ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبي الوَليدِ
وبَكِّي إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ * وبَكِّي حارثًا أَسَدَ الأُسودِ
وبَكِّيهم ولا تَسَمِي جميعًا * ومـا لأبي حكيمةَ من نديدِ
ألا قـد سـادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ * ولولا يومُ بدرٍ لم يَسُودُوا[1]

فصل في بعث قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم

قال ابن إسحاق: وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى. فقال رسول الله ﷺ: «**إن له بمكة ابنًا كيساً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه**». فلما قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه؛ قال المطلب بن أبى وداعة، وهو الذى كان رسول الله ﷺ عَنَى: صدقتم لا تعجلوا، وانسلَّ من الليل وقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به.[2]

قلت: وكان هذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش فى فداء أسراهم، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف فى فداء سهيل بن عمرو، وكان الذى أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف فقال فى ذلك:

أَسَرْتُ سُهَيْلاً فلا أَبْتَغِي * أَسِيرًا به من جميعِ الأُمَمْ
وخِنْدِفُ تَعْلَمُ أنَّ الفَتَى * فَتَاها سُهَيْلٌ إذا يُظَّلَمْ
ضَرَبْتُ بذي الشَّفْرِ حتى انثَنَى * وأَكْرَهْتُ نفسي على ذي العَلَمْ

قال ابن إسحاق: وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى.[3] قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى: أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ: دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبياً**». **قلت:** وهذا حديث مرسل بل معضل.[4]

قال ابن إسحاق: وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لعمر فى هذا «**إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه**».[5]

---

(1) **مرسل إسناده حسن**: السيرة (1/ 543) وابن جرير (2/ 463) عنه.
(2) «السيرة» (1/ 543-544)، وعنه ابن جرير (2/ 463-464)، وإسناده حسن، وقال الهيثمي في «المجمع» (6/ 90) رواه الطبراني ورجاله ثقات.
(3) «السيرة» (1/ 543).
(4) «السيرة» (1/ 544)، وعنه ابن جرير (2/ 465) وفيه الإعضال المذكور. وقد رواه ابن أبي شيبة (8/ 484/ 87) من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن عمرو عن عطاء، فذكره. وإسناده ضعيف وفيه انقطاع.
(5) «السيرة» (1/ 544)، ورواه البيهقي في «الدلائل» (6/ 367) من طريق ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمر عن الحسن بن محمد عن عمر، وفيه انقطاع.

قلت: وهذا هو المقام الذى قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها. فقام بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سيأتى فى موضعه.

قال ابن إسحاق: فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضائهم قالوا: هات الذى لنا. قال: اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم. وأنشد له ابن إسحاق فى ذلك شعراً أنكره ابن هشام[1]، فالله أعلم. قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال: وكان فى الأسارى عمرو بن أبى سفيان صخر بن حرب. قال ابن إسحاق: وكانت أمه بنت عقبة بن أبى معيط.[2] قال ابن هشام: بل كانت أمه أخت أبى معيط. قال ابن هشام: وكان الذى أسره على بن أبى طالب. قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال: فقيل لأبى سفيان: افد عمراً ابنك، قال: أيجمع علىَّ دمى ومالى، قتلوا حنظلة وأفدى عمراً؟ دعوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم. قال: فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بنى عمرو بن عوف، ثم أحد بنى معاوية معتمراً ومعه مرية له وكان شيخاً مسلماً فى غنم له بالنقيع، فخرج من هنالك معتمراً ولا يخشى الذى صنع به لم يظن أنه يحبس بمكة إنما جاء معتمراً، وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير. فعدا عليه أبو سفيان ابن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو وقال فى ذلك:

أَرَهْطَ ابنِ أُكَّالٍ أَجِيبوا دعاءَهُ * تعاقدتُمُ لا تُسْلِموا السيدَ الكَهْلا

فإنَّ بنى عمروٍ لئامٌ أذلَّةٌ * لئن لم يَفُكُّوا عن أسيرِهِمُ الكَبْلا

قال: فأجابه حسان بن ثابت يقول:

لو كان سعدٌ يومَ مكةَ مُطْلَقًا * لأكْثَرَ فيكم قبلَ أن يُؤْسَرَ القَتْلا

بعَضْبٍ حُسامٍ أو بصفراءَ نَبْعَةٍ * تَحِنُّ إذا ما أُنْبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبْلا

قال: ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو ابن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم فأعطاهم النبى ﷺ فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيل سعد.[3] قال ابن إسحاق: وقد كان فى الأسارى أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب. قال ابن هشام: وكان الذى أسره خراش بن الصمة أحد بنى حرام. قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، وكانت خديجة هى التى سألت رسول الله ﷺ أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحى. وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية أو أم

---

(1) «السيرة» (1/ 544).

(2) «السيرة» (1/ 544)، وابن جرير (2/ 466) من طريق ابن إسحاق معلقًا.

(3) «السيرة» (1/ 545) وفيه انقطاع.

كلثوم من عتبة بن أبى لهب، فلما جاء الوحى قال أبو لهب: اشغلوا محمداً بنفسه، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه. ومشوا إلى أبى العاص فقالوا له: فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت. قال: لا والله إذاً لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش، وكان رسول الله ﷺ يثنى عليه فى صهره فيما بلغنى.[1] **قلت:** الحديث بذلك فى الثناء عليه فى صهره ثابت فى الصحيح كما سيأتى.[2]

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم، مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبى العاص، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما.[3]

قلت: إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ فى فداء أبى العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذى لها فافعلوا**». قالوا: نعم! يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها.[4]

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلى سبيل زينب يعنى: أن تهاجر إلى المدينة فوفَّى أبو العاص بذلك،[5] كما سيأتى. وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ههنا فأخرناه لأنه أنسب والله أعلم. وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابنى أخويه بمائة أوقية من الذهب.

قال ابن إسحاق: فكان ممن سمى لنا ممن مَنَّ عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداء: من بنى أمية: أبو العاص ابن الربيع. ومن بنى مخزوم: المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر ابن مخزوم، أسره بعض بنى الحارث بن الخزرج فترك فى أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه.[6]

وقال ابن هشام: كان الذى أسره أبو أيوب خالد بن زيد. قال ابن إسحاق: وصيفى بن أبى رفاعة ابن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك فى أيدى أصحابه، فأخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم. فقال حسان بن ثابت فى ذلك:

---

(1) «السيرة» (1/ 546)، وابن جرير (2/ 466-467) وفيه انقطاع.
(2) سيأتي وانظر صحيح البخاري (3110)، ومسلم (2449) «السيرة» (1/ 547).
(3) «السيرة» (1/ 547).
(4) «السيرة» (1/ 547) وإسناده حسن، وأخرجه أحمد (6/ 276)، وأبو داود (2696)، وابن الجارود (1090)، والطبراني في «الكبير» (22/ 1050)، والطحاوي (4708)، والحاكم (3/ 23-236)، والبيهقي (6/ 322)، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، بل هو حسن فقط.
(5) «السيرة» (1/ 547).
(6) «السيرة» (1/ 552).

وما كان صَيْفيٌّ ليوفي أمانةً * قَفا ثُعْلبٍ أعْيَا ببعض الموارد[1]

قال ابن إسحاق: وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح كان محتاجاً ذا بنات، قال: يا رسول الله، لقد عرفت ما لى من مال، وإنى لذو حاجة وذو عيال، فامنن عليَّ. فمنَّ عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً. فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك:

مَن مُبْلِغٌ عني الرسولَ محمداً * بأنك حقٌّ والمليكُ حَميدُ

وأنت امرؤٌ تَدْعو إلى الحقِّ والهُدَى * عليك من الله العظيم شهيدُ

وأنت امرؤٌ بُوِّئْتَ فينا مَباءةً * لها دَرجاتٌ سَهْلَةٌ وصُعودُ

فإنك مَن حاربْتَه لَمُحارَبٌ * شقيٌّ ومَن سالمْتَه لَسَعيدُ

ولكنْ إذا ذُكِّرْتُ بدراً وأهلَهُ * تَأوَّبَ ما بي حَسْرةٌ وقُعودُ[2]

قلت: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم، فلما كان يوم أحد أسر أيضاً فسأل من النبى ﷺ أن يمنَّ عليه أيضًا فقال النبى ﷺ: «**لا أدعك تمسح عارضيك وتقول: خدعت محمداً مرتين**». ثم أمر به فضربت عنقه.[2] كما سيأتى فى غزوة أحد. ويقال: إن فيه قال رسول الله ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»[3]، وهذا من الأمثال التى لم تسمع إلا منه عليه الصلاة والسلام.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: جلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية فى الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر.[4] قال ابن هشام: وكان الذى أسره رفاعة بن رافع أحد بنى زريق. قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن جعفر، عن عروة قال: فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان: والله إن فى العيش بعدهم خير. قال له عمير: صدقت والله أما والله لولا دين عليَّ ليس عندى قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى قبلهم علة ابنى أسير فى أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليَّ دينك أنا أقضيه عنك وعَيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا، لا يسعنى شيء ويعجز عنهم. فقال له عمير: فاكتم عنى شأنى وشأنك. قال: سأفعل.

قال: ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ له وسُمَّ ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب فى

(1) «السيرة» (1/ 552).
(2) «السيرة» (1/ 552-553)، ورواه البيهقي في «السنن» (9/ 65)، وفي «الدلائل» (3/ 280-281)، عن الشافعي معلقاً - ثم رواه في «السنن» (9/ 65)، بإسناد ضعيف جدًا.
(3) الحديث رواه البخاري (6133)، ومسلم (2998) وغيرهما.
(4) مرسل إسناده حسن: «السيرة» (1/ 554).

نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم فى عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف. فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشرٍّ وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه. قال: «**فأدخله على**». قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ .

فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال: «**أرسله يا عمر، ادن يا عمير**». فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله: «**قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة**». قال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد. قال: «**فما جاء بك يا عمير ؟**». قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه. قال: «**فما بال السيف فى عنقك؟**» قال: قبّحها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً ؟ قال: «**اصدقنى ما الذى جئت له؟**» قال: ما جئت إلا لذلك. قال: «**بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلنى له والله حائل بينك وبين ذلك**». فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحى، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق. ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ : «**فقهوا أخاكم فى دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره**»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم قال فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً.[1] قال ابن إسحاق: فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير. قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب أو الحارث بن

---

(1) **حسن** : رواه في «السيرة» (1/ 555-556)، وعنه الطبراني في «الكبير» (17/ 58/ 118)، والطبري في «تاريخه» (2/ 472-473)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 149) وهذا مرسل إسناده حسن.
وأخرجه الطبراني (17/ 56/ 117)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 147) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة وقال الهيثمي في «المجمع» (8/ 286) : مرسل إسناده حسن قلت: في المتابعات فقط، وإلا فإسناده مرسل ضعيف. وله طرق كثيرة يتقوى بها ذكرتها في «السيرة».

هشام هو الذى رأى عدو الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفر هارباً وقال: إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون، وكان إبليس يومئذ فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم أمير مدلج. [1]

فصل

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن فى قصة بدر وهو من أول سورة الأنفال إلى آخرها فأجاد وأفاد، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثَمَّ، ولله الحمد والمنة.

فصل

ثم شرع ابن إسحاق فى تسمية من شهد بدراً من المسلمين فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولاً، ثم أسماء من شهدها من الأنصار أوسها وخزرجها[2]، إلى أن قال: فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون رجلاً. ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً. وقد سردهم البخارى فى صحيحه[3] مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم. وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتبين على حروف المعجم، وذلك من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى وغيره بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ.

حرف الألف

أبى بن كعب النجارى: سيد القراء، الأرقم بن أبى الأرقم، وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان. أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم، كذا قال موسى بن عقبة. وقال الأموى: سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدى بن شك فيه، وقال سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق: سواد بن زريق ابن ثعلبة. وقال ابن عائذ: سواد بن زيد، أسير بن عمرو الأنصارى أبو سليط، وقيل: أسير بن عمرو ابن أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجى، ولم يذكره موسى بن عقبة، أنس بن قتادة بن ربيعة ابن خالد بن الحارث الأوسى، كذا سماه موسى بن عقبة، وسماه الأموى فى السيرة: أنيساً.

قلت: وأنس بن مالك خادم النبى ﷺ لما روى عمر بن شبة النميرى: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى، عن أبيه، عن ثمامة بن أنس: قال: قيل لأنس بن مالك: أشهدت بدراً؟ قال: «وأين أغيب عن بدر لا أمَّ لك؟!»[4] وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، ثنا أبى،

---

(1) «السيرة» (1/ 556).

(2) «السيرة» (1/ 571).

(3) قال الحافظ في «الفتح» (7/ 263): «فجملة من ذكر - يعني البخاري - من أهل بدر هنا أربعة وأربعون رجلاً».

(4) حسن: أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (9/ 361) من طريق عمر بن شبة بهذا الإسناد، وذكره الذهبي في «السير» (3/ 397) وإسناده حسن.

عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس: شهدت بدراً؟ قال: «لا أمَّ لك وأين أغيب عن بدر؟» قال محمد بن عبد الله الأنصارى: خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺإلى بدر وهو غلام يخدمه.(1) قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه: هكذا قال الأنصارى: ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى.(2)

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أنسة الحبشى مولى رسول الله ﷺ، أوس بن ثابت بن المنذر النجارى، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجى. وقال موسى بن عقبة: أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى، أوس بن الصامت الخزرجى أخو عبادة بن الصامت، إياس ابن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بنى عدى بن كعب.

حرف الباء

بجير بن أبى بجير حليف بنى النجار، بحاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوى حليف الأنصار، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنى حليف بنى ساعدة وهو أحد العينين هو وعدى بن أبى الزغباء كما تقدم. بشر بن البراء بن معرور الخزرجى الذى مات بخيبر من الشاة المسمومة، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى والد النعمان بن بشير، ويقال: إنه أول من بايع الصديق. بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسى رده عليه الصلاة والسلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره.

حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، تميم مولى خراش بن الصمة، تميم مولى بنى غنم بن السلم. وقال ابن هشام: هو مولى سعد بن خيثمة.

حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان، ثابت بن ثعلبة ويقال لثعلبة هذا: الجذع بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة. ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجارى، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار النجارى، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار النجارى، ثابت بن هزال الخزرجى. ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن

(1) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» كما في «السير» (3/ 397) من طريق الأنصاري عن أبيه عن مولى لأنس، به. وإسناده حسن لولا جهالة مولى أنس، لكنه توبع فالحديث حسن إن شاء الله.
ثم قال الذهبي: لم يَعُدَّه أصحاب المغازي في «البدريين» لكونه حضرها صبياً ما قاتل، بل بقي في رحال الجيش فهذا وجه الجمع.

(2) «تهذيب الكمال» (3/ 368).

عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجارى، ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجى، ثعلبة بن عنمة بن عدى بن نابى السلمى. ثقف بن عمرو من بنى حجر آل بنى سليم وهو من حلفاء بنى كثير بن غنم بن دودان بن أسد.

حرف الجيم

جابر بن خالد بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجارى، جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أحد الذين شهدوا العقبة.

قلت: فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى أيضاً فذكره البخارى فيهم فى مسند عن سعيد بن منصور عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: كنت أميح لأصحابى الماء يوم بدر.(1) وهذا الإسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد: ذكرت لمحمد بن عمر يعنى: الواقدى هذا الحديث فقال: هذا وهم من أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً.(2) وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا روح بن عبادة، ثنا زكريا بن إسحاق، ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحداً منعنى أبى فلما قتل أبى يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ عن غزاة. ورواه مسلم عن أبى خيثمة عن روح.(3)

جبار بن صخر السلمى، جبر بن عتيك الأنصارى، جبير بن إياس الخزرجى.

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجى، الحارث بن أوس بن معاذ ابن أخى سعد بن معاذ الأوسى، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس رده عليه الصلاة والسلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن خزمة بن عدى بن أبى غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبنى زعورا بن عبد الأشهل. الحارث بن الصمة الخزرجى ردَّه عليه السلام لأنه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن عرفجة الأوسى، الحارث بن قيس بن خالد أبو خالد الخزرجى، الحارث بن النعمان بن أمية الأنصارى. حارثة بن سراقة النجارى أصابه سهم غرب وهو فى النظارة فرفع إلى الفردوس، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصارى، حاطب بن أبى بلتعة اللخمى حليف بنى أسد بن عبد العزى بن قصى. حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجعى من بنى دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق. وقال الواقدى: حاطب بن

---

(1) أخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (2/ 207) وقد صححه الحافظ فى «الإصابة» (1/ 434)، وهو في سنن أبي داود (2731) من طريق أخرى وصححه الألباني (2371).

(2) تاريخ ابن عساكر (11/ 217) ولا يصح.

(3) أخرجه أحمد (3/ 329)، ومسلم (1813).

وأخرجه الطبراني (1742) عن أبي الزبير عن جابر قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ ثلاث عشرة غزوة.

عمرو بن عبد شمس بن عبد ود كذا ذكره ابن عائذ فى «مغازيه».[1] وقال ابن أبى حاتم: حاطب بن عمرو بن عبد شمس سمعته من أبى وقال: هو رجل مجهول. الحباب بن المنذر الخزرجى ويقال: كان لواء الخزرج معه يومئذ، حبيب بن أسود مولى بنى حرام من بنى سلمة. وقال موسى بن عقبة: حبيب بن سعد بدل أسود، وقال ابن أبى حاتم[2]: حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصارى بدرى. حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصارى أخو عبد الله بن زيد الذى أرى النداء، الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ .

حرف الخاء

خالد بن البكير أخو إياس المتقدم، خالد بن زيد أبو أيوب النجارى، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصارى، خارجة بن الحمير حليف بنى خنساء من الخزرج، وقيل: اسمه حمزة بن الحمير وسماه ابن عائذ أبا خارجة فالله أعلم. خارجة بن زيد الخزرجى صهر الصديق، خباب بن الأرت حليف بنى زهرة وهو من المهاجرين الأولين وأصله من بنى تميم ويقال: من خزاعة، خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين الأولين، خراش بن الصمة السلمى، خبيب بن إساف بن عنبة الخزرجى، خريم بن فاتك ذكره البخارى فيهم.[3] خليفة بن عدى الخزرجى، خليد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الأنصارى السلمى، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى السهمى قتل يومئذ فتأيمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب. خوات بن جبير الأنصارى ضرب له بسهمه وأجره ولم يشهدها بنفسه، خولى بن أبى خولى العجلى حليف بنى عدى من المهاجرين الأولين، خلاد بن رافع، وخلاد بن سويد، وخلاد ابن عمرو بن الجموح الخزرجيون.

حرف الذال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجى، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة حليف لبنى زهرة قتل يومئذ شهيداً. قال ابن هشام: واسمه عمير وإنما قيل له: ذو الشمالين لأنه كان أعسراً.

حرف الراء

رافع بن الحارث الأوسى، رافع ابن عنجدة قال ابن هشام: هى أمه، رافع بن المعلى بن لوذان الخزرجى قتل يومئذ. ربعى بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة: ربعى بن أبى رافع، ربيع بن إياس الخزرجى، ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبنى عبد شمس بن عبد مناف

(1) صاحب الجرح والتعديل (3/ 303).
(2) صاحب الجرح والتعديل (3/ 96).
(3) «التاريخ الكبير» (3/ 224).

وهو من المهاجرين الأولين. رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجى، رفاعة ابن رافع الزرقى أخو خلاد بن رافع، رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر الأوسى أخو أبى لبابة، رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجى.

حرف الزاي

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه، زياد ابن عمرو وقال موسى بن عقبة: زياد بن الأخرس بن عمرو الجهنى. وقال الواقدى: زياد بن كعب بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رفاعة بن كليب بن مودعة بن عدى بن عمرو بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة، زياد بن لبيد الزرقى، زياد بن المزين بن قيس الخزرجى، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى ابن عجلان بن ضبيعة، زيد بن حارثة بن شرحيل مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه. زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجارى أبو طلحة رضي الله عنه.

حرف السين

سالم بن عمير الأوسى، سالم بن عوف الخزرجى، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى شهد مع أبيه، سبيع بن قيس بن عيشة الخزرجى. سبرة بن فاتك ذكره البخارى، سراقة بن عمرو النجارى، سراقة بن كعب النجارى أيضاً، سعد بن خولة مولى بنى عامر ابن لؤى من المهاجرين الأولين. سعد بن خيثمة الأوسى قتل يومئذ شهيداً، سعد بن الربيع الخزرجى الذى قتل يوم أحد شهيداً، سعد بن زيد بن مالك الأوسيّ، سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجى. سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجارى، سعد بن عبيد الأنصارى، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجى أبو عبادة، وقال ابن عائذ: أبو عبيدة. سعد بن معاذ الأوسى كان لواء الأوس معه، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجى ذكره غير واحد منهم عروة والبخارى وابن أبى حاتم والطبرانى فيمن شهد بدراً[1]، ووقع فى (صحيح مسلم) ما يشهد بذلك حين شاور النبى ﷺ فى ملتقى النفير من قريش فقال سعد بن عبادة: كأنك تريدنا يا رسول الله.[2] الحديث. والصحيح: أن ذلك سعد بن معاذ، والمشهور: أن سعد بن عبادة ردَّه من الطريق، قيل: لاستنابته على المدينة، وقيل: لدغته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر، حكاه السهيلى عن ابن قتيبة.[3] فالله أعلم.

سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة، سعد بن مالك أبو سهل، قال الواقدى: تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج.[4] سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ابن عم عمر بن الخطاب، يقال: قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه

(1) البخاري في «تاريخه» (4/ 44)، والطبراني (6/ 7) (5352).
(2) صحيح مسلم (1779) وسبق أن تكلمنا عن سعد بن عبادة أنه لم يحضر بدراً.
(3) «الروض» (5/ 296).
(4) «المغازي» للواقدي (1/ 101).

وأجره، سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسى. سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة، سليم بن الحارث النجارى، سليم بن عمرو السلمى، سليم بن قيس بن قهد الخزرجي، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجارى، سماك ابن أوس بن خرشة أبو دجانة ويقال: سماك بن خرشة، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي وهو أخو بشير بن سعد المتقدم. سهل بن حنيف الأوسى، سهل بن عتيك النجارى. سهل بن قيس السلمى، سهيل بن رافع النجارى الذى كان له ولأخيه موضع المسجد النبوى كما تقدم. سهيل بن وهب الفهرى وهو ابن بيضاء وهى أمه، سنان بن أبى سنان بن محصن بن حرثان من المهاجرين حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف، سنان بن صيفى السلمى، سواد بن زريق بن زيد الأنصارى. وقال الأموى: سواد بن رزام، سواد بن غزية بن أهيب البلوى، سويبط بن سعد بن حرملة العبدرى، سويد بن مخشى أبو مخشى الطائى حليف بنى عبد شمس وقيل اسمه: أربد بن حمير.

حرف الشين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدى أسد خزيمة حليف بنى عبد شمس من المهاجرين الأولين، شماس بن عثمان المخزومى. قال ابن هشام: واسمه عثمان بن عثمان وإنما سمى شماساً لحسنه وشبهه شماساً كان فى الجاهلية، شقران مولى رسول الله ﷺ قال الواقدى: لم يسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل رجل ممن له فى الأسرى شيئاً فحصل له أكثر من سهم.

حرف الصاد

صهيب بن سنان الرومى من المهاجرين الأولين، صفوان بن وهب بن ربيعة الفهرى أخو سهيل ابن بيضاء قتل شهيداً يومئذ، صخر بن أمية بن خنساء السلمى.

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمى، ضحاك بن عبد عمرو النجارى، ضمرة بن عمرو الجهنى، وقال موسى بن عقبة: ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار وهو أخو زياد بن عمرو.

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمى أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين وهو أخو حصين وعبيدة، طفيل بن مالك بن خنساء السلمى. طفيل بن النعمان بن خنساء السلمى ابن عم الذى قبله. طليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد بن قصى ذكره الواقدى.[1]

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسى ذكره البخارى.[2]

(1) المغازي (1/ 154).
(2) انظر: صحيح البخاري (4012).

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى الذى حمته الدبر حين قتل بالرجيع، عاصم بن عدى ابن الجد بن عجلان ردَّه عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجى، عاقل بن البكير أخو إياس وخالد وعامر، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجارى، عامر بن الحارث الفهرى كذا ذكره سلمة عن ابن إسحاق، وابن عائذ، وقال موسى بن عقبة، وزياد: عن ابن إسحاق: عمرو بن الحارث. عامر بن ربيعة بن مالك العنزى حليف بنى عدى من المهاجرين، عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوى القضاعى حليف بنى مالك بن سالم بن غنم. قال ابن هشام: ويقال عمرو بن سلمة، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة ابن الحارث بن فهر أبو عبيدة ابن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين. عامر بن فهيرة مولى أبى بكر، عامر بن مخلد النجارى، عائذ بن ماعص بن قيس الخزرجى.

عباد بن بشر بن وقش الأوسى، عباد بن قيس بن عامر الخزرجى، عباد بن قيس بن عيشة الخزرجى أخو سبيع المتقدم. عبادة بن الخشخاش القضاعى، عبادة بن الصامت الخزرجى، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس، عبد الله بن أمية بن عرفطة، عبد الله بن ثعلبة بن خزمة أخو بحاث المتقدم. عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدى، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسى، عبد الله بن الجد بن قيس السلمى، عبد الله بن حق بن أوس الساعدى. وقال موسى بن عقبة والواقدى وابن عائذ: عبد رب بن حق، وقال ابن هشام: عبد ربه بن حق، عبد الله بن الحمير حليف لبنى حرام وهو أخو خارجة بن الحمير من أشجع. عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجى، عبد الله بن رواحة الخزرجى، عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجى الذى أرى النداء، عبد الله بن سراقة العدوى لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدى ولا ابن عائذ وذكره ابن إسحاق وغيره.

عبد الله بن سلمة بن مالك العجلانى حليف الأنصار، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بنى زعورا، عبد الله بن سهيل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركين ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم. عبد الله بن طارق بن مالك القضاعى حليف الأوس، عبد الله بن عامر من بلى ذكره ابن إسحاق، عبد الله بن عبد الله بن أُبى بن سلول الخزرجى وكان أبوه رأس المنافقين. عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى، عبد الله بن عبس، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمْرو ابن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب أبو بكر الصديق رضي الله عنه. عبد الله بن عرفطة بن عدى الخزرجى، عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى أبو جابر، عبد الله بن عمير بن عدى الخزرجى، عبد الله بن قيس بن خالد النجارى، عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام السلمى.

عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار جعله النبى ﷺ مع عدى بن أبى الزغباء على النفل يوم بدر، عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين. عبد الله بن مسعود الهذلى حليف بنى زهرة من المهاجرين الأولين، عبد الله

ابن مظعون الجمحى من المهاجرين الأولين، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمى، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمى، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبس الخزرجى. عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاعى البلوى، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة بن كلاب الزهرى أحد العشرة رضى الله عنهم، عبس بن عامر بن عدى السلمى، عبيد ابن التيهان أخو أبو الهيثم بن التيهان ويقال: عتيك بدل عبيد، عبيد بن ثعلبة من بنى غنم بن مالك، عبيد بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامر، عبيد بن أبى عبيد، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضي الله عنه.

عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجى عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهرانى حليف بنى أمية ابن لوذان، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين. عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره. عثمان بن مظعون الجمحى أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين، عدى بن أبى الزغباء الجهنى وهو الذى أرسله رسول الله ﷺ وبسبس بن عمرو بين يديه عيناً. عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، عصيمة حليف لبنى الحارث ابن سواد من أشجع وقيل: من بنى أسد بن خزيمة، عطية بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجى، عقبة ابن عامر بن نابى السلمى، عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجى أخو سعد بن عثمان، عقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى وقع فى صحيح البخارى[1] أنه شهد بدراً وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازى ولهذا لم يذكروه.

عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدى أسد خزيمة حليف لبنى عبد شمس وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين، عقبة بن وهب بن كلدة حليف بنى غطفان، عكّاشة بن محصن الغنمى من المهاجرين الأولين وممن لا حساب عليه. على بن أبى طالب الهاشمى أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضي الله عنه، عمار بن ياسر العنسى المذحجى من المهاجرين الأولين، عمارة بن حزم بن زيد النجارى. عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد الشيخين المقتدى بهما رضى الله عنهما، عمرو بن إياس من أهل اليمن حليف لبنى لوذان بن عمرو ابن سالم وقيل: هو أخو ربيع ودفة، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر أبو حكيم، عمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر الفهرى، عمرو بن سراقة العدوى من المهاجرين، عمرو بن أبى سرح الفهرى من المهاجرين. وقال الواقدى وابن عائذ[2]: معمر بدل عمرو.

(1) صحيح : البخاري (4007).
(2) المغازي (1/ 157).

عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو فى بنى حرام، عمرو بن الجموح ابن حرام الأنصارى، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم ذكره الواقدى[1] والأموى. عمرو بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر أبو خارجة ولم يذكره موسى بن عقبة، عمرو بن عامر ابن الحارث الفهرى ذكره موسى بن عقبة، عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسى، عمرو بن معاذ الأوسى أخو سعد بن معاذ. عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال: عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمى، عمير بن حرام بن الجموح السلمى ذكره ابن عائذ والواقدى[2]، عمير بن الحمام بن الجموح ابن عم الذى قبله قتل يومئذ شهيداً. عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازنىّ، عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الأموى وغيره: عمرو بن عوف وكذا وقع فى الصحيحين فى حديث بعث أبى عبيدة إلى البحرين[3]، عمير بن مالك بن أهيب الزهرى أخو سعد بن أبى وقاص قتل يومئذ شهيداً. عنترة مولى بنى سليم وقيل: إنه منهم فالله أعلم، عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارثّ النجارى وهو بن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيداً، عويم بن ساعدة الأنصارى من بنى أمية ابن زيد، عياض ابن غنم الفهرى من المهاجرين الأوّلين رضى الله عنهم أجمعين.

حرف الغين

غنام بن أوس الخزرجى. ذكره الواقدى[4] وليس بمجمع عليه.

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجى، فروة بن عمرو بن ودقة الخزرجى.

حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسى، قدامة بن مظعون الجمحى من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله، قطبة ابن عامر بن حديدة السلمى. قيس بن السكن النجارى، قيس بن أبى صعصعة عمرو بن زيد المازنى كان على الساقة يوم بدر. قيس بن محصن بن خالد الخزرجى، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجارى.

حرف الكاف

كعب بن حمار ويقال: جماز ويقال: حمان وقال ابن هشام: من غبشان ويقال: كعب بن مالك ابن ثعلبة بن جماز. وقال الأموى: كعب بن ثعلبة بن حبالة بن غنم الغسانى من حلفاء بنى الخزرج ابن ساعدة، كعب بن زيد بن قيس النجارى، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمى، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين ذكره موسى بن عقبة، كناز بن حصين بن يربوع أبو مرثد الغنوى من المهاجرين الأولين.

(1) المغازي (1/ 162).
(2) المغازي (2/ 169).
(3) البخاري (3158) (4015)، ومسلم (2961)، وانظر: «الفتح» (6/ 262).
(4) الواقدي (1/ 172).

حرف الميم

مالك بن الدخشم ويقال: ابن الدخشن الخزرجي، مالك بن أبى خولى الجعفى حليف بنى عدى، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدى، مالك بن قدامة الأوسى، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو وكلاهما مهاجرى وهما من حلفاء بنى تميم بن دودان بن أسد. مالك بن مسعود الخزرجى، مالك بن نميلة وقال الواقدى: مالك بن ثابت بن نميلة المزنى حليف لبنى عمرو بن عوف، مبشر بن عبد المنذر بن زنبر الأوسى أخو أبى لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيداً، المجذر بن ذياد البلوى مهاجرى، محرز بن عامر النجارى. محرز بن نضلة الأسدى حليف بنى عبد شمس مهاجرى، محمد بن مسلمة حليف بنى عبد الأشهل، مدلج ويقال: مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجرى، مرثد بن أبى مرثد الغنوى، مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين وقيل: اسمه عوف، مسعود بن أوس الأنصارى النجارى. مسعود بن خلدة الخزرجى، مسعود بن ربيعة القارى حليف بنى زهرة مهاجرى، مسعود بن سعد -ويقال: ابن عبد سعد- ابن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجى. مصعب بن عمير العبدرى مهاجرى كان معه اللواء يومئذ.

معاذ بن جبل الخزرجى، معاذ بن الحارث النجارى وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجى، معاذ بن ماعص الخزرجى أخو عائذ، معبد بن عباد بن قشير بن الفدم بن سالم بن غنم ويقال: معبد بن عبادة بن قيس، وقال الواقدى: قشعر بدل قشير، وقال ابن هشام: قشفر أبو حميضة. معبد بن قيس بن صخر السلمى أخو عبد الله بن قيس، معتب بن عبيد بن إياس البلوى القضاعى، معتب بن عوف الخزاعى حليف بنى مخزوم من المهاجرين، معتب بن قشير الأوسى، معقل بن المنذر السلمى، معمر بن الحارث الجمحى من المهاجرين. معن بن عدى الأوسى، معوذ بن الحارث النجارى وهو ابن عفراء أخو معاذ وعوف، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمى لعله أخو معاذ بن عمرو، المقداد بن عمرو البهرانى وهو المقداد بن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال المحمود الذى تقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ. مليل بن وبرة الخزرجى، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدى، المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجى، المنذر بن محمد بن عقبة الأنصارى من بنى جحجبى، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ.

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر وهو كعب، نعمان بن عبد عمرو النجارى وهو أخو الضحاك. نعمان بن عمرو بن رفاعة النجارى، نعمان بن عصر بن الربيع بن الحارث حليف لبنى الأوس، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجى ويقال له: قوقل، نعمان بن يسار مولى لبنى: نعمان بن سنان بن عبيد ويقال نعمان بن سنان. نوفل بن عبد الله بن نضلة الخزرجى.

حرف الهاء

هانئ بن نيار أبو بردة البلوى خال البراء بن عازب، هلال بن أمية الواقفى وقع ذكره فى أهل بدر فى الصحيحين فى قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازى، هلال بن المعلى الخزرجى أخو رافع بن المعلى.(1)

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمى حليف بنى عدى من المهاجرين، وديعة بن عمرو بن جراد الجهنى ذكره الواقدى(2) وابن عائذ، ودقة بن إياس بن عمرو الخزرجى أخو ربيع بن إياس، وهب بن سعد بن أبى سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدى فى بنى عامر بن لؤى ولم يذكره ابن إسحاق.

حرف الياء

يزيد بن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمى، قال السهيلى: شهد هو وأبوه وابنه يعنى: بدراً ولا يعرف لهم نظير فى الصحابة(3) ولم يذكرهم ابن إسحاق ولا الأكثرون لكن شهدوا معه بيعة الرضوان. يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجى وهو الذى يقال له: ابن فسحم وهى أمه قتل يومئذ شهيداً ببدر، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمى، يزيد بن المنذر بن سرح السلمى وهو أخو معقل بن المنذر.

باب الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجارى، وقال ابن هشام: أبو الأعور الحارث بن ظالم، وقال الواقدى: أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم.(4) أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم. أبو حبة ابن عمرو بن ثابت أحد بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصارى. أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل: اسمه مهشم، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة بن عفراء، أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجارى، أبو سبرة بن أبى رهم ابن عبد العزى من المهاجرين، أبو سنان ابن محصن بن حرثان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين. أبو الضياح بن النعمان –وقيل: عمير– بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه، أبو عرفجة من حلفاء بنى جحجبى، أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم. أبو مرثد الغنوى كناز ابن حصين تقدم، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسى.

---

(1) أخرجه البخاري (4418)، ومسلم (2769) في حديثه الطويل.

(2) المغازي (1/ 162).

(3) «الروض» (5/ 300).

(4) «المغازي» (1/ 164).

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً منهم: رسول الله ﷺ كما قال البخاري: حدثنا عمرو بن خالد، ثنا زهير، ثنا أبو إسحاق، سمعت البراء بن عازب يقول: «حدثني أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن»[1]. ثم رواه البخاري من طريق إسرائيل، وسفيان الثورى، عن أبى إسحاق، عن البراء نحوه.[2] قال ابن جرير: وهذا قول عامة السلف: أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً.[3] وقال البخاري أيضاً: حدثنا محمود، ثنا وهب، عن شعبة، عن أبى إسحاق، عن البراء قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين[4] هكذا وقع فى هذه الرواية. وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربى، ثنا أبو مالك الجنبي، عن الحجاج -وهو ابن أرطأة- عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلاً. وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً. وكان حامل راية النبى ﷺ على بن أبى طالب. وحامل راية الأنصار: سعد بن عبادة.[5] وهذا يقتضى أنهم كانوا ثلاثمائة وستة رجال. قال ابن جرير: وقيل: كانوا ثلاثمائة وسبعة رجال.

قلت: وقد يكون هذا عد معهم النبى ﷺ والأول عدهم بدونه فالله أعلم. وقد تقدم عن ابن إسحاق: أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً. وأن الأوس أحد وستون رجلاً. والخزرج مائة وسبعون رجلاً وسردهم. وهذا مخالف لما ذكره البخاري ولما روى عن ابن عباس.[6] فالله أعلم. وفى (الصحيح) عن أنس أنه قيل له: «شهدت بدراً؟ فقال: وأين أغيب؟»[7] وفى (سنن أبى داود) عن سعيد بن منصور، عن أبى معاوية، عن الأعمش، عن أبى سفيان طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال: كنت أميح أصحابى الماء يوم بدر.[8] وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء فالله أعلم.

قلت: وفى الذين عدهم ابن إسحاق فى أهل بدر من ضرب له بسهم فى مغنمها مع أنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له فى التخلف بسببه وكانوا ثمانية أو تسعة وهم: عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره. وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره. وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً

(1، 2) البخاري (3957) (3958) (3959)، وقد سبق تخريجه.

(3) التاريخ (2/ 432).

(4) البخاري (3956).

(5) **إسناده ضعيف** : أخرجه الطبري في «تاريخه» (2/ 431) وحجاج ضعيف، وسعد بن عبادة لم يحضر الواقعة.

(6) تقدم الكلام على ذلك.

(7) ليس في «الصحيح» والحديث حسن بطرقه كما سبق.

(8) تقدم تخريجه.

فضرب له بسهمه وأجره. وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر ردَّه رسول الله ﷺ من الروحاء حين بلغه خروج النفير من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره. والحارث بن حاطب بن عبيد ابن أمية ردَّه رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق وضرب له بسهمه وأجره. والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب له بسهمه زاد الواقدى وأجره. وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره. وأبو الضياح بن ثابت خرج مع رسول الله ﷺ فأصاب ساقه فصيل حجر فرجع وضرب له بسهمه وأجره. قال الواقدى: وسعد بن مالك تجهز ليخرج فمات، وقيل: إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره.(1)

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة وهم: عبيدة بن الحارث بن المطلب قطعت رجله فمات بالصَّفراء رحمه الله، وعمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص الزهرى قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ويقال: إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى فأذن له فى الذهاب فقتل رضى الله عنه. وحليفهم ذو الشمالين ابن عبد عمرو الخزاعى، وصفوان ابن بيضاء، وعاقل بن البكير الليثى حليف بنى عدى، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ. ومن الأنصار ثمانية وهم: حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فماتّ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء، ويزيد بن الحارث ويقال: ابن فسحم ، وعمير بن الحمام، ورافع بن المعلى بن لوذان، وسعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عن جميعهم. وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم. قال ابن إسحاق: وكان معهم فرسان على إحداهما: المقداد بن الأسود واسمها: بعزجة ويقال: سبحة، وعلى الأخرى: الزبير بن العوام واسمها: اليعسوب. وكان معهم لواء يحمله: مصعب بن عمير. ورايتان يحمل إحداهما للمهاجرين: على بن أبى طالب، والتى للأنصار: يحملها سعد بن عبادة. وكان رأس مشورة المهاجرين: أبو بكر الصديق، ورأس مشورة الأنصار: سعد بن معاذ.(2)

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف، وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً.(3) وقال الواقدى: كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً.(4) وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم فى بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم والله أعلم. وقد تقدم فى الحديث الصحيح عند البخارى عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون.(5) وهذا قول الجمهور، ولهذا قال كعب بن مالك فى قصيدة له:

فأقامَ بالعَطَنِ المُعَطَّنِ منهمُ * سبعون عُتبةُ منهمُ والأسْودُ

---

(1) راجع المغازي للواقدي (1/ 163-168).

(2) سبق تخريجه.

(3) تقدم تخريجه.

(4) ذكر الواقدي في «المغازي» (1/ 39)، وعنه الطبري في «تاريخه» (2/ 477) أنهم كانوا «تسعمائة وخمسون».

(5) تقدم تخريجه.

وقد حكى الواقدى الإجماع على ذلك وفيما قاله نظر، فإن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا خلاف ذلك وهما من أئمة هذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم. وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء فى أحكامه جيداً وقد تقدم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومى، وأول من فرّ وهو خالد بن الأعلم الخزاعى أو العقيلى حليف بنى مخزوم وما أفاده ذلك فإنه أسر وهو القائل فى شعره:

ولسنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلُومُنا * ولكنْ على أقدامِنا يَقْطُرُ الدمُ

فما صدق فى ذلك، وأول من أسروا: عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث قتلا صبراً بين يدى رسول الله ﷺ من بين الأسارى، وقد اختلف فى أيهما قتل أولاً على قولين وأنه عليه الصلاة والسلام أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء منهم: أبو العاص ابن الربيع الأموى والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومى، وصيفى بن أبى رفاعة كما تقدم، وأبو عزة الشاعر، ووهب بن عمير ابن وهب الجمحى كما تقدم. وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لئلا يحابيه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك، وقال: لا تتركوا منه درهماً. وقد كان فداؤهم متفاوتاً فأقل ما أخذ أربعمائة، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب. قاله موسى بن عقبة.[1] وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الإمام أحمد حدثنا على بن عاصم قال: قال داود: ثنا عكرمة عن ابن عباس قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة. قال: فجاء غلام يوماً يبكى إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ فقال: ضربنى معلمى. فقال: الخبيث يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه أبداً»[2]. انفرد به أحمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله، ولله الحمد والمنة.

فصل في فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخارى فى هذا الباب: حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا أبو إسحاق، عن حميد سمعت أنساً يقول: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فإن يكُ فى الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع. فقال: «**ويحك أوهبلت أو جنة واحدة هى؟ إنها جنان كثيرة وإنه فى جنة الفردوس**».[3] تفرد به البخارى من هذا الوجه. وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن حارثة

---

(1) في «الدلائل» (3/ 141-142) للبيهقي.

(2) هو في «المسند» (1/ 247) وإسناد ضعيف، لأجل علي بن عاصم لكنه توبع عليه.

وقد أخرجه البيهقي (6/ 322) من طريق علي بن عاصم وخالد بن عبد الله كلاهما عن داود بن أبي هند، به. والحديث حسن.

(3) تقدم تخريجه وهو في البخاري (3982).

كان فى النظارة وفيه: «**ان ابنك اصاب الفردوس الأعلى**»[1]. وفى هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا الذى لم يكن فى بحبحة القتال ولا فى حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التى هى أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التى أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً فى نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعُدَداً.

ثم روى البخارى ومسلم جميعاً: عن إسحاق بن راهويه، عن عبد الله بن إدريس، عن حصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على بن أبى طالب قصة حاطب ابن أبى بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ فى ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فقال رسول الله ﷺ: «**قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» ولفظ البخارى: «**أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو قد غفرت لكم**». فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم.[2] وروى مسلم عن قتيبة عن الليث عن أبى الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: «**كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية**».[3] وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو بكر ابن عياش حدثنى الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية**»[4]. تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم.

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[5]. ورواه أبو داود، عن أحمد بن سنان وموسى بن إسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به. وروى البزار فى مسنده ثنا محمد بن مرزوق، ثنا أبو حذيفة، ثنا عكرمة، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله**».[6] ثم قال: لا نعلمه يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه.

---

(1) حديث ثابت - رواه أحمد (3/ 124-215-272)، والنسائي في «الكبرى» (8232) وقد تقدم.
حديث قتادة - رواه البخاري (2809)، والترمذي (3174).

(2) أخرجه البخاري (3983)، ومسلم (2494) وسيأتي مطولاً.

(3) هو في «مسلم» (2195) وأخرجه ابن أبي شيبة (12/ 155)، والترمذي (3864)، وابن أبي عاصم في «الآحاد» (336)، والنسائي في «الكبرى» (8296)، وأبو يعلى (2265)، وابن حبان (4799) من طرق عن الليث.

(4) **إسناده حسن**: وأخرجه أحمد (3/ 396)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد» (335)، وأبو يعلى (1900) من طريق الأعمش، به.

(5) **إسناده حسن**: وهو في «المسند» (7940)، وأخرجه ابن أبي شيبة (12/ 155)، وأبو داود (4654)، والحاكم (4/ 77) من طريق يزيد بن هارون، به.

(6) رواه البزار «كشف» (2761)، وإسناده ضعيف وأبو حذيفة هو موسى بن مسعود وقد ضعفه العلماء ومحمد بن مرزوق لين الحديث.

قلت: وقد تفرد البزار بهذا الحديث، ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم.

وقال البخارى فى باب شهود الملائكة بدراً: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى، عن أبيه -وكان أبوه من أهل بدر- قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال: «**من أفضل المسلمين**» أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة.[1] انفرد به البخارى.

فصل في قدوم زينب بنت الرسول ﷺ مهاجرة من مكة إلى المدينة بعد وقعة بدر بشهر بمقتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص للنبي ﷺ كما تقدم

قال ابن إسحاق: ولما رجع أبو العاص إلى مكة، وقد خلى سبيله يعنى: كما تقدم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه فقال: «**كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها فتأتيانى بها**». فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر -أو شيعه- فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز.[2] قال ابن إسحاق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال: حدثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهز لقيتنى هند بنت عتبة فقالت: يا بنة محمد ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك. فقالت: أى ابنة عم لا تفعلى، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك فلا تضطنى منى فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل. قالت: ولكنى خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك.[3]

قال ابن إسحاق: فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهى فى هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والفهرى فروّعها هبار بالرمح وهى فى الهودج، وكانت حاملاً فيما يزعمون فطرحت وبرك حموها كنانة ونثر كنانته. ثم قال: والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس عنه. وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال: أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكفَّ فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا وإن ذلك منا ضعف ووهن، ولعمرى ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة وما لنا من ثؤرة. ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات

---

(1) أخرجه البخاري (3992).

(2) «السيرة» (1/ 548).

(3) «السيرة» (1/ 547) وسيأتي تخريجه بعده.

وتحدث الناس أن قد رددناها فسُلَّها سراً وألحقها بأبيها، قال: ففعل.[1] وقد ذكر ابن إسحاق: أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمهم على ذلك:

أفي السِّلْم أَعْيارٌ جَفَاءً وغِلْظَةً * وفي الحربِ أشباهُ النِّساءِ العَوَارِكِ

وقد قيل: إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا. قال ابن إسحاق: فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها ليلاً على رسول ﷺ.[2] وقد روى البيهقي في الدلائل: من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن عروة، عن عائشة فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما في بطنها وأن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجيء معه فتلطف زيد فأعطاه راعياً من مكة فأعطى الخاتم لزينب فلما رأته عرفته فقالت: من دفع إليك هذا؟ قال: رجل في ظاهر مكة، فخرجت زينب ليلاً فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة. قال: فكان رسول الله ﷺ يقول: «**هي أفضل بناتي أصيبت فيَّ**». قال: فبلغ ذلك على بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال: ما حديث بلغني أنك تحدثه تنتقص فيه فاطمة؟ فقال عروة: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً هو لها، وأما بعد فلك أن لا أحدثه أبداً.[3] قال ابن إسحاق: فقال في ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف. قال ابن هشام: هي لأبي خيثمة:

أتاني الذي لا يَقْدُرُ الناسُ قَدْرَه * لزينبَ فيهم مِنْ عقوقٍ ومأثم

وإخْراجُها لم يُخْزَ فيها محمدٌ * على مَأْقِطٍ وبينَنا عِطْرُ مَنْشِم

وأمسَى أبو سفيانَ مِن حِلْفِ ضَمْضَم * ومِن حربِنا في رَغْمِ أنفٍ ومَنْدَم

قَرَنَّا ابنَه عَمْراً ومَوْلَى يَمِينِه * بذي حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاصِلِ مُحْكَم

فأقسمْتُ لا تَنْفَكُّ مِنّا كتائبٌ * سَراةُ خَمِيسٍ مِن لُهَامٍ مُسَوَّم

نَرُوعُ قُريشَ الكُفرِ حتى نَعُلَّها * بخاطِمَةٍ فوقَ الأنوفِ بِمِيسَم

نُنَزِّلُهم أكْنافَ نَجْدٍ ونَخْلَةٍ * وإن يُتْهِموا بالخيلِ والرَّجْلِ نُتْهِم

يَدَ الدهرِ حتى لا يُعَوَّجَ سِرْبُنا * ونُلْحِقُهم آثارَ عادٍ وجُرْهُم

ويندم قوم لم يطيعوا محمداً * على أمرهم وأيُّ حين تَنَدُّم

فأبلغ أبا سفيان إما لقيته * لَئِنْ أنتَ لَم تُخلِصْ سُجوداً وتُسْلِم

فأبشر بخزي في الحياة معجل * وسِرْبالِ قارٍ خالداً في جَهَنَّم

---

(1) «السيرة» (1/ 548) وعنه الطبري (2/ 469)، والبيهقي في «الدلائل» (3/ 154-155) وإسناده فيه انقطاع وقد وصله الحاكم (3/ 237) من طريق إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة، مختصرًا. ورواه البيهقي (3/ 156) من طريق عمر بن عبد الله بن عروة عن عائشة وإسناده ضعيف.

(2) «السيرة» (1/ 549) وهو موصول بما سبق.

(3) إسناده ضعيف: «الدلائل» (3/ 156) وعمر بن عبد الله ضعيف.

قال ابن إسحاق: ومولى يمين أبى سفيان الذى عناه الشاعر هو عامر بن الحضرمى[1]. وقال ابن هشام: إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى، فأما عامر بن الحضرمى فإنه قتل يوم بدر. قال ابن إسحاق: وقد حدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن سليمان بن يسار، عن أبى إسحاق الدوسى، عن أبى هريرة. قال: بعث النبى ﷺ سرية أنا فيها فقال: «**إن ظفرتم بهبار بن الأسود والرجل الذى سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار**». فلما كان الغد بعث إلينا فقال: «**إنى قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما**»[2]. تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه. وقال البخارى: حدثنا قتيبة، ثنا الليث، عن بكير، عن سليمان بن يسار، عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى بعث فقال: «**إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار**». ثم قال حين أردنا الخروج: «**إنى أمرتكم ان تحرقوا فلاناً وفلاناً وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما**».[3]

وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره و استمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص فى تجارة لقريش، فلما قفل من الشام لقيته سرية فأخذوا ما معه وأعجزهم هرباً وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته. فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صُفَّة النساء: أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص ابن الربيع، فلما سلَّم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال: «**أيها الناس هل سمعتم الذى سمعت**». قالوا: نعم ! قال: «**أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشىء حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أدناهم**». ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: «**أى بنية اكرمى مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له**»[4]. قال: وبعث رسول الله ﷺ فحثهم على

---

(1) «السيرة» (1/ 549).

(2) **صحيح** : هو في «السيرة» (1/ 550)، ورواه الدارمي (2461)، والخطيب في «الأسماء المبهمة» (ص 461)، من طريق ابن إسحاق، بهذا الإسناد، فأسقط من الإسناد سليمان بن يسار.
وأخرجه ابن حبان (5611) من طريق خالد بن أبي يزيد الحراني عن زيد بن أبي أُنيسة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي إسحاق الدوسي عن أبي هريرة، فأسقط من الإسناد اثنين هما بكير بن عبد الله وسليمان بن يسار، ولعل ذلك من ابن إسحاق ويزيد فهما مدلسان.
وقد خرجته مطولاً في السيرة.

(3) أخرجه البخاري (3016)، وأخرجه الترمذي (1571)، والنسائي في «الكبرى» (8613)، وابن الجارود (1057)، وأحمد (2/ 307)، والبيهقي (9/ 71) من طرق عن الليث بن سعد، به.

(4) **حسن** : هو في «السيرة» (5/ 551) معلقاً، ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن سعد (8/ 27)، وابن جرير (2/ 471)، والبيهقي (9/ 95) من طريق محمد بن إسحاق وقال: هكذا أخبرنا في كتاب المغازي منقطعًا وحدثنا به في كتاب «المستدرك» عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة، وأخرجه الحاكم (3/ 236) موصولاً كما ذكر البيهقي وسكت عنه، وكذلك الذهبي. وله شوهد من حديث أم سلمة ذكرته في «السيرة».

رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئاً فأخذه أبو العاص، فرجع به إلى مكة فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال: يا معشر قريش هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً. قال: فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعنى عن الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ.[1]

قال ابن إسحاق: فحدثنى داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ردَّ عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأول ولم يحدث شيئاً[2]. وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق. وقال الترمذى: ليس بإسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين. وقال السهيلى: لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت.[3] وفى لفظ: «ردها عليه رسول الله ﷺ بعد ست سنين»[4]، وفى رواية: «بعد سنتين بالنكاح الأول»[5] رواه ابن جرير، وفى رواية: «لم يحدث نكاحاً»[6]. وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فإن أسلم فيها استمر على نكاحها، وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها. وزينب رضى الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان، فمن قال ردَّها عليه بعد ست سنين، أى: من حين هجرتها فهو صحيح، ومن قال بعد سنتين أى: من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضاً. وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها فى هذه المدة التى أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها، فكيف ردَّها عليه بالنكاح الأول؟ فقال قائلون: يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة عين يتطرق إليها الاحتمال، وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذى رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ ردَّ بنته على أبى العاص ابن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد.[7]

---

(1) حسن : أخرجه في «السيرة» (1/ 552) وعنه الطبري (2/ 471)، والبيهقي في «الدلائل» (4/ 85) هكذا منقطع. وقد وصله الحاكم (3/ 237) لعائشة بسند حسن.

(2) حسن : هو في «السيرة» (1/ 552)، وعنه عبد الرزاق (12644)، وأحمد (1876) (2366) (3290)، وأبو داود (2240)، والترمذي (1143)، وابن ماجه (2009)، والطبراني (11575)، والطحاوي (3/ 256)، والدارقطني (3/ 254)، والحاكم (3/ 237)، والبيهقي (7/ 187) بهذ الإسناد.

وله شواهد صحح بها الألباني الحديث في «الإرواء» (1921).

(3) «الروض» (5/ 200).

(5،4) راجع التخريج السابق.

(6) سبق تخريجه.

(7) أحمد (2/ 207-208)، والترمذي (1142)، وابن ماجه (2010)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (194).

قال الإمام أحمد: هذا حديث ضعيف واه، ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي، والعرزمي لا يساوى حديثه شيئاً. والحديث الصحيح الذى روى أن النبى ﷺ أقرهما على النكاح الأول. وهكذا قال الدارقطنى: لا يثبت هذا الحديث والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردَّها بالنكاح الأول.[1] وقال الترمذى: هذا حديث فى إسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت فى العدة وهو قول مالك والأوزاعى والشافعى وأحمد وإسحاق. وقال آخرون: بل الظاهر انقضاء عدتها، ومن روى أنه جدد لها نكاحاً فضعيف ففى قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك بل تبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أى وقت كان وهى امرأته ما لم تتزوج، وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله تعالى أعلم.

ويستشهد لذلك بما ذكره البخارى حيث قال: نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن: حدثنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء، عن ابن عباس: كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين، كانوا مشركى أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونه ومشركى أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه. وكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فإذا طهرت حل لها النكاح، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح رُدَّت إليه وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين.[2] ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بحروفه، فقوله: فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضى أنها كانت تستبرئ بحيضة لا تعتد بثلاثة قروء. وقد ذهب قوم إلى هذا وقوله: فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح رُدَّت إليه يقتضى أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجاً غيره كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبى ﷺ وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء، والله أعلم.

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام:

ألمْ تَرَ أمراً كان مِن عجب الدَّهرِ	*	وللحَيْنِ أسبابٌ مبيَّنة الأمرِ
وما ذاك إلا أنَّ قوماً أفادهم	*	فخانوا تواصٍ بالعقوقِ وبالكفرِ
عشيةَ راحوا نحو بدرٍ بجَمْعِهم	*	فكانوا رهوناً للرَّكيةِ من بدرِ
وكنا طلبنا العِيرَ لم نبغِ غيرها	*	فساروا إلينا فالتقينا على قَدْرِ
فلما التقينا لم تكن مَثْنَوِيةٌ	*	لنا غيرَ طعنٍ بالمثقَّفةِ السُّمْرِ
وضربٍ ببيضٍ يختلي الهام حدُّها	*	مشهَّرة الألوانِ بيِّنة الأثرِ

(1) الدارقطني (3/ 253).
(2) البخاري (5286).

ونحنُ تركنا عتبة الغيِّ ثاوياً * وشيبةَ في القتلى تجرجم في الجفر
وعمروٌ ثوى فيمن ثوى من حُماتهم * فشُقّت جيوبُ النائحات على عمرو
جيوبُ نساءٍ من لؤي بن غالبٍ * كرام تفرعنَ الذوائب من فهر
أولئك قومٌ قُتلوا في ضلالهم * وخلوا لواء غير محتضر النَّصْر
لواءُ ضلالٍ قادَ إبليسُ أهلَه * فخاسَ بهم إنَّ الخبيث إلى غَدْر
وقال لهم إذ عاينَ الأمرَ واضحاً * برئتُ إليكم ما بي اليومَ منْ صَبْر
فإنّي أرَى ما لا ترونَ وإنني * أخافُ عقابَ اللهِ واللهُ ذو قَسْر
فقدّمهم للحين حتَّى تورطوا * وكان بما لم يُخْبِر القومَ ذا خُبْر
فكانوا غداةَ البئر ألفاً وجَمْعُنا * ثلاثُ مئين كالمسدَّمةِ الزُّهْر
وفينا جنودُ الله حينَ يمدّنا * بهم في مقام ثمَّ مستوضح الذِّكْر
فشدَّ بهم جبريلُ تحت لوائنا * لدى مأزق فيه مناياهم تَجْرى

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام أخى أبى جهل عمرو بن هشام تركناها عمداً. وقال على بن أبى طالب وأنكرها ابن هشام:

ألم ترَ أنَّ اللهَ أبْلَى رسولَه * بلاءَ عزيزٍ ذي اقتدارٍ وذي فَضْلِ
بما أنزلَ الكفَّارَ دارَ مَذَلَّةٍ * فلاقَوا هَوانًا مِن إسارٍ ومِن قَتْلِ
فأمْسَى رسولُ الله قد عزَّ نصرُه * وكان رسولُ اللهِ أرسِلَ بالعدْلِ
فجاء بفرقانٍ مِن اللهِ مُنْزلٍ * مُبَيِّنَةٌ آياتُه لذوِي العقلِ
فآمنَ أقوامٌ بذاك وأيْقَنوا * فأمسَوا بحمد اللهِ مُجْتَمعي الشمْلِ
وأنْكر أقوامٌ فزاغتْ قلوبُهم * فزادَهم ذو العَرْشِ خَبْلاً على خَبْلِ
وأمْكَنَ منهمْ يومَ بدرٍ رسولَه * وقوماً غضاباً فِعْلُهم أحسنُ الفعْلِ
بأيديهمُ بيضٌ خِفافٌ عَصَوْا بها * وقد حادثوها بالجلاءِ وبالصَّقْلِ
فكم تَرَكوا مِن ناشئٍ ذي حَمِيَّةٍ * صَريعاً ومِن ذي نَجْدةٍ منهمُ كَهْلِ
تَبيتُ عيونُ النائحاتِ عليهمُ * تَجُودُ بإسبالِ الرَّشَاشِ وبالوَبْلِ
نوائحَ تَنْعَى عُتبةَ الغَيِّ وابنَه * وشَيْبَةَ تَنْعاه وتَنْعَى أبا جَهْلِ
وذا الرِّجْلِ تَنْعَى وابنَ جُدْعانَ فيهمُ * مُسَلَّبَةً حَرَّي مُبَيِّنَةَ الثُّكْلِ
ثَوَى منهمُ في بئرِ بدرٍ عِصابةٌ * ذَوُو نَجَداتٍ في الحروبِ وفي المَحْلِ
دعَا الغَيُّ منهمْ مَن دعَا فأجابَه * وللغَيِّ أسبابٌ مُرَمَّقَةُ الوَصْلِ
فأضْحَوْا لَدَى دارِ الجحيمِ بمَعْزِلٍ * عن الشَغْبِ والعُدْوانِ في أسفَلِ السُّفْلِ

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضتها من الحارث بن هشام أيضاً تركانها قصداً، وقال كعب ابن مالك:

عَجِبْتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادرٌ * على ما أرادَ ليس لله قاهرُ
قَضَى يومَ بدرٍ أن نُلاقيَ مَعْشَراً * بَغَوْا وسبيلُ البَغْيِ بالناسِ جائرُ
وقد حشدوا واستَنْفَروا مَن يَلِيهمُ * مِن الناسِ حتى جمعُهم مُتَكاثرُ
وسارَت إلينا لا تُحاوِلُ غيرَنا * بأجمَعِها كعبٌ جميعًا وعامرُ
وفينا رسولُ اللهِ والأوْسُ حولَه * له مَعْقِلٌ منهم عَزيزٌ وناصرُ
وجَمْعُ بني النجَّارِ تحتَ لوائِه * يُمَشُّون في الماذِيِّ والنَّقْعُ ثائرُ
فلمَّا لَقِيناهم وكلٌّ مجاهدٌ * لأصحابِه مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صابرُ
شَهِدْنا بأنَّ اللهَ لا ربَّ غيرُه * وأنَّ رسولَ اللهِ بالحقِّ ظاهرُ
وقد عُرِّيَتْ بيضٌ خِفافٌ كأنها * مَقابيسُ يُزْهِيها لعينَيْكَ شاهرُ
بهِنَّ أبَدْنا جمعَهم فتَبَدَّدوا * وكان يُلاقي الحَيْنَ مَن هو فاجرُ
فكَبَّ أبو جهلٍ صريعًا لوجْهِه * وعتبةُ قد غادرْتُه وهْو عاثرُ
وشيبةَ والتَّيْميَّ غادرْتُ في الوَغَى * وما منهما إلا بذي العَرْشِ كافرُ
فأمسَوْا وقودَ النارِ في مستَقَرِّها * وكلُّ كفورٍ في جهنمَ صائرُ
تَلَظَّى عليهم وهْيَ قد شَبَّ حَمْيُها * بزُبْرِ الحديدِ والحجارةِ ساجرُ
وكان رسولُ الله قد قال أَقْبِلوا * فوَلَّوا وقالوا إنَّما أنتَ ساحرُ
لأمرٍ أراد اللهُ أن يَهْلِكوا به * وليس لأمرٍ حَمَّه اللهُ زاجرُ

وقال كعب في يوم بدر:

الا هل اتَى غَسَّانَ في نَأْيِ دارِها * وأَخْبَرُ شيءٍ بالأمورِ عليمُها
بأن قد رَمَتْنا عن قِسِيٍّ عَداوةً * مَعَدٌّ معًا جُهَّالُها وحليمُها
لأنا عَبَدْنا اللهَ لم نَرْجُ غيرَه * رجاءَ الجِنانِ إذْ أتانا زعيمُها
نبيٌّ له في قومِه إرْثُ عِزَّةٍ * وأعراقُ صِدْقٍ هَذَّبَتْها أُرومُها
فساروا وسِرنا فالْتَقَيْنا كأنَّنا * أُسودُ لقاءٍ لا يُرَجَّى كَليمُها
ضَرَبْناهُمُ حتى هَوَى في مَكَرِّنا * لِمَنْخِرِ سَوْءٍ من لُؤَيٍّ عَظيمُها
فوَلَّوا ودُسْناهم بِبِيضٍ صوارمٍ * سَواءٌ علينا حِلْفُها وصَميمُها

وقال كعب أيضاً:

لعَمْرُ أبيكما يا بَنَيْ لُؤَيٍّ * على زَهْوٍ لديكم وانتخاءِ
لَمَا حامَتْ فوارسُكم ببدرٍ * ولا صَبَروا به عندَ اللقاءِ
ورَدْناه بنورِ اللهِ يَجْلُو * دُجَى الظَّلْماءِ عنَّا والغطاءِ
رسولُ الله يقدمنا بأمرٍ * مِنَ أمْرِ اللهِ أُحْكِمَ بالقضاءِ
فما ظفرت فوارسكم ببدرٍ * وما رجَعوا إليكم بالسَّواءِ
فلا تعجل أبا سفيان وارقب * جيادَ الخيلِ تَطْلُعُ مِن كَدَاءِ
بنصر الله روح القدس فيها * ومِيكالٌ فيا طِيبَ الملاءِ

وقال حسان بن ثابت: قال ابن هشام: ويقال هي لعبد الله بن الحارث السهمي:

مُستَشعِرِي حَلَقَ الماذِيِّ يَقْدُمُهم * جَلْدُ النَّحِيزَةِ ماضٍ غيرُ رِعْديدِ
أعْنِي رسولَ إلهِ الخلقِ فَضَّلَه * على البَرِيَّةِ بالتقوى وبالجودِ
وقد زَعَمْتم بأن تَحْمُوا ذِمارَكمُ * وماءُ بدرٍ زَعَمْتُم غيرُ مَوْرُودِ
ثُمَّ وردْنا ولم نَسْمَعْ لقولِكمُ * حتى شَرِبْنا رَوَاءً غيرَ تَصْرِيدِ
مُستَعصِمِين بحَبْلٍ غيرِ مُنْجَذِمٍ * مُسْتَحْكِمٍ من حِبالِ اللهِ ممدودِ
فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نَتْبَعُه * حتى المماتِ ونصرٌ غيرُ محدودِ
وافٍ وماضٍ شهابٌ يستضاءُ به * بدرٌ أنار على كلِّ الأماجيدِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا ليت شِعْرِي هل أتَى أهلَ مكةٍ * إبارتُنا الكفارَ في ساعةِ العُسْرِ
قَتَلْنا سَراةَ القومِ عندَ مَجالِنا * فلم يَرْجِعوا إلا بقاصِمةِ الظَّهْرِ
قَتَلْنا أبا جهلٍ وعتبةَ قَبْلَه * وشيبةَ يَكْبُو لليدين وللنَّحْرِ
قَتَلْنا سُوَيْداً ثُم عتبةَ بعدَه * وطُعْمَةَ أيضًا عندَ ثائرةِ القَتْرِ
فكم قد قَتَلْنا من كريمٍ مُرَزَّأٍ * له حَسَبٌ في قومِه نابِهُ الذِّكْرِ
تَرَكْناهُمُ للعاوياتِ يَنُبْنَهم * ويَصلَوْن ناراً بعدُ حاميةَ القَعْرِ
لعَمْرُك ما حامت فوارسُ مالكٍ * وأشياعُهم يوم التَقينا على بدرِ

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر، وفي قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام:

ســتــبـلـغ عنا أهل مكة وقــعــة * يهب لهــا من كــان عن ذاك نائيــاً
بعــتــبــة إذ ولى وشــيــبــة بعــده * ومــا كـان فـيـهـا بكر عـتـبـة راضيـا
فـإن تقطعـوا رجلي فـإني مـسلم * أرجى بهـا عـيـشـا من الله دانيـا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت * من الجنة العليـا لمن كـان عـاليـا
وبعت بهـا عـيـشـا تعـرفت صـفـوه * وعـاجلتـه حـتى فـقـدت الأدانيـا
فـأكرمني الرحـمن من فـضل منه * بثـوب من الإسـلام غطى المسـاويا
ومــا كــان مكروها إليَّ قـتــالهم * غداة دعـا الأكـفـاء من كـان داعـيـا
ولم يبـغ إذ ســالوا النبي سـواءنا * ثلاثتنا حـتى حـضــرنا المناديا
لقـيناهم كـالأسـد تخطر بالقنا * نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فـمـا برحت أقـدامنا من مـقـامنا * ثلاثتنا حـــتى أزيروا المنائيـــا

وقال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه قومه لا يقاتل دونهم:

تبلت فــؤادك في المنام خــريدة * تشف الضــجــيع ببــارد بســام
كـالمسك تخلطه بماء سـحـابة * أو عــاتق كـــدم الذبيح مــدام
نفج الحـقـيـبـة بوصـهـا متنضـد * بلهـاء غـيـر وشـيكة الأقـسـام
بـنيـت على قطـن أجـم كـــأنه * فـضـلاً إذا قـعـدت مـداك رخـام
وتكاد تكسل أن تجيء فـراشــهـا * في جـسم خـرعـبـة وحـسن قـوام
أمـا النهـار فـلا أفـتـر ذكـرها * والليل توزعني بهـــا أحــلامي
أقــســمت أنســاها وأترك ذكـرها * حـتى تغـيب في الضـريح عظامي
يا من لعــاذلة تلوم ســفــاهة * ولقـد عـصـيت على الهـوى لوامي
بكرت عليَّ بسـحــرة بعـد الكرى * وتقـــارب مـن حـــادث الأيام
زعــمت بأن المرء يكرب عــمــره * عــدم لمعـــتكر من الأصـــرام
إن كنت كـاذبة الذي حــدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحــبــة أن يقــاتل دونهم * ونجـــا بــرأس طمـــرة ولجـــام
تذر العناجـيج الجـيـاد بقـفـرة * مــر الدمــوك بمحـصـد ورجــام
مــلأت به الفــرجين فــأرمــدت به * وثوى أحـبــتــه بشــر مــقــام
وبنو أبيـــه ورهطه في مــعــرك * نصـــر الإله به ذوي الإســـلام

طحنتهم والله ينفذ أمره * حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه * جزر السباع ودسنه بحوام
من بين مأسور يشد وثاقه * صقر إذا لاقى الأسنة حام
ومجدل لا يستجيب لدعوة * حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذل المبين إذ رأى * بيض السيوف تسوق كل همام
بيدي أغر إذا انتمى لم يخزه * نسب القصار سميدع مقدام
بيض إذا لاقت حديداً صممت * كالبرق تحت ظلال كل غمام

قال ابن هشام: تركنا في آخرها ثلاثة أبيات أقذع فيها. قال ابن هشام: فأجابه الحارث بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال:

القوم أعلم ما تركت قتالهم * حتى حبوا مهري بأشقر مزيد
وعرفت إني إن أقاتل واحداً * أقتل ولا ينكى عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبة فيهم * طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وقال حسان أيضاً:

يا حار قد عولت غير معول * عند الهياج وساعة الأحساب
إذ تمتطي سرح اليدين نجيبة * مرطى الجراء طويلة الأقراب
والقوم خلفك قد تركت قتالهم * ترجو النجاء وليس حين ذهاب
الا عطفت على ابن أمك إذ ثوى * قعص الأسنة ضائع الأسلاب
عجل المليك له فأهلك جمعه * بشنار مخزية وسوء عذاب

وقال حسان أيضاً:

لقد علمت قريش يوم بدر * غداة الأسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالي * حماة الحرب يوم أبى الوليد
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا * إلينا في مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت * بنو النجار تخطر كالأسود
وولت عند ذاك جموع فهر * وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلاً وقتلاً * جهيزاً نافذاً تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعاً * ولم يلووا على الحسب التليد

وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحارث بن المطلب:

لقد ضُمّن الصفراء مجداً وسؤدداً * وحلماً أصيلاً وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة * وأرملة تهوى لأشعث كالجذل
وبكيه للأقوام في كل شتوة * إذا احمرّ آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفزف * وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلي
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها * فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القِرى * ومستنبح أضحى لديه على رسل

وقال الأموى فى مغازيه: حدثنى سعيد بن قطن قال: قالت عاتكة بنت عبد المطلب فى رؤياها التى رأت وتذكر بدراً:

ألما تكن رؤياي حقاً ويأتكم * بتأويلها فل من القوم هارب
رأي فأتاكم باليقين الذي رأى * بعينيه ما تفرى السيوف القواضب
فقلتم ولم أكذب كذبت وإنما * يكذبني بالصدق من هو كاذب
وما جاء إلا رهبة الموت هارباً * حكيم وقد أعيت عليه المذاهب
أقامت سيوف الهند دون رءوسكم * وخطية فيها الشبا والثعالب
كأن حريق النار لمع ظباتها * إذا ما تعاطتها الليوث المشاغب
ألا بأبى يوم اللقاء محمداً * إذا عض من عون الحروب الغوارب
مري بالسيوف المرهفات نفوسكم * كفاحاً كما تمرى السحاب الجنائب
فكم بردت أسيافه من مليكة * وزعزع ورد بعد ذلك صالب
فما بال قتلى في القليب ومثلهم * لدى ابن أخي أسرى له ما تضارب
فكانوا نساء أم أتى لنفوسهم * من الله حين ساق والحين حالب
فكيف رأى عند اللقاء محمداً * بنو عمه والحرب فيها التجارب
ألم يغشكم ضرباً يحار لوقعه * الجبان وتبدو بالنهار الكواكب
حلفت لئن عادوا لنصطلينهم * بحارا تردى تجربتها المقانب
كأن ضياء الشمس لمع ظباتها * لها من شعاع النور قرن وحاجب

وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأموى:

هلا صبرتم للنبي محمد * ببدر ومن يغشى الوغى حق صابر
ولم ترجعوا عن المرهفات كأنها * حريق بأيدي المؤمنين بواتر
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتم * قليلاً بأيدي المؤمنين المساعر
ووليتم نفراً وما البطل الذي * يقاتل من وقع السلاح بنافر
أتاكم بما جاء النبيون قبله * وما ابن أخي البر الصدوق بشاعر
سيكفي الذي ضيعتم من نبيكم * وينصره الحيان عمرو وعامر

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثى أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه وهو بعدُ على دين قومه إذ ذاك:

ألا إن عيني أنفدت دمعها سكباً * تبكى على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعبًا في الحروب تخاذلوا * وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمات غدوة * فيا ليت شعري هل أرى لهم قربا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفل * فداً لكما لا تبعثوا بيننا حرباً
ولا تصبحوا من بعد ود وإلفة * أحاديث فيها كلكم يشتكي النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس * وحرب أبي يكسوم إذا ملؤوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره * لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما إن جنينا في قريش عظيمة * سوى أن حمينا خير من وطئ الثريا
أخا ثقة في النائبات مرزءاً * كريماً نثاه لا بخيلاً ولا ذربا
يطيف به العافون يغشون بابه * يؤمون نهراً لا نزوراً ولا صربا
فوالله لا تنفك نفسي حزينة * تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق أشعاراً من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخى بنى محارب بن فهر وقد أسلم بعد ذلك، والسهيلى فى روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك:

عجبت لفخر الأوس والحين دائر * عليهم غداً والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار أن كان معشر * أصيبوا ببدر كلهم ثَمَّ صائر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا * فإنا رجالاً بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم * بني الأوس حتى يشفي النفس ثائر

ووسط بني النجار سوف نكرّها * لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير * حولهم وليس لهم إلا الأماني ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة * لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا * بهن دم ممن يحاربن مائر
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما * بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه * يحامون في اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم * ويدعى علي وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت في ديارها * بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب * إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل في كل معرك * غداة الهياج الأطيبون الأكاثر

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها وهي قوله:

عجبت لأمر الله والله قادر * على ما أراد ليس لله قاهر

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر: واسمه شداد بن الأسود بن شعوب.

قلت: وقد ذكر البخاري أنه خلف على امرأة أبي بكر الصديق حين طلقها الصديق[1] وذلك لما حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر:

تحيي بالسلامة أم بكر * وهل لي بعد قومي من سلام
فماذا بالقليب قليب بدر * من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تكلل بالسنام
وكم لك بالطوى طوى بدر * من الحومات والنعم المسام
وكم لك بالطوى طوى بدر * من الغايات والدسع العظام
وأصحاب الكريم أبي علي * أخي الكأس الكريمة والندام
وإنك لو رأيت أبا عقيل * وأصحاب الثنية من نعام
إذاً لظللت من وجد عليهم * كأم السقب جائلة المرام
يخبرنا الرسول لسوف نحيا * وكيف حياة أصداء وهام

قلت: وقد أورد البخاري بعضها في صحيحه[2] ليعرف به حال قائلها. قال ابن إسحاق: وقال أمية ابن أبي الصلت يرثي من قتل من قريش يوم بدر:

(1) البخاري (3921).
(2) تقدم.

ألا بكيت على الكرا * م بني الكرام أولى الممادح

كبكا الحمام على فرو * ع الأيك في الغصن الجوانح

يبكين حراً مستكيـ * ـنات يرحن مع الروائح

أمثالهن الباكيا * ت المعولات من النوائح

من يبكهم يبك على * حزن ويصدق كل مادح

ماذا ببدر والعقنـ * ـقل من مرازبة جحاجح

فمدافع البرقين فالـ * ـحنان من طرف الأواشح

شمط وشبان بها * ليل مغاوير وحاوح

ألا ترون لما أرى * ولقد أبان لكل لامح

أن قد تغير بطن مكة * فهي موحشة الأباطح

من كل بطريق لبطـ * ـريق نقي الود واضح

دعموص أبواب الملو * ك وجائب للخرق فاتح

ومن السراطمة الخلا * جمة الملاوثة المناجح

القائلين الفاعلـ * ـين الآمرين بكل صالح

المطعمين الشحم فو * ق الخبز شحما كالأنافح

نقل الجفان مع الجفا * ن إلى جفان كالمناضح

ليست بأصفار لمن * يعفو ولا رح رحارح

للضيف ثم الضيف بعـ * ـد الضيف والبسط السلاطح

وهب المئين من المئـ * ـين إلى المئين من اللواقح

سوق المؤبل للمؤبل * صادرات عن بلادح

لكرامهم فوق الكرا * م مزية وزن الرواجح

كتثاقل الأرطال بالـ * ـقسطاس بالأيدي الموائح

خذلتهم فئة وهم * يحمون عورات الفضائح

الضاربين التقدمية * بالمهندة الصفائح

ولقد عناني صوتهم * من بين مستسق وصائح

لله در بني علي * أيم منهم وناكح

إن لم يغيروا غارة * شعواء تجحر كل نابح

بالمقربات المبعدات * الطامحات مع الطوامح

مرداً على جرد إلى * أسد مكالبة كوالح

ويلاق قرن قرنه * مشي المصافح للمصافح

بزهاء ألف ثم ألـ * ـف بين ذي بدن ورامح

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ.

قلت: هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذى حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبى جهل ابن هشام وأضرابه من الكفرة اللئام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله فخر البشر ومن وجهه أنور من القمر ذى العلم الأكمل والعقل الأشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات وبذل الألوف والمئات فى طاعة رب الأرض والسموات. وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والإسلام رضى الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام، وما تعاقبت الليالى والأيام. وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردها ابن إسحاق رحمه الله خوف الإطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية ولله الحمد والمنة. وقد قال الأموى فى (مغازيه): سمعت أبى حدثنا سليمان بن أرقم، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهلية. قال سليمان فذكر ذلك للزهرى فقال: عفا عنه إلا قصيدتين؛ كلمة أمية التى ذكر فيها أهل بدر، وكلمة الأعشى التى يذكر فيها الأحوص، وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك.[1] والله أعلم.

فصل في ذكر غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة النبوية

قال ابن إسحاق: وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر فى عقب شهر رمضان أو فى شوال ولما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم[2]، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم الأعمى.[3] قال ابن إسحاق: فبلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وأفدى فى إقامته تلك جل الأسارى من قريش.[4]

غزوة السويق في ذي الحجة منها وهي غزوة قرقرة الكدر

قال السهيلى: والقرقرة: الأرض الملساء، والكدر: طير فى ألوانها كدرة[5]، قال ابن إسحاق: وكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله ابن كعب بن مالك وكان من أعلم الأنصار حين رجع إلى مكة. ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج فى مائتى راكب من قريش لتبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثيب من المدينة على بريد أو نحوه. ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل فأتى حيى بن أخطب فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له

(1) أخرجه ابن عدي (3/ 1105)، وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك.
(2،3) «السيرة» (1/ 631).
(4) «السيرة» (1/ 631)، و«الدلائل» (3/ 163)، وابن سعد (4/ 23).
(5) «الروض» (5/ 404).

وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس. ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها: العريض، فحرقوا فى أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر. قال ابن إسحاق: فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخففون منها وعامتها سويق، فسميت غزوة السويق. قال المسلمون: يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة؟ قال: **«نعم»**[1].

قال السهيلي: والقرقرة الأرض الملساء، والكدر طير فى ألوانها كدرة. قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودى:

وإنّي تَخَيَّرْتُ المدينةَ واحداً * لحِلْفٍ فلم أندَمْ ولم أتَلَوَّم

سَقاني فروّاني كُمَيْتاً مُدامَةً * على عَجَلٍ مِنّي سَلاَمُ بنُ مِشْكَم

ولَمَّا تَوَلَّى الجيشُ قُلتُ ولم أكُنْ * لأُفْرِحَه أبْشِرْ بِغَزْوٍ ومَغْنَم

تَأمَّلْ فإنَّ القومَ سِرٌّ وإنَّهمْ * صَريحُ لؤي لا مساعد شَماطيطُ جُرْهُم

وما كان إلا بعضُ ليلة راكبٍ * أتى ساعيًا مِن غير خَلَّةِ مُعْدِمِ[2]

فصل في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وذلك فى سنة ثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخارى ومسلم من طريق الزهرى، عن على بن الحسين، عن أبيه الحسين بن على، عن على بن أبى طالب. قال: كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر، وكان النبى ﷺ أعطانى شارفاً مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ فلما أردت أن أبتنى بفاطمة بنت النبى ﷺ واعدت رجلاً صواغاً فى بنى قينقاع أن يرتحل معى فنأتى بإذخر فأردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به فى وليمة عرسى، فبينا أنا أجمع لشارفى من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاى مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارفى قد أجبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عينى حين رأيت المنظر فقلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت وهو فى شرب من الأنصار وعنده قينة وأصحابه، فقالت فى غنائها:

ألا يا حَمْزُ للشُّرُفِ النِّواءِ

فوثب حمزة إلى السيف فأجب أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما. قال عليّ: فانطلقت حتى أدخل على النبى ﷺ وعنده زيد بن حارثة فعرف النبى ﷺ الذى لقيت فقال: **«ما لك؟»**.

(1) «السيرة» (1/ 632)، وابن سعد (2/ 22)، و«الدلائل» (3/ 164) وهو مرسل. وله طرق كلها مرسلة.

(2) «السيرة» (1/ 632-633).

فقلت: يا رسول الله، ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقَتَى فأجبّ أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى البيت معه شربٌ. فدعا النبى ﷺ بردائه فارتداه، ثم انطلق يمشى واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت اَلذى فيه حمزة فاستأذن عليه فأذن له فطفق النبى ﷺ يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى النبى ﷺ، ثم صعَّد النظر فنظر إلى ركبتيه، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه. ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيداً لأبى فعرف النبى ﷺ أنه ثمل فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه»[1]. هذا لفظ البخارى فى كتاب المغازى. وقد رواه فى أماكن أخر من صحيحه بألفاظ كثيرة[2]، وفى هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خمست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الأموال من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها وقد خالفه فى ذلك جماعة منهم: البخارى وابن جرير وبيّنا غلطه فى ذلك فى التفسير وفيما تقدم والله أعلم.

وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضى الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتى وذلك قبل تحريم الخمر والله أعلم. وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبارة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا فى طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك كما ذهب إليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر فى كتاب الأحكام. وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن أبيه، عن رجل سمع علياً يقول: أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فقلت: ما لى من شىء فكيف ثم ذكرت صلته وعائدته فخطبتها إليه فقال: «**هل لك من شىء؟**». قلت: لا. قال: «**فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا؟**». قال: هى عندى. قال: «**فأعطنيها**». قال: فأعطيتها إياه.[3] هكذا رواه أحمد فى مسنده وفيه رجل مبهم.

وقد قال أبو داود: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقانى، ثنا عبدة، ثنا سعيد، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما تزوج على فاطمة رضى الله عنهما قال له رسول الله ﷺ: «**أعطها شيئاً**». قال: ما عندى شىء. قال: «**أين درعك الحطمية؟**». ورواه النسائى عن هارون ابن إسحاق، عن عبدة بن سليمان، عن سعيد بن أبى عروبة، عن أيوب السختيانى به[4]. وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصى، ثنا أبو حيوة، عن شعيب بن أبى حمزة، حدثنى غيلان بن أنس من أهل حمص، حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن علياً لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً فقال: يا رسول الله ليس لى شىء. فقال له النبى ﷺ: «**أعطها درعك**».

---

(1) أخرجه البخاري (4003)، ومسلم (1979).

(2) انظر: الصحيح (2089) (2375) (3091) (5793).

(3) **حسن**: وهو في «المسند» (603)، وإسناده ضعيف لجهالة الرجل الذي سمع علياً.

وأخرجه الحميدي (38) من طريق سفيان بهذا الإسناد. وأخرجه النسائي (6/ 129-130) من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس عن علي. وإسناده صحيح؛ وله شواهد تأتي بعده.

(4) أخرجه أبو داود (2127) (5125)، والنسائي (6/ 130)، وصححه الألباني.

فأعطاها درعه ثم دخل بها.[1] وقال البيهقى فى الدلائل: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن مجاهد، عن على. قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ. قلت: لا. قالت: فقد خطبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندى شىء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوّجك. قال: فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال رسول الله ﷺ: **«ما جاء بك ألك حاجة؟»**. فسكتّ، فقال: **«ما جاء بك ألك حاجة»**. فسكت، فقال: **«لعلك جئت تخطب فاطمة؟»**. فقلت: نعم! فقال: **«وهل عندك من شىء تستحلها به؟»**. فقلت: لا والله يا رسول الله! فقال: **«ما فعلت درع سلحتكها»**.

فوالذى نفس عليّ بيده أنها لحطيمة ما قيمتها أربعة دراهم، فقلت: عندى. فقال: **«قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها»**، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ.[2] قال ابن إسحاق: فولدت فاطمة لعليّ حسناً وحسيناً ومحسناً مات صغيراً وأم كلثوم وزينب. ثم روى البيهقى: من طريق عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عليّ قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل وقربة ووسادة أدم حشوها إذخر.[3] ونقل البيهقى عن كتاب (المعرفة) لأبى عبد الله بن منده أن علياً تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى.[4]

قلت: فعلى هذا يكون دخوله بها فى أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضى أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير فيكون ذلك كما ذكرناه فى أواخر السنة الثانية والله أعلم.

فصل في ذكر جمل من الحوادث الواقعة سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه الصلاة والسلام بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها. وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين، فكان ممن توفى فيها الشهداء يوم بدر، وهم أربعة عشر ما بين مهاجرى وأنصارى تقدم تسميتهم، والرؤساء من مشركى قريش وقد كانوا سبعين رجلاً على المشهور.

وتوفى بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم.

(1) أبو داود (2126) وضعفه الألباني في «الضعيف» (461).

(2) «الدلائل» (3/ 160) وإسناده حسن، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(3) «الدلائل» (3/ 161)، وأخرجه أحمد (643)، والنسائي (6/ 135) من طريق أبي أسامة أخبرنا زائدة حدثنا عطاء بهذا الإسناد. وإسناده قوي فسماع زائدة من عطاء قديمًا.

(4) «الدلائل» (3/ 162).

ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله ﷺ قد توفيت وساووا عليها التراب. وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبي ﷺ له بذلك.

ولهذا ضرب له بسهمه فى مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة، ثم زوجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان: ذو النورين، ويقال: إنه لم يعلق أحد على ابنتى نبى واحدة بعد الأخرى غيره رضى الله عنه وأرضاه. وفيها: حولت القبلة كما تقدم، وزيد فى صلاة الحضر على ما سلف. وفيها: فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم. وفيها: فرضت الزكاة ذات النصب، وفرضت زكاة الفطر.

وفيها: خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بنى قينقاع، وبنى النضير، وبنى قريظة، ويهود بنى حارثة، وصانعوا المسلمين وأظهر الإسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم فى الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه، ومنهم من انحل بالكلية فبقى مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله فى كتابه.

قال ابن جرير: وفيها: كتب رسول الله ﷺ المعاقل وكانت معلقة بسيفه.[1] قال ابن جرير: وقيل إن الحسن بن عليّ ولد فيها،[2] قال: وأما الواقدى فإنه زعم أن ابن أبى سبرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جَعفر أن على بن أبى طالب بنى بفاطمة فى ذى الحجة منها.

قال: فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل.

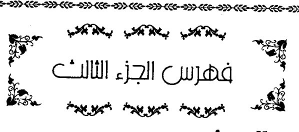
تم بحمد الله الجزء الثالث من البداية والنهاية

ويليه بإذن الله الجزء الرابع وأوله

سنة ثلاث من الهجرة ، وبالله التوفيق

(1) التاريخ (2/ 486).

(2) التاريخ (2/ 485-486).



الموضـــوع **الصفحة**